٣٢٤٣

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

٩١ ك (٢) الاكتفاء في مغازى المصطفى صلى الله عليه وسلم ومغازى الثلاثة
الخلفاء ، السفر الأول ، تأليف سليمان بن موسى بن سالم
ابن حسان الكلاعى الحميرى ، أبو الربيع (٥٦٥-٦٣٤هـ) .
٣٢٤٣ ز كتبت في القرن الحادى عشر أو الـ ١٢هـ تقديرا .
٢٢ ق ٢٧ س ٢٨×٢٠ سم
نسخة أضرت الأرضة باطرافها ، اوراقها منفرطة ، خطها
مغربى ، طبع .
الأعلام ٣ : ١٩٩ ، كشف الظنون ١ : ١٤١
١- السيرة النبوية أ- الكلاعى ، سليمان بن موسى -
٦٣٤هـ بد تاريخ النسخ ج- سيرة الكلاعى .

وممّا ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
من أتاك بطعام أخيه وهو يشتهيه ولم يطعمه منه جوفه ملأ الله
جوفه نارا

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما
لا إله إلا هو

وممّا ورد في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
ستأتيكم دنيا من بعدي تأكل إيمانكم كما
تأكل النار الحطب

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وسلم تسليما وصحابته الأكرمين

63

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله [illegible] في عشرة مثاقيل [illegible] منها مثقال ونصف مثقال وبيد [illegible] منها مثقال

وثلاثة مثاقيل [illegible] وثمنية مثاقيل واربعة من مثاقيل الحاج عبد الله

ومثقال [illegible] وثلاث مثاقيل لسيدي الامين وستة مثاقيل بيد

ومثقال بيد موكي ومثقال بيد ابن ابراهيم بيد علي بن عبد المالك ستة من

[illegible] الربع موزونة [illegible] بيد عبد الخالق مثقال [illegible]

وعشرة موزونة [illegible] ستة موزونة

ومثقالين للكفن [illegible] ثمنية موزونة [illegible]

ومثقال لسعيد [illegible] ثلاث عشر موزونة [illegible]

ومثقال ونصف لسعيد [illegible]

[illegible] البكا على اقرب الاحبا فادعوا اليوم [illegible]

[illegible] ولي [illegible] ربك يوم الخوف والوجل [illegible]

ان الحبيب غدا [illegible]

[illegible] الهوى [illegible]

[illegible] المال القليل والمعين الصافي الجاري [illegible]

الحمد لله [illegible] بعض اجلة الاصحاب ان من داوم على هذا الذكر [illegible]
[illegible] وهو هذا اللهم [illegible]
امور [illegible]
[illegible]

ومنها مثل [illegible]

[illegible] اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله [illegible]
عليه وعلى اله وصحبه وازواجه وذريته وسلم تسليما امين يا رب العالمين
[illegible] على سيدنا محمد [illegible]
الى [illegible] المستقيم وعلى اله حق قدره ومقداره العظيم

ه وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسي وديني بسم الله
على كل شيء أعطاني ربي بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع
اسمه شيء في الأرض ولا في السماء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت
الله الله ربي لا أشرك به أحدا أسألك اللهم بخير من خيرك الذي لا يعطيه
أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اجعلني
في عياذك من كل سوء ومن الشيطان الرجيم اللهم إني أحترس
بك من جميع كل ذي شر خلقته وأحترز بك منهم
بين يدي بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ومن خلفي مثل
ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن يساري مثل ذلك ومن فوقي وعلي
ذلك. يريد سفرا فقال حين يخرج آمنا بالله واعتصمنا بالله وتوكلنا
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رزقه الله خير ذلك المخرج
النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر قال اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة
في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا اللهم إني أعوذ بك من
السوء وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم
وسوء المنظر في الأهل والمال. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا ركب راحلته قال بأصبعه ومد شعبة أصبعه قال اللهم أنت
الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم ازو لنا الأرض وهون علينا
السفر اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب
ومن [illegible] السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله
والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه
توسل إلى الله في كل ما تحبه بمحبوبه المصطفى
فذلك أنجح كل ما تبتغي وحسبك جاها به و[illegible]
اكتم السر واجعل الصدر قبره لا تبح ما حييت منه بذكر
إنما [illegible] بسر كاهن قد أذاعته [illegible] (بتحقيق)
من يرد أن يعيش عيشا هنيا يتحفظ مما [illegible]
وقال
الناس إخوان في [illegible]
وقال الناس إخوان الدنيا وإن فضحت [illegible]
يعظمون أخا الدنيا وإن عثرت يوما به [illegible]

[illegible]

وقال ليس الغنى عن كثرة العرض إن الغنى في النفس إن [illegible]
رأس الغنى [illegible]
[illegible]

من كتب
خير الدين الزركلي

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي البلنسي رحمه الله تعالى ورضي عنه

الحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام، وأكرمنا بنبيه محمد عليه أفضل
الصلاة والسلام، وجعل آثاره الكريمة ضالّتنا المنشودة، ولا غروَ، بعزّته ولا تعجب
ودون ذلك أوضح دلالة وغاية المقصودة، وانعم على قلوبنا بالارتياح لذكرى
ولا عتب أن من عمر بسماع خبره عنه مضى زمانه، إذ النبي منتهاه وانه لا يرجى في هذه
العلوم التالية وآثاره خير ما يوجه أن يروى ما هي من مشارع الجهالة والضلالة
جاءنا من نبيه بالرضوان بشهادة النجب وبشارة المحب **وقد** روي عنه صلوات
الله عليه نقلة الصفة: أن من أحبه كان معه في الجنة. فنسأل الله أن يكتبنا
في محبيه حقيقة، ويسلك بنا من أن نوفي عن مقتضيات أوامره ونواهيه
طريقة بالسعادة خليقة. فما زال الكابر يأخذ عن الكابر ما هو مطلوب لديه، راغب
فيه الخير مرغوب إليه، وإن لم نكن أهلا للأسعاف بتفصيل ما في ذلك من الإجمال فإنه
جلاله أهل الجود ولا فخر، وفي جل ما يعول على حمل النبي المبارك الكريم صلى الله عليه
وعلى آله الطاهرين، ونخبة المتقين، خير صحب وخير، الأوصل كتاب ذهب فيه
إيقاع الإقناع وإمتاع النفوس والإسماع بالإتصاف بالخبر عن سيرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر نسبه ومولده وصفته وبعثه وكثير من خصائصه وأعلام نبوته

ومغازيه وأيامه من لدن مولده إلى أن استأثر الله به وقبض روحه الطيبة
إليه، صلوات الله عليه كانت عليه مقيما لديه ما يجب تقربه ونتيجهما من
تلك الأقوالية المباركة بنزل ومختزلا بما يحضر علمه وتعليمه مخصصا
فيها من كتب أئمة هذا الشأن الذين صرفوا إليه اعتناءهم، واستنفدوا
فيه أناة ... كتاب محمد بن إسحاق والذي تولى عبد الملك بن هشام تهذيبه
واختصاره، وكتاب موسى بن عقبة الذي اقتصر ولا ... اقتصاده واختصاره
وغير هما من المجموعات التي لا يبين ولا نطاق فضرجامعها ولا الإيثار ولا اختيار
اختيار ... ولا يرى علم المعول في كل الخاطر والأول على كتاب ابن إسحاق إياه
... وخرج له من اللغات وكثير من الأنساب والأشعار فصرت وعلى تنبيه
ما لابد منه ... ومن عمد في أكثر ما تخص المغازي تحرّيتنا عليه الذي شرب تنبأ
هذا الشأن بأنفع وجل كتابه من نفوس الخاص والعام أجل موقع، ولا أنه
فلله كما انتهى إليه قبل الشيا من غير المغازي تخرج عند الجمهور في امتناعه
وتقطع بالخواطر المستجيبة لسماعه وإن كانت تلك الفوائد عن بغية
في نسب العلم وحقيقة بالتقييد والنقل، فعسى أن يكون لها مكان هو ما يراد بها
أخص، إذ لكل مقام مقال يختص فيه ولا يراد له والشيء من نزله نوثيث فيه
إن أخذ ما تخلله من شيء والأنساب التي ليس احتياج كل الناس إليها بالضروري
الحثيث وتفسير اللغات المعروف اعتراضها إبطال لأحاديث حتى لا ينبغي لا
للأخبار المجردة، وخلاصة المغازي التي هي من هذا المجموع المقصود له
المعتمد، فهذا مبني ابتداء إن الله في تمامه وتكفل تعالى بتيسير ما أوليه
وحق الأقوال وتحري بيان مرامه انتفاعا يقتضي النفوس لعمو كالو عليه إقبالا
ولم يرد هذا النقص لدى جمهورهم ولا الجمال ... ثم من أن أزيد على هذا
إن فراغ ما يحصن في هذا المضمار والخوض مما حذفناه منه من اللغات والأنساب
والأشعار بما تكون له إنشاء الله مزية على الاختيار ... وقوع الإيثار
فتستفيد لكم من الزوائد التي كان بها الناس لها من الاشتهار ومختصر الدرر والماكن
التي لا يستقل عن حبوا بره وانتفاء ... كل مختار ككتاب ابن عقبة وقد
تمت ... فإنه وإن اختصره جدا لكنه أيضا أخصر العبارة وأتى بمواضع من المغازي
جدا بشكل وهما الاختصار لا ... على كثير منها مبهمة وأن سمحنا

رحمة للعالمين تأخيره للزمن فبان وجوده بعد آدم بالسنين معلوم
في الصحيح من حديث واثلة بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم وفي حديث
عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يزل الله عز وجل ينقلني من
الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان إلا
كنت في خيرهما وخرج أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي من حديث المطلب
بن أبي وداعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال من أنا فقالوا
أنت رسول الله عليك السلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق
الخلق فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة
ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم
بيتا وخيرهم نفسا وفي رواية فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا
وصدق صلى الله عليه وسلم والصدق شيمته وبنو العالمين هذا
قريش الأبطح وقمته هواشم فهم حسبا وأفضلهم نسبا وأكرمهم أما وأبا
هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف
وهو المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان هذا الصحيح المجمع عليه في نسبه
وما فوق ذلك مختلف فيه ولا خلاف في أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله
ابن إبراهيم خليل الله عليهما السلام وإنما الاختلاف في عدد من بين عدنان
وإسماعيل من الآباء مقللا ومكثرا وكذلك من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك
على حقيقته إلا الله روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتهى
إلى عدنان أمسك ثم يقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا
ومن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل فولد عدنان رجلين معد بن عدنان
وعك بن عدنان فصارت عك في دار اليمن لأن عكا تزوج في الأشعريين منهم وأقام
فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والأشعريون هم بنو أشعر بن نبت بن أدد بن
زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب

ابن قحطان

ابن قحطان وقحطان هو عند جمهور العلماء بالنسب أبو اليمن كلها وإليه
تجتمع نسبها والعرب كلها عندهم من ولد إسماعيل وقحطان وبعض اليمن يقول
قحطان من ولد إسماعيل وإسماعيل أبو العرب كلها والله أعلم وأما
معد فذكر الزبير بن أبي بكر رحمه الله أن بختنصر لما أغار على بلاد العرب
وأدخل الجنود عليهم فيها وقتل مقاتلتهم لانتهاكهم معاصي الله واستحلالهم
محارمه وقتلهم أنبياءه وردهم رسله لا أدري أمر أرمياء بن حلقيا وكان فيهم
من كرم نبي بني إسرائيل في ذلك الزمان أن ائت معد بن عدنان الذي من ولده محمد خاتم
النبيين فأخرجه من بلاده واحمله معك إلى الشام وتول أموره فيقال ويقال بل
المحمول عدنان أبوه وذلك أول الكتب وفي حديث عن ابن عباس أن الله بعث ملكين
فاحتملا معدا فلما أدبر الأمر رده إلى موضعه من تهامة بعد ما رفع
الله بأسه عن العرب فكان بمكة ونواحيها مع أخواله من جرهم وبها منهم بقية
يومئذ وولاة البيت يومئذ ما اختلطه بهم ونكحهم فولد لمعد بن عدنان نزار ومنهم
قضاعة وكان يكنى به أي يكنى بها ابن الكلبي وقنص ونزار وإياد وأما
قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ وانتمت إلى نسبه ما لحقهم حتى قال قائل
منهم يفخر بذلك: نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير النسب
المعروف غير المنكر وأنكر كثير من الناس منتماهم هذا وحججت بينهم وبين
من قال به من العلماء حجة في ذلك وأما بل معروف وأشعار محفوظة قال
ابن هشام يجتمع أن قضاعة ولا انتساب في اليمن بل أهل العلم منهم والذين يعلمون
على نسبهم في معد وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما زعموا وكان
منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة واحتج من قال ذلك بأن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه حين أوتي بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد
مناف بن قصي فسلحه إياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان
من أشلاء قنص بن معد وكان جبير أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة وكان
يقول إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق وكان أبو بكر رضي الله عنه أنسب
العرب وقد ضاع نسب النعمان غير ذلك مما سيأتي ذكره عند تأديته
إن شاء الله وقد ذكر أيضا في بني معد الضحاك بن معد ذكره الزبير
بإسناد له إلى من يقول إن الضحاك بن معد أغار على بني إسرائيل في أربعين
رجلا من بني معد عليهم دروع الصوف على خيلهم فقتلوا وسبوا

ويكفرون ما بغالتنا بنو اسرائيل يا موسى ان بني معد اغاروا علينا وهم قليل عليهم
كانوا كثيرا واغاروا علينا وانتابونا فادع الله عليهم فتوضأ موسى وصلى وكان
اذا اراد حاجة من الله صلى ثم قال يا رب ان بني معد اغاروا على بني اسرائيل
فقتلوا وسبوا وكفروا وسألوني ان ادعوك عليهم فقال الله يا موسى لا تدع عليهم
فانهم عبادي وانهم يشفقون عند اول امرهم وان فيهم نبيا احبه واحب امته قال يا رب
ما بلغ من محبتك له قال اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال يا رب ما بلغ من محبتك لامته
قال يستغفرني مستغفرهم فاغفر له ويدعوني داعيهم فاستجيب له قال يا رب
فاجعلهم من امتي قال نبيهم منهم قال يا رب فاجعلني منهم قال تقدمت واستأخروا
قال ابن بشر وحدثني علي بن المغيرة قال لما بلغ بنو معد عشرين رجلا اغاروا
على عسكر موسى عليه السلام فدعا عليهم فلم يجب فيهم ثم اغاروا فدعا عليهم فلم
يجب فيهم ثلاث مرات فقال يا رب دعوتك على قوم فلم تجبني فيهم بشيء فقال
يا موسى دعوتني على قوم منهم خيرتي في آخر الزمان **وأما** نزار بن معد واسمه
مشتق من النزر وهو القليل فيقال ان اباه نظر اليه لما ولد ونظر الى نور بين عينيه
ففرح لذلك فرحا شديدا ونحر واطعم وقال ان هذا كله نزر في حق هذا المولود
وهذا كان النور الذي هو نور النبوة الذي لم يزل ينتقل في الاصلاب حتى انتهى الى نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم فملأ به الارض نورا وهدى الله به من اراد سعادته من عباده
صراطا مستقيما وكل هذه الانوار والدلائل شاهدة له عليه السلام بعظيم عناية
الله وكرم المكانة عنده فلم تزل بركته صلى الله عليه وسلم تعرف في آبائه الماضين
وكان ذلك على اسلافه ظاهرا حتى تميزوا من القبائل بالاعتصام بينهم البينة وتزايد بالاخلاق الواضحة
في اولهم عليه رضوان الله وبركاته عليه **فولد** نزار بن معد مضر وربيعة
وانمارا وايادا والبداية بمضر ابوه حباه بقبة الكعبة فيما ذكر ابن بشر وامه سودة بنت عك
بنت عك بن عدنان وقيل هي ام مضر خاصة وام اخوته الثلاثة اختها شقيقة ابنة
عك بن عدنان وقيل ان ايادا شقيق مضر امهما معا سودة فاما انمار فهو ابو بجيلة
وخثعم وهم قبائل متفرقة بجيلة ومنهم من كان بالشام والمغرب فانتموا على نسبهم الى انمار
ابن نزار وجرير بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد من سادات بجيلة
وله يقول القائل لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست القبيلة
وعن قبائل الان اخرين خثعم وهم بنو افتل بن انمار وانما خثعم جبل تحالفوا عنده
وسموا به وهم بالنهاية على نسبهم الى انمار واذا كانت بين مضر واليمن فيما بعد

حرب

حرب كانت خثعم مع اليمن على مضر ويروى ان نزارا لما حضرته الوفاة قسم
ماله بين بنيه وكانوا اربعة مضر وربيعة واياد وانمار فقال هذه القبة
وكانت له حمراء من ادم وما اشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الاسود وما
اشبهه لربيعة وهذه الخادم وكانت شمطاء وما اشبهها لاياد وهذه
البدرة والمجلس لانمار يجلس فيه وقال لهم ان اشكل عليكم ذلك
واختلفتم في القسمة فعليكم بالافعى الجرهمي وكان بنجران فاختلفوا بعده
واشكل امر القسمة عليهم فتوجهوا الى الافعى فبينما هم في مسيرهم اليه اذ رأى
مضر كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا لاعور فقال ربيعة وهو ازور
وقال اياد وهو ابتر وقال انمار وهو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل
توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال له مضر اهو اعور قال نعم قال ربيعة
اهو ازور قال نعم قال اياد اهو ابتر قال نعم قال انمار اهو شرود قال نعم هذه
والله صفة بعيري فدلوني عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدقكم
وانتم تصفون بعيري بصفته فساروا حتى قدموا نجران فنزلوا بالافعى الجرهمي
فناداه صاحب البعير بعيري وصفوا لي صفته ثم قالوا لم نره فقال لهم الافعى
كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت
انه اعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعلمت
انه افسدها بشدة وطئه لازوراره وقال اياد عرفت بتره باجتماع بعره
ولو كان ذيالا لمصع به وقال انمار عرفت انه شرود انه كان يرعى في المكان
الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان ارق منه واخبث فقال الشيخ
ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم وقال تحتاجون
الي وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام فاكلوا واكل وشربوا وشرب فقال مضر لم ار كاليوم
خمرا اجود لولا انها نبتت على قبر وقال ربيعة لم ار كاليوم لحما اطيب
لولا انه ربي بلبن كلبة وقال اياد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه ليس لابيه
الذي يدعى له وقال انمار لم ار كاليوم كلاما انفع في حاجتنا وسمع الجرهمي
كلامهم فقال ما هؤلاء الا شياطين ثم اتى القهرمانة فسألها فاخبرته انها كانت تحت
ملك لا يولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها فوطئها
فجاءت به وقال للقهرمان الخمر التي شربنا ما امرها قال من حبلة غرستها

وسأل الأفعى عن اللحم فقال الشاة أرضعناها من لبن كلبة ولم يكن ولد
على غير أبيه . فقال قصوا علي قصتكم فقصوا عليه ما أوصى به أبوهم
في القسم عند ما أتاهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير
وما كان من اختلافهم فقال وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال
والإبل وهي حمر . فسميت مضر الحمراء . قال وما أشبه الخادم
فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم . فسمي ربيعة الفرس . وقضى
وكانت شمطاء فهو لإياد فصارت له الماشية البلق والنقد
لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك وكان يقال مضر وربيعة هما
الصريحان من ولد إسماعيل وروى ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مسلمين وقال
صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه إذا اختلف الناس فالحق مع مضر وسمع
عليه الصلاة والسلام قائلا يقول

إني امرؤ حميري حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولا مضرا

فقال صلى الله عليه وسلم ذلك أبعد لك من الله ومن رسوله وفيما يؤثر من حكم مضر بن نزار
ووصاياه من يزرع شرا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها
فيما أصلحكم واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا
صبر فواق فولد مضر بن نزار رجلين إلياس بن مضر وعيلان بن مضر . قال الزبير
وأمهما الحنفاء بنت إياد بن معد وقال ابن هشام أمهما جرهمية ولما أدرك
إلياس بن مضر أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم وبان فضله
عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به رضى لم يرضوه بأحد من ولد إسماعيل
بعد أدد فردهم إلى سنن آبائهم حتى رجعت سنتهم تامة على أولها وهو أول من
أهدى البدن إلى البيت أو في زمانه وأول من وضع الركن للناس بعد هلاكه
حين غرق البيت وانهدم زمن نوح عليه السلام فكان أول من سقط عليه إلياس أو في
زمانه فوضعه في زاوية البيت للناس فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة
وطابخة وقمعة وأمهم خندف بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة واسمها ليلى
واسم مدركة عامر واسم طابخة عمرو واسم قمعة عمير وإنما كانت أسماؤهم إلى الذي
ذكرنا لأنهم فيما ذكر ابن إسحاق أن إبلا انفلتت لإلياس بن مضر فخرج بنيه ليقولوا إن يطلبوا
في الإبل فخرج عامر وعمرو في طلبها وقعد عمير فسمي قمعة . وخرجت أمهم

ثم اشار ذلك بل

اشار ذلك بل وخرجت أمهم ليلى تمشي حافية فقال لها زوجها إلياس أين تخندفين
أي أين تسعين فسميت خندف . ومر عامر وعمرو بأخيهما عمير وما أعلمه فقتله ويقال
بل أتى ذلك الإبل فقال له عامر اطبخ صيدنا وأنا أكفيك الإبل وطبخ
عمرو فسمي طابخة وأدرك الإبل عامر فسمي مدركة واشتهر بنو خندف هؤلاء
بأمهم خندف لكثرة ذكرها في الناس **وذكر** أنه لما مرض زوجها إلياس
وجدت لذلك وجدا شديدا ونذرت إن هلك أن لا تقيم في بلد مات فيه ولا يظلها
بيت وأن تسيح في الأرض وحرمت الرجال والطيب فلما هلك إلياس خرجت
سائحة في الأرض حتى هلكت حزنا وكانت وفاته يوم الخميس وكانت كلما طلعت
الشمس من ذلك اليوم بكته حتى تغيب فصارت خندف وما صنعت مثلا في الناس
يتمثلون به ويذكرونه في أشعارهم فقيل لرجل من إياد أو من نمر أو من هذيل
أمن أنه لا تبكي عليها فقال لو كان ذلك لفعلت كما فعلت خندف على إلياس
ثم أنشد يقول

ولو أنه يغني بكيت كخندف ... على إلياس حتى ملها الشمس تندب
إذا مونس لاحت خراطيم شمسه ... بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب
ولم تر عينا لها سوى الرفض منزلا ... فساحت وما تدري إلى أين تذهب
ولم يغن شيئا طول ما بكت به ... وما طلها دهر وعيش معذب

وفقدت امرأة من غسان أخاها ثم أباها ثم كثرت دهرا تبكي عليهما فعاتبها
قومها فقالت

تلوموا سلمى أن بكت أباها ... وقبل ما قد بكيت أخاها
فقولوا العذل لي من لواتها ... فيصلح سلمى إلى نحواتها
كما عصمت خندف من نهابها ... خلت بيتها أسفا وراءها
تبكي على إلياس فيما أتاها

فولد مدركة بن إلياس نفرا منهم خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وأمهما امرأة
من قضاعة قيل هي سلمى بنت أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وقيل غيرها فولد
خزيمة بن مدركة كنانة وأسدا وأسدة والهون وأم كنانة منهم عوانة بنت سعد بن قيس
ابن عيلان بن مضر وقيل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان فخلف عليها أخوه يحيى بن جابر
وأم أسد تميمة بنت كلب أخت تميم بن مر بن أد بن طابخة **فولد** كنانة

ابن خزيمة جماعة منهم النضر وبه كان يكنى ونضير ومالك وملكان وعمرو وعامر
وامهم برة بنت مر خلف عليها كنانة بعد ابيه خزيمة على ما كانت عليه الجاهلية
تفعله اذا مات الرجل خلف على زوجته بعده الكبير من بنيه من غيرها فنهى الله عن
ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف و يقال ان برة هذه
لما اهديت الى خزيمة بن مدركة قالت له اني رايت في المنام كاني ولدت غلامين
من خلاف بينهما اسا بينا فبينا انا اتاملهما اذ اخرجهما اسد يزيد ادلاخهما بنير
فاتت خزيمة كاهنة بتهامة فقصت عليها الرؤيا فقالت ان صدقت رؤياك
لتلدن منه غلاما يكون لولده قلوب ثم لتموتن عنه فيخلف عليها ابن له
ثم تلد منه غلاما يكون لولده عز ومعرفة وفروع تحمل وعز الى اخر الابد
فتوفي خزيمة فخلف عليها كنانة بعد ابيه فولدت له النضر واخوته وانما سمي النضر
لنضارة وجهه وجماله واتي ابوه كنانة بن خزيمة وهو قائم في الحجر فقيل له نخبر
يا ابا النضر بين النصيل والقهر وعمارة الحجر وعز الدهر فقال كل يارب فطار هذا
كله في قريش و النضر هو جماع قريش في قول عامة من اهل العلم بالنسب وذلك
على ان فهر بن مالك بن النضر فقوم يقولون هم كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده
فليس بقرشي و كان ابن هشام هو الذي كان اذا ذكر من نسب قريش قال ولد
النضر بن كنانة مالكا ويخلد والصلت بولد مالك فهر بن مالك وامه جندلة بنت الحرث بن جندل
ابن عامر بن سعد بن الحرث بن مضاض الجرهمي وهو جماع قريش عند الاكثر قال ابن هشام
فيما اجتمع الناس من قريش وغيرهم ان قريشا انما تفرقت عن فهر ويقال ان
قريشا هو اسمه الذي سمته امه ولقبته فهرا وولد فهر بن مالك غالبا
ومحاربا والحارث واسدا واختهم جندلة وام جميعهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة
ولما حضرت الوفاة فهر بن مالك قال لابنه غالب يا بني ان في الحزن افلاق النفوس
قبل المطالب جادا وفعت المصيبة بين دخرتها وانما العلو في عليا نصاجادا انا بمنت
فبين دخر مصيبتك ما تروم وقع المنية امامك وخلفك وغرميتك وعرشما لك وما ترى
من اثارها في محيى الحياة ثم اقتصر على قليلك وان قلت منفعته فقليلك في يدك اغنى
لك من كثير ما اخلق وجهك وان صار اليك فولد غالب بن فهر لؤيا وتيما وهو ظادرع
كان منقوص الرقن ويقال لقومه بنو الادرم والهما في قول ابن اسحق سلمى بنت عمرو
الخزاعي وفي قول ابن هشام عاتكة بنت مخلد بن النضر وولد لؤي بن غالب اربعة

وهو غلام حزن يا ابت من بعدك وقد فقد اخلاقه ونضوماوه ومن اخلقه
تيمنه واذا اتهم الشيء لم يذكر وعلى المولى تكبير صغيره ونشره وعلى المولى
تصغير كبيره وستره فقال له ابوه غالب اني لاستيران ما اسمع من قولك على
فضلك واستبرعي لك به انك تقول على قومك بانكم بقول يعزى الى قومك بفضلك
ويكف نحوه بحلمه يحلمك وكم شعثهم بعد بانما يفضل الرجال بالرجال افعالها
ومن قل يسهاه على او زانها اشفة الفضل ولم تغلب درجة على الخير وللعلبا ابدا
على السفلى الفضل فولد لؤي بن غالب كعبا وعامرا وسامة وعوفا وسعدا
وخزيمة فرهط بنو خزيمة في شيبان ويسمون فيهم بعائذة ونسبت الى امه من اليمن
كانت ام بني عبيد بن خزيمة فنسبوا اليها وكذلك دخل بنو سعد ايضا في شيبان
ويسمون فيهم بنانة حاضنة كانت لهم من قضاعة وقيل من النمر بن قاسط فنسبوا
اليها واما سامة بن لؤي فخرج الى عمان وزعموا ان عامر بن لؤي اخرجه وذلك
انه كان بينهما شيء ففقا سامة عين عامر فاخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون
ان سامة بن لؤي بينما هو يسير على ناقته اذ وضعت راسها ترتع فاخذت حية
بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ثم نهشت سامة فقتلته فقال
سامة حين احس بالموت فيما يزعمون

عين فابكي لسامة بن لؤي علقت ما بسامة العلاقه
لا ارى مثل سامة بن لؤي يوم حلوا به قتيلا لناقه
بلغا عامرا وكعبا رسولا ان نفسي اليهما مشتاقه
ان تكن في عمان داري فاني غالبي خرجت من غير فاقه
رب كاس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه
رمت دفع الحتوف يا ابن لؤي ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه
وخروس السرى تركت رذيا بعد جد وجدة ورشاقه

قال ابن هشام وبلغني ان بعض ولده اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتسب له الى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر فقال له بعض
اصحابه كانك يا رسول الله اردت قوله

رب كاس هرقت يا ابن لؤي حذر الموت لم تكن مهراقه

قال اجل قال ابن اسحق واما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى

اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ابطئ به فانطلق من كان معه من قومه
فاتاه ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان فحبسه والتاطه وآخاه
وزوجه فانتسب بتلك المواخاة الى سعد بن ذبيان ابي ثعلبة وثعلبة بن سعد هو
القائل له احبس علي ابن لؤي جملك تركك القوم ولا منزل لك

ويروى ان عمر بن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب او ملحقهم بنا
لادعيت بني مرة بن عوف انا لنعرف منهم ذا الاشباه مع ما نعرف من موقع
ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي وهم في نسب غطفان مرة بن عوف
ابن سعد بن ذبيان وهم يقولون اذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره ولا نجحده
وانه لاحب النسب الينا **وقيل** ان عمر بن الخطاب قال لرجال من بني مرة ان شئتم
ان ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه وكان القوم اشرافا في غطفان هم سادتهم
وقادتهم منهم هرم بن سنان بن ابي حارثة واخوه خارجة بن سنان والحارث بن عوف
والحصين بن الحمام وهاشم بن حرملة قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس
كلها فاقاموا على نسبهم على ان الحصين بن الحمام قد تحير في هذا واختلف رايه فلما
سمع قول الحارث بن ظالم احد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر ولحق بقريش

ما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ان سألت بنو لؤي ... بمكة علموا مضر الضرابا
سفهنا باتباع بني بغيض ... وترك الاقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى ... هراق الماء واتبع السرابا
فلو طوعت عمرك كنت منهم ... وما الفيت انتجع السحابا

قال الحصين بن الحمام يرد عليه وينتمي الى غطفان

الا لستم منا ولسنا اليكم ... برئنا اليكم من لؤي بن غالب
اقمنا على عز الحجاز وانتم ... بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشا ثم ندم الحصين على ما قال وعرف صدق الحارث فاكذب نفسه وقال

ندمت على قول مضى كنت قلته ... تبينت فيه انه قول كاذب
فليت لساني كان نصفين منهما ... بكيم ونصف عند مجرى الكواكب
ابونا كناني بمكة قبره ... بمعتلج البطحاء بين الاخاشب
لنا الربع من بيت الحرام وراثة ... وربع البطاح عند دار ابن حاطب

يعني ان بني لؤي كانوا اربعة كعب وعامر وسامة وعوف وفي بني مرة بن
عوف كان البسل وهو ثمانية اشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب
يسيرون به الى اي بلاد العرب شاؤوا ولا يخافون منهم شيئا قد عرفوا ذلك
لهم لا يدفعونه ولا ينكرونه وكان سائر العرب انما يامنون في الاشهر الحرم
الاربعة فقط **وذكر** ابن هشام عن ابي عبيدة انه كانت لقريش
مزية على سائر العرب فاضلة وذلك ان العرب كلها لم يكن يخرج من داره في غير
الاشهر الحرم الا في جماعة وكان القرشي يخرج حيث شاء واين شاء فيقال رجل
من اهل الله فلا يتعرض له عارض ولا يبيه احد بمكروه ويعظمه من لقيه
او ورد عليه ولذلك قال من قال منهم القرشي بكل بلاد حرام **وأما** كعب
ابن لؤي وعامر بن لؤي فهما افضل العرب وصريح ولد لؤي وكان كعب منهما
عظيم القدر في العرب فارخوا بموته اعظاما له الى ان كان عام الفيل فارخوا
به وكان بين موته والفيل فيما ذكر خمسمائة سنة وعشرون سنة وكان
يوم الجمعة يسمى العروبة فسماه كعب الجمعة لاجتماع قومه اليه فيه
يخطبهم ويذكرهم ثم **فيقول** لهم فيما يقول ايها الناس اسمعوا وعوا وافهموا
وتعلموا ليل ساج ونهار ضاح والسماء بناء والارض مهاد والنجوم اعلام
لم تخلق عبثا فتضربوا عن امرها صفحا الآخرون كالاولين والدار امامكم واليقين
غير ظنكم صلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم واوفوا بعهدكم وثمروا اموالكم
فانها قوام مروءاتكم ولا تصونوها عما يجب عليكم واعظموا هذا الحرم وتمسكوا
به فسيكون له نبا عظيم وسيخرج به نبي كريم **ثم** ينشد ابياتا منها

صروف وانباء تقلب اهلها ... لها عقد ما يستحيل مريرها
على غفلة ياتي النبي محمد ... فيخبر اخبارا صدوق خبيرها

ثم يقول

يا ليتني شاهد فحواء دعوته ... حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

اما والله لو كنت ذا سمع وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب الفحل
ولارقلت فيها ارقال الجمل فرحا بدعوته جذلا بصرخته **فولد** كعب بن لؤي
مرة وهصيصا وعديا وامهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك
وقيل ان ام عدي وحده امرأة من فهم وهي حبيبة بنت بجالة بن سعد بن فهم

ابن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار **فولد** مرة بن كعب كلابا وتيما ويقظة
فولد كلاب رجلين قصيا وزهرة وأمهما فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بني
الجدرة من خثعمة حلفاء بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن
كنانة ويقال جعثمة حلفاء بني الديل واسم سيل خير وانما سمي سيلا لطوله وسيل
ابن جبل وهو جعثمة بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعثمة
ابن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن الأزد وسمي عامر الجادر لأنه
بنى جدار الكعبة كان وهى من سيل أتى ايلا ولا يدخر قوم البيت وكان عامر تزوج
منهم بنت الحارث بن مضاض الجرهمي فولد له الجدرة لذلك **وذكر** الشرفي
ابن القطامي أن الحاج كانوا يتمسحون بالكعبة ويأخذون من طيبها وحجارتها
تبركا بذلك وأن عامرا أمر الناس بإصلاح ما شعث من جدرها فسمي الجادر
والله أعلم وسعد بن سيل جد قصي بن كلاب هو أول من حلى السيوف بالفضة
والذهب وأهدى إلى كلاب بن مرة مع ابنته فاطمة سيفين محلين فجعلا في خزانة
الكعبة **و**قصي هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيدا فسمي مجمعا
لما جمع من أمرها وسمي قصيا لتقصيه عن بلاد قومه مع أمه فاطمة بعد وفاة
أبيه كلاب بن مرة وحديثه في ذلك طويل وسنذكره إن شاء الله عند ذكر
ولده بيت البيت وهناك نذكر مآثره وعظيم غنائه في إقامة أمر قومه إن شاء الله
فإني اختصر هنا لأن ما أمكن في إيراد هذا النسب المبارك لتحفظ السامعة
انما بركة بانتظامه واتصاله ولا يضاد لما عليه بما يتخلل أثناءه من الفوائد
التي تتابع بين أطرافه **فولد** قصي بن كلاب أربعة نفر وهم عبد مناف
وعبد الدار وعبد العزى وعبدا وتخمر وبرة وأمهم جميعا حبى بنت حليل بن حبشية
ابن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وساد عبد مناف في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش
وهو الذي يدعى القمر لجماله واسمه المغيرة **ذكر** الزبير بن موسى بن عقبة
أنه وجد كتابا في حجر فيه أنا المغيرة بن قصي أمر بتقوى الله وصلة الرحم
وإياك أعني أن قال بعض ولده

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصة لعبد مناف

فولد عبد مناف أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا وكلهم
لعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة

ابن خصفة

ابن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولا نعلم منهم عاتكة لوافرة بنت عمرو المازنية
مازن بن منصور بن عكرمة **فولد** هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة
عبد المطلب وأسدا وأبا صيفي ونضلة والشفاء وخالدة وضعيفة ورقية
وحية وأم عبد المطلب منهم سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن
غنم بن عدي بن النجار **فولد** عبد المطلب عشرة نفر وست نسوة العباس
وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وحجلا والمقوم
والمقوم وضرارا وعبد العزى أبا لهب وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة
وأميمة وأروى وبرة وأم عبد الله وأبي طالب وجميع أبنيها غير صفية فاطمة
بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي **فولد**
عبد الله بن عبد المطلب **محمدا** رسول الله خاتم النبيين وسيد ولد آدم
ونخبة الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم انتهى ذلك النسب **فنسبه** وسببه
إلى الله سبحانه بما حباه به آباؤه واختياره له أفضل الأنساب وبيته في بيتها أوسطها
بيوتها أكرمه منتقد وأكرم معادنها أكرمه [illegible] لم تخل مكة من سيد منهم وسادات
يكونون خير جيلهم ورؤساء قبيلهم حتى إذا أدرجوا فسماؤهم في المجد
الصميم [illegible] في النسب الكريم إلى ذلك المقام وعرجوا فجميعهم إذ لما الزمان
لوا أدهم على من ناوأهم منصور وكلهم ذا البيت عليهم مقصور والعيون إليهم آية
سلكوا صوب ثم أتى الواد بن [illegible] على الغرة وشرف الله أركان مجدهم الأعز وفق
من القحطانيين بعز النبوة [illegible] فاحتازوا المجد والفخر [illegible] وفازوا من شرف الدارين
والدنيا بما تعجز الهمة البلغاء [illegible] **وأمه** صلى الله عليه وسلم
هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فنسبها أبيه من هذا [illegible]
قومها أولى الهكان النبيه والحسب وحسبها [illegible] المتين والنجم المنير والعز
المكين علا به أن كانت أما لخاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين
[illegible] من نصاعة النسب المحتسب وعلاقة النسب والمنصب ما يبلغ عند
النجاح وتبغي [illegible] أبي نجاح **فرسول الله** صلوات الله وبركاته
عليه خيرة الخير من كل [illegible] وقرأ عشى الناس بنسبه الكريم نثرا ونظما
ونقلوا عن آبائه [illegible] وأمهاته الطاهرات الميلاد أبا فأبا وأما فأما [illegible]
من لدنه [illegible] شرفا وشادوا [illegible] مراقي شرفا وقد تفرقت

من لطائف نبذ منثورة أثناء الكلام نثر الورود :: وتتناهى إن شاء الله منظومة مع أشكالها
نظم العقود في قصيدة جيدة مطيلة للأب عبد الله بن أبي الخطاب خاتمة رؤساء الكتاب
والعلماء المبرز في هذا الباب :: متضمنة مع امتداح المناقب :: ومتمادح الحسب الثاقب
في ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ومناقب أصحابه قرأتها على شيخنا
الخطيب أبي القاسم بن حبيش عنه بعد أن رأيت أن أورد هنا ما يختص بهذا النسب الكريم
على الاختصار يعني إن شاء الله بالغرض المروم :: إذ الكلام المنظوم الخزب جزيا على
ذلك النحو أحفز في إيثار ذلك وإدالة بالمستحسن **وأولها**

ألا ما لقلبي والفؤاد بيثرب — وإن بها قلبي عن مطلع الوحي مغرب
أعلل بالآمال نفسا أغرها — بتقديم غايات وتأخير مذهب
وتثنيني عن الأيام زورة أحمد — فهل ينقضي ديني ويقرب مطلب
وهل أرد في ظل الرسول بطيبة — جنابا تزداد خيرا ويا طيبا مشرب
وهل فضلنا من ركب الخيم فضلة — تبلغني أم لا بلاغ لمركب
ألا ليتنا زادي نشر به من صباحها — وهل مثلها زادا تعلق من ذنب
ويا ليتني فيها إلى الله ظاعن — وقلبي عن الإيمان غير مقلب
ولي أمر أواري التبيع عقامة — في زمن تلقى بسفل ومرحب
وفي ذمة من خير موطني البشر عن — تغلفه حبلة لا يعزب
وما في أشهر الجنان بعزمة — يصول عليها كل كلام ومسبب
وماذا الذي يثني عناني وأنني — بجواب إلى كثير التقلب
أبقى مع حقوق لله نعمة — وبين تقرب فازوا قبل أن يقرب
وكم مرة نفسي على البعد والنوى — على مثل جمر الشمعدي المذرب
وكم عزمة في غير حق فعلتها — بجهلا لذات الله كان تغرب
وكم قد لقيت بالذي رمت قاصدا — وأخطأني ما ناله من تقرب
أراد وأغنوا وعلا الدهر فاعترا — بما نعرف الدهر فم وتكلب
أما فيه قد أفنى الشباب — أتنكرها وكيف بما أضحى الشباب المشيب
وقد كنت أسرى في الظلام بأدهم — فها أنا الغر في الصباح بأشهب
فمالي وأنى لي بريح تحملني — إلى ذروة البيت الرفيع المنصب
إلى الهاشمي ذا النجيم **محمد** خاتم الرسل الكريم المقرب

إلى صفوة الله ذا الأمين لوحيه أبي القاسم الهادي إلى خير مشعب
إلى أن الذي يختار إليه صبغ مجده ولما تصفح شمسه كان بدر غيهب
إلى المصطفى من مجمع آدم في الذرى مرة في سر الصريح المهذب
إلى من تولى الله تطهير بيته وعصمته من كل عيب ومشعب
فجاء به العرض من كل وصمة فما شئت من أم حصان ومن أب
كروض الربى كالشمس في رونق الضحى كما منشىء ماء السحب قبل التصوب
عليه من الرحمن عين كلاءة تجنبه الملام كل مجنب
إذا اعترضت أعراقه عن قبيلة فما اعترضت إلا من منجب
وما عبرت إلا على مسلك الهدى ولا عثرت إلا على كل طيب
فمن مثل **عبد الله** خير لذاته **و** **آمنة** في خيرها ومنصب
إذا اتصلت جاءت بطالع الأملاك تعولة كأسر الشهر من كل الشهر أغلب
ولا خال إلا دون سعد بن مالك ولو كان في عليا معد ويعرب
ومن كان خير كشيبة في الندى وساقي الحجيج بين شرق ومغرب
له سود ذا البطحاء غير مراقع وحومة ما بين الصفا والمحصب
أبو الحرث الشامي إلى كل زولة يقصر عن إدراكها كل كوكب
به ونما في بني ذلكم أمانة حمى الله ذا الله البيت من كل مرهب
وأهلك بالطير الأبابيل جمعهم فيا لهم من عارض غير خلب
وفي ماء زمزم الشيبة الحمد آية تلوح لعين الناظر المتعجب
وفي ضربه عند الفراح من وقعة ومن يرمي بين العيون والانصاب نهب
وما زال يرمي والسهام تصيبه إلى أن وفته الكوم من يثرب أن حب
وكانوا أناسا كلما أمهم أذى تكشف عن صنع من الله معجب
وعاشر بنو العاجات ببيم وأحصنوا وأن أصبحوا في منزل غير مخصب
وهم في المعالي هاشم وش... يرعوا كل أغبر مجدب
بمشتى جفان كالجوابي منيخة مطل عنبها السماح المرغب
هو السيل المتبوع والقمر الذي على صفحتيه في الرضا ما مرهب
بنى الله للإسلام عزا بصهره إلى منتهى لا يجتليه من التترب
وعبد مناف دوحة الشرف الذي عرعر منها كل أروع محرب

مطاع قريش والكفيل بعزّ ما وما بعدها من كل ضيم ومنهب
وزيد وعمرو زيد قصي مجمع سمعت وبلغنا وحسبنا فادأب
به اجتمعت اخبار فهر واظهرت مراتب ابعاد وكل مقرب
واصبح حكم الله في البيت ثم حوله من ساد بين ومخصب
وما اسلمته عن تواضع اعنة ولا كان غافلا بهنا باجرب
وكان قريش من كلاب بن مرة بعز احكاما او بعزوهم حسب
ومرة ذو بعقب لدى الحرب مرة وفي السلم بغيث الجود جرى المرزب
وكعب عقيل الجود والحلم والتقى والعلم الغر المبشر بالنبي
خطيب لؤي واللواء بكفه لغالبة ذات العجة مقنب
واول من سمى العروبة جمعة وصير اما بعد تلغي ويكتب
وارخ آل الله دهرا بموته بسنين سرى تتغيب كعب المحجب
واضحى لؤي غالبا كل ماجد ومن غالبه يتميه للمجد يغلب
وفهر ابو الاحيال جامع شملها وكانشامهم فهم خم منقب
تعزت فاضحت قريش بفضله وسر قصر واحلة المناوب
وغادر للاسماء في الكتاب منهم لاحمد في ابيه كل معرب
ومالك النضر بن ماله كل مالك بتنا النضر حاتم السيادة بل حبي
نمو الليث في الهيجا والغيث في الثرى وبدر الدياجي حين يسري ويحتبي
تردى بقضايا على الفخر نسجه وليس عليه مكنه يسحب
واعرض عمر من كنانة راخي يساق الى المواجه كل مغرب
وخيم حلمه في التصميل وادعا او البيت اوجه على الذم معجب
فلم يقتصر واختار كلا مجازله الغاية الغر الغرير المعقب
له البيت محفوف وعز مخلد واخر يعتب الى جنب اشهب
وخزيمة اتاه العطاء خزيمة فلاذ وابا خلا والذكول المعرب
عظيم يسامي بيت سود بن اسلم بكل قطاعي كريم معصب
ومدركة ذو الجود والنجل عامر وخير مسمى في العلو وملف
تراءت مهجلا الى تميم صبوة بفرح كها من لم يخيب
كلام الجبال الشم والفخر والحصى تبرق ان يستهب دار الارض كب

كأن شمس

وإنباتهم ماوى الناس في كل ازمة ومفزعهم في كل خوف ومرهب
وزاجرهم اذ نزلوا ابن علة واضحوا بلاها دركا متحوب
وجاءهم بالدين يعز هلاكه وقد كان في صرع من الارض انكب
وما هو دلا معجز لسواه وتشرق عقبى للبشير المعقب
وحج وامري النزل اغر مشيع نهاهم وضح الحج لم تترتب
وكم حكمة لم تسمح دلاده مثلها الدان تلج في ناظر الغير تكتب
الى فتح تسمية سواه ابنه كلا هو فيه من معقل المتهب
وفي مضر تاج الكلام واقبلنا مآثر سنن كل وجه ومذهب
وجئنا وكان النجوم بجمعها باكن منها في الغرير واثقب
هنا لك اتى الله مرشدا فضله ونيل مهدي سبيل ولا اخر كب
وكان اشفقني بنعمة بنقاوتا بعلم وحكم ما الله من معقب
وما منهما الا حنيف ومسلم على نهج اسمعيل غير منكب
وقد سلم من لا يعي بنحران حكمة البيم ولم ينتقل الى متعقب
ربي اقمنا ابن له عن تجارة وكان بسلع فاستحال لاناب
ونادى علامات السؤال كلها تسير الى منظورها المترقب
وقال رسول الله مهمي اختلفتم ولم تعرفوا فصر السبيل الملحب
ففي مضر جرثومة الفخر فانمووا الى مضر تلقوه لم تشعب
وما سيل ذلكم ان يلقونه ومر فاته تبرز الرجى لم يؤنب
فربيع معد والذي سار قبله مسابهم شعبا من الدهر ناب
ابو النجم البنيان اعوادها التي بها ثبتت دهرا فلم تتقلب
ولم يكتب حتى اغاثت معاته بكل عتيق منهم يهمي مقرب
وجاء معد والنماء شموسها واقمارها في ذيله المتسحب
وبين يديه لا نجم الا يعدّ بينهما على الارض حتى لا مساغ لا جنب
وفرما تعقبي الله من تحت نجم به والنور من هاليك ومغرب
وجنبه ارض الانوار وحازه الى المعقل من حوزه متاشب
وحل بارميته تحت حفظه كريم ملاذ عن جانبيه مريب
بلما تحلى من وضع اسري بعنزيا بحرم امن لا نيابه اجنب

وقد كان رضي الله عنهم كليمه لياليَ يرجون قوله المتغضب
وجاء بنو يعقوب يشكون منهم ينادونه هذا قتيل وهو أشبي
فقال له لا تنزع موسى عليهم فمنهم نبي أصطفيه وأجتبي
أحبهم فيه رضي وأحبه كذلك من أحببته يحيى ويحبب
وأغفر ان يستغفروني ونوبتهم ومنهم على ذا الاجابة وأقرب
فقال إلهي فاجعلهم رب أمتي فمن ترتضيه يا رب من غير غضب
فقال هم في آخر الدهر صفوة يقصون آثارا وقد يستنصرون بدب
دعائم ايمان وكان سوده في مضيعا يعلاها فمن دينا بحلحب
ومضعفر عز ثان الى جرهم ادم با أبتر من قصر الضياح وانجب
وتممني رسول الله صنو وجوهها وكان لنا في تقحمها شرّ نهب
وذلك ان الى الجميع مال ونشأ من فهر ابن سلالة أشهب
وواجه أعمر اولاتنى بكل من يرى واسمع اسماعيل عودة مكتب
وقام خليل الله يتلوه ان اغرم صاحبي باذهم عتبهي
الى الناجم بن الشارخ النعمى بن تيفي ولعرابع ثم ابعاسم الشامخ ذا اب
ويعبر بمعيد الى المجبر شالخ الى الرابع ابو نفاب يرطو وكهيب
يسام أبي الشامين كهوا سماهم بنوح لمنكان العلى المنوب
كاهر يسهم الرابن من معا الهل لقنين ثم القاهر المنهب
الى هبة الرحمان شيت بن ادم أبي البشر ذا العلى لكبير لاثلب
فمنه خلفنا ثم فيه معادنا ومنه الى عدن يسير وفي رب

وهنا انتهى ما تيسر المنتمي العلي من هذه الكلمة التي قرن بالخصا
في ذا الخسان الغرب فاقتصرت منها واوفي بالغرض المقصود. واستوفى رجال
النقب المجيد والحسب الثليل تخجيلا لفرى المستبين واكتفاء من النعلا
بالغر المحيط بالجميع، واتما ان شاء الله لكافية في الباب، ومقرفة في ذكر الالباب:
وتحققه انما يغري في قدرها اولو الالباب. والله يجعلنا في قابلها الحسنى ويتقبلها
بفضله ذا الشتنى **و** اذ قد انتهينا الى ما حسن لدينا ان اذ له في هذا المعنى وصه
وذكرا. وتحرمنا النسب ذا الشرف نظما ونثرا. فلنعرج على ذكر البقعة التي اخترها
الله لرسوله الكريم منشا. وجعلها للعابد قرارا ومثوى. واولية البيت العتيق

الذي جعله مثابة للناس وأمنا للناس ورفعه على افضل القواعد واكرم ذا ماشر
ثم جاء ذا ان حرم من حنده ريعا للشبهة في شرعه وذا التنافس **ثم** نذكر من وليه
من ابائه الكرام الذين اهله ذا الخفون، وأوليائه ذا حقيا به ذا الخلون ونعو
ما اثرتهم التي لم يزالوا في اهلها اصطون من حرامعا يواصون وشان المجيد الذي
انبثم يعتزي واليه يعزون. وبسببها شرفه يعرفون وباسمه يدعون ويتميز
الى حرمه العظيمة في الحرمات. وماذا الله من تغاله بسوء او أتى فيه بامر من نوع
مشتوم من اليم العقوبات وعظيم النقمات. لنجمع ما الله كما حرمنا المجيز ونقضي
حق امكان الشريف كما قضينا حق الحسب الثليل والتعريف. حتى نخلص الى ذكر
المولد المبارك الذي منه تدرج الى المقصود الذي نحن عليه عاملون ولتمامه
امكون رجاء ان نجرد له مدخورا عند المولى الذي يضاعف لعبده الحسنات
ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون.

ذكر اولية بيت الله المحرم وركنه المستلم ومن تولى بناءه من ملائكته وانبيائه صلى الله على جميعهم وسلم

قال الله العظيم ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
فيه ءايات بينات مقام ابراهيم **وفي الصحيح** من حديث ابي ذر الغفاري
انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مسجد وضع في الارض اول فقال له المسجد
الحرام قال قلت ثم اي قال ثم المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما
وذكر الزبير بن ابي بكر باسناده الى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه
قال كنت مع ابي محمد بن علي بمكة في ليالي العشر قبل التروية بيوم او يومين
وابي قائم يصلي في الحجر وانا جالس وراءه فجاء رجل ابيض الراس واللحية جليل
العظام بعيد ما بين المنكبين عريض الصدر عليه ثوبان غليظان في هيئة
المحرم فجلس الى جنبه فخفف ابي الصلاة فسلم ثم اقبل عليه فقال له الرجل

يا أبا جعفر أخبرني عن بدء خلق هذا البيت كيف كان، فقال له أبو جعفر محمد بن
علي ممن أنت يرحمك الله، قال رجل من أهل الشام، فقال محمد بن علي إن حديثنا
إذا سقط إلى أهل الشام جاء صحيحاً وإذا سقط إلى أهل العراق جاء، فتساوم فيه بزيادة
ونقص، ثم قال إن بدء خلق هذا البيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة إني جاعل
في الأرض خليفة فردوا عليه أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وغضب عليهم فعاذوا
بالعرش وطافوا حوله سبعة أطواف يسترضون ربهم حتى رضي عنهم وقال لهم ابنوا
لي في الأرض بيتاً يعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ويطوفون حوله كما
فعلتم بعرشي فأرضى عنهم، فبنوا له هذا البيت فهذا بدء خلق هذا
البيت، فقال له الرجل يا أبا جعفر فما بدء خلق هذا الركن، **فقال**
إن الله تبارك وتعالى لما أخذ الخلق قال لبني آدم ألست بربكم قالوا بلى وأقروا
وأجرى نهراً أحلى من العسل وألين من الزبد، ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر
فكتب إقرارهم وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ألقم ذلك الكتاب هذا الحجر
فهذا الاستلام الذي ترى إنما هو بيعة على إقرارهم بالذي كانوا أقروا به
وقال جعفر بن محمد كان أبي إذا استلم الركن قال اللهم أمانتي أديتها وميثاقي
وفيت به ليشهد لي عندك بالوفاء، **قال** وقام الرجل فذهب فقال جعفر بن
محمد فأمرني أبي أن أرده عليه فخرجت في أثره وأنا أراه يقول بيده وبينه إلى ... ثم
حتى دخل نحو الصفا فتبصرته على الصفا فلم أره ثم ذهبت إلى المروة فلم أره
فرجعت إلى أبي فأخبرته فقال لي أبي لم تكن تجده وذلك الخضر عليه السلام
وخرج الترمذي من حديث عبد الله بن عباس وصححه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا
بني آدم **ومن حديث** عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً قال إن الركن والمقام
ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لأضاء نورهما ما بين
المشرق والمغرب **ومن حديث** ابن عباس أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد
على من استلمه بحق **وذكر** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري من حديث عبد الصمد
ابن معقل ابن أخي وهب بن منبه يقول إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض فرأى
سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال يا رب أما لأرضك هذه عامر يسبح بحمدك ويقدس لك

غيري، قال الله تعالى إني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدس لي، وسأجعل
فيها بيوتاً ترفع لذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي، وسأجعل من تلك
البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي وأعليه بعظمتي وجلالي
ثم أنا مع ذلك في كل شيء ومع كل شيء، أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته
من حوله ومن تحته ومن فوقه، فمن حرمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي، ومن أخاف
أهله فقد أخفر ذمتي وأباح حرمتي، أجعله أول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً
يأتونه شعثاً غبراً على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجاً
ويثجون بالبكاء ثجيجاً ويعجون بالتكبير عجيجاً فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني
[illegible] وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلاً بحاجته
تعمره يا آدم ما كنت حياً ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد
أمة وقرناً بعد قرن. **وفي حديث** غير هذا عن عطاء وقتادة أن آدم
عليه السلام لما أهبطه الله من الجنة وفقد ما كان يسمع ويأنس إليه من أصوات
الملائكة وتسبيحهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وصلاته فوجهه إلى
مكة وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن، وقال
الله له يا آدم إني قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده
كما يصلى عند عرشي فانطلق إليه آدم فطاف به فلم يزل من ولده الأنبياء الذين كانوا
يطوفون به حتى بعثت تلك الياقوتة حتى أمر الله إبراهيم عليه السلام ببناء البيت
فبناه فذلك قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت الآية. **وعن** ابن عباس
أن الله أوحى إلى آدم أن لي حرماً بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتاً فيه ثم حف به
كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي
فقال آدم أي رب وكيف لي بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدي لمكانه فقيض الله له ملكاً
فانطلق به نحو مكة وكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة ومكان يعجبه قال للملك
انزل بنا هاهنا فيقول له الملك أمامك حتى قدم مكة فبنى البيت من خمسة أجبل من
طور سيناء وطور زيتا ومن لبنان والجودي وبنى قواعده من حراء، فلما فرغ
من بنائه خرج به الملك إلى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس اليوم
ثم قدم به مكة فطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات بها. **وفي**
رواية أنه حج من الهند أربعين حجة على رجليه. **وذكر** الواقدي عن ابن أبي [illegible]

ابن سليمان بن ابي حثمة العدوي قال قلت لابي جعفر محمد بن علي يا ابا جعفر حدثني عن بناء البيت
ونزول اسماعيل عليه السلام الحرم قال يا ابن اخي سألتني عنه على شأنه مني بابي
احدا من قبلك الا ما لا يعلمه غيري قال لما كنت سبعة عشر اذ كرلة انه له بعرانه ان بيقول
مثل قولك ذلك وكان قد كبر ورق وضعف فرحلت عليه يوما ونفوسهم وبعد الخاشع
حدثنا الذي سألتني عنه ان البيت منا من حرم في السماء الخامسة وحد الارض السابعة
يعني انه ما يقابله حرم وان ادم عليه السلام امر بان يبنيه فبناه هو وحواء
آسساه يعني امثال الخليقات يعني الذوق التي في بكونها في الجنة واجرتها
خليقة اذن الله عز وجل للضجي ان تفيئهما ثم نزل البيت من السماء من ذهب احمر وكلل
به من اهل مكة سبعون الف ملك يوضعونه على ادم عليه السلام ونزل الركن
وهو يومئذ درة بيضاء ووضع موضعه اليوم من البيت وطاف به ادم وطاف به
فلما مات ادم عليه السلام وليه بعده ابنه شيث فكان كذلك حتى جاء
نوح عليه السلام فلما كان الغرق يعني الطوفان بعث الله عز وجل له سبعين الف
ملك فرفعوه الى السماء كيلا يصيبه الماء والحجر وبقيت قواعده وجاءت السفينة
فدارت به سبعا **ثم** دثر البيت فلم يحجه من بين نوح وبين ابراهيم احد من الانبياء
على جميعهم السلام **وعن** غير الواقدي في غير حديث ابن الجهم ان شيث
بن ادم عليهما السلام هو اول من بنى الكعبة وانها كانت قبل ان يبنيها خيمة
من ياقوتة حمراء يطوف بها ادم ويأنس بها لانها انزلت اليه من الجنة وكان قد حج
الى موضعها من الهند **وفي** الخبر ان موضعها كان غثاء على الماء قبل ان يخلق الله
سبحانه السماوات والارض فلما خلق الله تعالى الاشياء خلق التربة قبل السماء
فلما خلق السماء وقضاهن سبع سماوات دحا الارض من تحتها واثما دحاها من
تحت الكعبة فلذلك سميت مكة ام القرى **وذكر** ابن هشام ان اهل
تعظيم الكعبة حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت هي في الهواء الى السماء وان نوحا
قال لاهل السفينة وهم تطوف بالبيت انكم في حرم الله وحول بيته فاحرموا لله ولا
يمس احد امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح بان يسود
لون بنيه فجاء بنيه الله على حوما علا راسود كوش بن حام وذلك الى يوم القيامة
وقيل في سبب دعوته عليه غير هذا فالله اعلم **ويروى** انه لما نضب
ماء الطوفان يعني مكان البيت ربوة من مدرة فحجه الله بعد هود وصالح

ومن امس عمهما ان يغرب قال هود عليه السلام الا تبنيه قال انما بنيه
نبي كريم ياتي من بعدي يتخذه الرحمن خليلا **قال** ابو الجهم في حديث الواقدي
حتى اراد الله عز وجل بابراهيم ما اراد وولد له اسماعيل وهو ابن سبعين سنة
فكان يحج ابيه **فلما** اراد الله عز وجل ان يبوئ لابراهيم مكان البيت واعلامه
اوحى الله اليه يامره بالمسير الى بلد الحرام فركب ابراهيم البراق وحمل
اسماعيل امامه وهو ابن سنتين وهاجر خلفه ومعه جبريل يدله على موضع
البيت ومعالم الحرم فكان لا يمر بقرية الا قال له ابراهيم بهذه امرت يا جبريل
فيقول جبريل لا حتى قدم به مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر والعماليق
يومئذ حول الحرم وهم اول من نزل مكة ويكونون بعرفة وكانت المياه يومئذ
قليلة وكان موضع البيت قد دثر وهو ربوة حمراء مدرة وهو يشرف على ما
حوله **فقال** جبريل حين دخل من كداء وهو الجبل الذي يطلع على الحجون
والمعلاة بهذه امرت فقال ابراهيم بهذه امرت قال نعم فانتهى الى موضع البيت
فعمد ابراهيم الى موضع الحجر فتكلاون فيه هاجر واسماعيل وامر هاجر ان تتخذ
فيه عريشا فلما اراد ابراهيم ان يخرج ورأت ام اسماعيل انه ليس بحضرتها
احد من الناس ولا ماء خافت الضيعة على ابنها في مكانه فتبعت ابراهيم فقالت
يا ابراهيم الى من تدعنا فسكت عنها حتى اذا دنا من كداء قال الى الله عز وجل اكلكم
قالت فالله عز وجل امرك بهذا قال نعم قالت فحسبي لن يضيعنا الله وانصرفت
هاجر الى ابنها وخرج ابراهيم حتى وقف على كداء ولا بناء ولا ظل ولا شيء يحول
دون ابنه فنظر اليه فادركه ما يدرك الوالد من الرحمة لولده فقال ربنا اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ما نخفي
وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء **ثم** انصرف ابراهيم
راجعا الى الشام وعمدت هاجر فجعلت عريشا في موضع الحجر من سمر وثمام
القته عليه ومعها شن فيه شيء من ماء فلما نفد الماء عطش اسماعيل وعطشت
امه فانقطع لبنها فاخذ اسماعيل كهيئة الموت فظنت انه ميت فجزعت
وخرجت جزعا ان تراه على تلك الحال وقالت يموت وانا غائبة عنه اخف علي وعسى
الله ان يجعل لي في ممشاي خيرا فانطلقت فانتهت الى جبل الصفا فاشرفت عليه

تستغيث ربها عز وجل وتدعوه ثم انحدرت الى المروة فلما كانت في الوادي خبت حتى
انتهت الى المروة ففعلت ذلك سبع مرار فلما اشرفت على الصفا نظرت الى ابنها فوجدته
على حاله واذا اشرفت على المروة فمثل ذلك فكان ذلك اول السعي بين الصفا والمروة
وكان من قبلها يطوفون بالبيت ولا يسعون بين الصفا والمروة ولا يقفون المواقف
حتى كان ابراهيم فلما كان الشوط السابع وقد يئست سمعت صوتا فـ
فاستمعت فلم تسمع ذلك اولا وظنت انه شيء عرض لسمعها من الظما والجهد
فنظرت الى ابنها فاذا هو يتحرك فاقامت على المروة قليلا ثم سمعت الصوت
ذلك فقالت اني سمعت صوتك فاغثني ان كان عندك خير فاغثني فاني قد
هلكت وهلك ما عندي فخرج الصوت يصوب بين يديها وخرجت تشتد فزنويتا
له بنفسها حتى انتهى الصوت عند راس اسماعيل ثم بدا لها جبريل فانطلق بها حتى
وقف على موضع زمزم فضرب بعقبه مكان البير فظهر الماء فوود الارض حين
تحوض بعقبه وفارت بالرواء وجعلت ام اسماعيل تحظره بالتراب خشية ان
يفوتها قبل ان تاتي بشنتها فاستقت وبادرت الى ابنها فسقته وشربت فجعل
ثدياها ينبعث ان لبنا فكان ذلك لها ابدا فكان ماؤها شرابا لاسماعيل وكانت تجتزي
بماء زمزم **فقال** لها الملك لا تخافي ان ينفد هذا الماء وابشري فان ابنك سيشب
وياتي ابوه من الشام فيبنون ها هنا بيتا ياتيه عباد الله من اقطار الارض ملبين
لله جل ثناؤه شعثا غبرا فيطوفون به ويكون هذا الماء شرابا لضيفان الله عز
وجل الذين يزورون بيته فقالت بشرك الله بخير وطابت نفسها وحمدت الله
عز وجل واقبل غلامان من العماليق يريدان بعيرا لهما اخطاهما وقد عطشا
واهلهما بعرفة فنظرا الى طير تهوي قبل الكعبة فاستنكرا ذلك وقالا انى يكون الطير
على غير ماء فقال احدهما لصاحبه امهل حتى نبرد ثم نسلك في مهوى الطير فابردا
ثم تروحا فاذا الطير ترد وتصدر فاتبعا الوارد منها حتى وقفا على ابي قبيس فنظرا
الى الماء والى العريش فكلما هاجر وسالاها متى نزلت فاخبرتهما وقالا لمن هذا
الماء فقالت لي ولابني فقالا من حفره فقالت سقانيه الله جل ثناؤه فعرفا انه لا
يقدر على ان يحفر هناك الماء وعهدهما بما هناك قريب وليس به ماء ثم رجعا الى
اهلهما من ليلتهما فاخبراهم فتحولوا حتى نزلوا معها على الماء فانست بهم ومعهم
الذرية فنشا اسماعيل مع ولدانهم وكان ابراهيم يزور هاجر في كل شهر على البراق يغدو

غدوة

غدوة فياتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام فزارها بعد ونظر الى من هناك
من العماليق والى كثرتهم وعمارة الماء فسر بذلك **ولما** بلغ اسماعيل عليه السلام
تزوج امراة من العماليق فجاء ابراهيم زائرا لاسماعيل واسماعيل في ماشيته يرعاها
ويخرج متنكبا قوسه فيرمي الصيد مع رعيته فجاء ابراهيم عليه السلام
الى منزله فقال السلام عليكم يا اهل البيت فاسكتت فلم ترد ذلك ان تكون ... في
نفسها فقال هل من منزل قالت لا هيم الله اذن قال فكيف طعامكم ولبنكم وشاؤكم
فذكرت جهدا فقالت اما الطعام فلا طعام واما الشاء فانما نحلب الشاة
بعد الشاة المصر واما الماء فعلى ما ترى من الغلظ قال فاين رب البيت
قالت في حاجته **قال** فاذا جاء فاقرئيه السلام وقولي له غير عتبة بيتك
ورجع ابراهيم الى منزله واقبل اسماعيل راجعا الى منزله بعد ذلك بما شاء الله عز
وجل فلما انتهى الى منزله سال امراته هل جاءك احد فاخبرته بابراهيم وقوله
وما قالت له ففارقها واقام ما شاء الله ان يقيم وكانت العماليق ولاة الحكم
بمكة فضيعوا حرمة الحرم واستحلوا منه امورا عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالون
فقام فيهم رجل منهم يقال له عملوق فقال يا قوم ابقوا على انفسكم فقد رايتم وسمعتم
من اهلك من صدر الامم فلا تفعلوا تواصلوا ولا تستخفوا بحرم الله عز وجل
وموضع بيته فلم يقبلوا ذلك منه وتمادوا في هلكة انفسهم **ثم** ان جرهما
وقطوراء وهما ابنا عم خرجا سيارة من اليمن اجدبت البلاد عليهم فساروا
بذراريهم واموالهم فلما قدموا مكة راوا بها ماء معينا وشجرا ملتفا ونباتا كثيرا
وسعة من البلاد ودفئا في الشتاء فقالوا ان هذا الموضع يجمع لنا ما نريد
فاعجبهم ونزلوا به وكان لا يخرج من اليمن قوم الا ولهم ملك يقيم امرهم سنة فيهم
جرت عليها واعتادوها وكان ملك ... فكان مضاض بن عمرو على قومه بني
جرهم اعلا مكة فقعيقعان فما حاز ونزل السميدع بقطوراء اسفل مكة باجياد
فما حاز وقد كانت العماليق الى ان نازعوهم امرهم فغلبت جرهم على العماليق واخرجوهم
من الحرم كله فصاروا في اطرافه لا يدخلونه فجعل مضاض والسميدع يقطعان
المنازل المورد عليهما من قومهما ... فكان مضاض يعشر كل من دخل مكة
من اعلاها وكان السميدع يعشر كل من دخل من اسفلها وكل على قومه لا يدخل احدهما

على صاحبه وكانوا قوما عربا وكان اللسان عربيا **و**كان ابراهيم يزور اسماعيل
بلما نظر الجرهم نظر الى لسان فعجب وسمع كلاما حسنا ونظر اسمعيل الى رعلة
بنت مضاض بن عمرو الجرهمي فاعجبته فخطبها الى ابيها فتزوجها فجاء ابراهيم زائرا لاسماعيل
فجاء الى بيت اسماعيل فقال السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله فقامت اليه
المرأة فرحبت به ورحبت عليه فقال كيف عيشكم وبنكم وماشيتكم قالت خير عيش
نحمد الله عز وجل نحن في لبن كثير ولحم كثير وماء طيب قال هل من حب قالت يكون
ان شاء الله ونحن في نعم قال بارك الله لكم **قال ابو جهم** فكان ابي يقول
ليس احد يخلو على اللحم والماء بغير مكة الا اشتكى بطنه ولعن ثور جزعنه نعما
حبا لدعا فيه بالبركة فكانت ان تحرز **ويقال** ان ابراهيم قال لها ما
طعامكم قالت اللحم واللبن قال فما شرابكم قالت اللبن والماء قال بارك الله لكم في
طعامكم وشرابكم ابكم بالبركة ونثر اب قالت بأبي انزل رحمك الله فاطعم واشرب
قال اني لا استطيع النزول قالت فاني اراك شعثا افلا اغسل رأسك وادهنه قال بلى
ان شئت فجاءته بالمقام وهو يومئذ حجر ابيض مثل المهاة ملقى في بيت
اسمعيل فوضع عليه قدمه اليمنى وقدم اليها رأسه وهو على دابته فغسلت شق
رأسه الايمن فلما فرغت حولت له المقام حتى وضع قدمه اليسرى وقدم اليها رأسه
فغسلت شق رأسه الايسر فالاثر الذي في المقام من ذلك قال ابو الجهم فعفر اثر
موضع العقب والاصبع **وعن** الواقدي وغير حدثنا ابي الجهم عن ابي سعيد الخدري
سأل عبد الله بن سلام عن الاثر الذي في المقام فقال كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم
ولكن الله جل ثناؤه اراد ان يجعل المقام آية من آياته **قال ابو الجهم** فلما ان مضى
يعني المرأة بغسل رأس ابراهيم عليه السلام قال لها اذا جاء اسمعيل فقولي له اثبت
عتبة بابك فانها صالح المنزل **فلما** جاء اسمعيل قال هل جاءك احد بعدي
فاخبرته بابراهيم وبما صنعت به ثم قال لها هل قال لك ان تقولي لي شيئا قالت نعم قال
اثبت عتبة بابك فانها صالح المنزل العتبة ففرح اسمعيل وقال اتدرين من هو قالت لا
قال هذا خليل الله ابراهيم ابي وأما قوله عتبة بابك فمرامك انت قد قرب وقد كنت على
كرامة وقد ازددت علي كرامة فصاحت وبكت فقالت الا اكون علمت من
هو فاكرمه واصنع به غير الذي صنعت فقال لها اسمعيل لا تبكي ولا تجزعي فقد

احسنت

احسنتا ولن تكوني تقدرين ان تفعلي فوق الذي فعلت ولم يكن يزيد على الذي صنع
بك **وولد** لاسماعيل عشرة ذكور اكبرهم نابت فلما بلغ اسماعيل
ثلاثين سنة وابراهيم يومئذ ابن مائة سنة اوحى الله جل ثناؤه الى ابراهيم ان ابن
لي بيتا فقال ابراهيم اي رب اين ابنيه فاوحى الله اليه ان اتبع السكينة وهي
ريح لها وجه وجناحان ومع ابراهيم الملك والصرد فانتهوا بابراهيم الى مكة
فيها اسماعيل الى الموضع الذي بوأه الله جل وعز لابراهيم وموضع البيت ربوة
حمراء مدرة مشرفة على ما حولها فحفر ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
وليس معهما غيرهما اساس البيت يريدان اساس آدم الاول فحفرا عن ربض البيت
يعني حوله فوجدا صخرة لا يطيقها الا ثلاثون رجلا وحفرا حتى بلغا اساس
آدم ثم بنيا عليه وطوقت السكينة كانها سحابة على موضع البيت فقالت
ابن علي فلذلك لا يطوف بالبيت احد ابدا جبار ولا رأيت عليه السكينة
فبنى ابراهيم واسمعيل البيت فجعل طوله في السماء تسعة اذرع وعرضه
في الارض ثلاثين ذراعا وطوله في الارض اثنين وعشرين ذراعا وادخل الحجر وهو سبعة
اذرع في البيت وكان قبل ذلك زربا لغنم اسماعيل وانما بناه بحجارة بعضها على
بعض ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بيرا عند بابه خزانة للبيت يلقى
فيها ما اهدي للبيت وجعل الركن علما للناس فذهب اسماعيل الى الوادي
يطلب حجرا ونزل جبريل بالحجر الاسود وكان قد رفع الى السماء حين غرقت الارض
كما رفع البيت فنزل به جبريل فوضعه ابراهيم موضع الركن وجاء اسماعيل بالحجر
من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع الحجر فقال من اين هذا من جاء به فقال ابراهيم
من لم يكلني اليك ولا الى حجرك **وعن الواقدي** ايضا عن غير حدثنا ابن ابي الجهم
عن يزيد بن رومان قال سمعت ابن الزبير يقول ان ابراهيم عليه السلام ابتغى الحجر
فناداه من فوق ابي قبيس ان لك عندي وديعة فدعا ابنه ابراهيم فاخذه فوضعه موضعه
الذي هو فيه اليوم وكان الله جل ثناؤه لما غرقت الارض استودع ابا قبيس الركن
وقال اذا رأيت خليلي يبني لي بيتا فاعطه اياه **وعن**
غير ابن الزبير ان ابا قبيس انما كان يسمى في الجاهلية الامين لوفائه بما استودعه
الله اياه **قال ابو الجهم** ولما فرغ ابراهيم من بناء البيت وادخل الحجر
في البيت جعل المقام لاصقا بالبيت عن يمين الداخل فلما كانت قريش قدموا الخشب

عليهم فأخرجوا الحجر وكان ما أخرجوا منه سبعة أذرع **وأمر إبراهيم**
بغير مراغد من أسفله أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال الله
جل ثناؤه أذن وعلي البلاغ فارتفع على المقام وهو يومئذ ملتصق بالبيت فارتفع
به المقام حتى كان أطول من الجبال جميعا وأدخل أصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه
شرقا وغربا يقول أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم
عز وجل فأجابه من تحت البحور السبعة ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب
من أطراف الأرض كلها لبيك اللهم لبيك أفلا تراهم يأتون يلبون فمن حج من يومئذ
إلى يوم القيامة فهو ممن استجاب لله جل وعز وذلك قول الله جل ثناؤه فيه
آيات بينات مقام إبراهيم يعني أثر قدمي إبراهيم على المقام بالحجر يعني ذلك آية
قال الواقدي وقد روي أن ذلك آية هي أثر إبراهيم على المقام **قال**
أبو الجهم فلما فرغ إبراهيم من الأذان ذهب به جبريل فأراه الصفا والمروة
وأقامه على حدود الحرم وأمره أن ينصب عليها الحجارة ففعل إبراهيم ذلك
وكان أول من أقام أنصاب الحرم ويريه إياها جبريل **فلما** كان اليوم السابع
من ذي الحجة خطب إبراهيم عليه السلام بمكة حين زاغت الشمس قائما
وإسماعيل جالس ثم خرجا من الغد يمشيان على أقدامهما يلبيان محرمين مع كل
واحد منهما إداوة يحملها وعصا يتوكأ عليها فسمي ذلك اليوم يوم التروية
فأتيا منى فصليا بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وكانا نزلا في الجانب
الأيمن ثم أقاما حتى طلعت الشمس على ثبير ثم خرج يمشي هو وإسماعيل حتى أتيا
عرفة وجبريل معهما يريهما الأعلام حتى نزلا بنمرة وجعل يريه أعلام عرفات
وكان إبراهيم قد عرفها قبل ذلك فقال إبراهيم قد عرفت فسميت عرفات فلما سبب تسمية
زاغت الشمس خرج بهما جبريل عليه السلام حتى انتهى بهما إلى موضع المسجد
اليوم فقام إبراهيم فتكلم بكلمات وإسماعيل جالس ثم جمع بين الظهر والعصر ثم
ارتفع بهما إلى الهضاب فقاما على أرجلهما يدعوان إلى أن غابت الشمس وذهب الشعاع
ثم دفع من عرفة على أقدامهما حتى انتهيا إلى جمع فنزل فصلى إبراهيم المغرب والعشاء
في ذلك الموضع الذي يصلى فيه اليوم ثم باتا حتى إذا طلع الفجر وقفا على قزح
فلما أسفر أفاضا قبل طلوع الشمس فقاما على أرجلهما حتى انتهيا إلى محسر فأسرعا
حتى قطعاه ثم عادا إلى مشيهما الأول ثم رميا جمرة العقبة بسبع حصيات

حملها

حملاها من جمع ثم نزلا منى في الجانب الأيمن ثم ذبحا في المنحر اليوم وحلقا رؤوسهما
ثم أقاما أيام منى يرميان الجمار حين تزيغ الشمس ماشيين ذاهبين وراجعين
وصدرا يوم الصدر فصليا الظهر بالأبطح وكل هذا يريه جبريل عليه السلام
قال أبو الجهم فلما فرغ إبراهيم من الحج انطلق إلى منزله بالشام فكان
يحج البيت كل عام وحجته سارة وحجه إسحاق ويعقوب والأسباط
والأنبياء بعد ذلك وحجه موسى بن عمران عليه السلام **روى الواقدي**
بإسناده إلى ابن عباس قال مر موسى عليه السلام بصفاح الروحاء يلبي تجاوبه
الجبال عليه عباءتان قطوانيتان من عباء الشام **وعن** جابر بن عبد الله قال حج
هارون نبي الله البيت فمر بالمدينة يريد الشام فمرض بالمدينة فأوصى
أن يدفن في ظل الجبل ولا تعلم به يهود مخافة أن ينبشوه فدفنوه فقبره هناك
وعن ابن عباس أن الحواريين كانوا إذا بلغوا الحرم نزلوا يمشون حتى يأتوا
البيت **وعن ابن الزبير** أن الحواريين خلعوا نعالهم حين دخلوا الحرم إعظاما
أن ينتعلوا فيه **ثم** توفى الله خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم بعد أن وجه
إليه ملك الموت فاستشفع له إبراهيم ثم أعاده إليه لما أراد قبضه فأخبره
بما أمر به فسلم إبراهيم لأمر ربه عز وجل فقال له ملك الموت يا خليل الله على أي
حال تحب أن أقبضك قال تقبضني وأنا ساجد فقبضه وهو ساجد فصعد بروحه
إلى الله عز وجل ودفن إبراهيم عليه السلام بالشام **وعاش** إسماعيل عليه السلام
بعد أبيه ما عاش وتوفي بمكة فدفن داخل الحجر مما يلي باب الكعبة وفيه دفنت أمه
هاجر قبل ذلك وكانت توفيت قبله **ولما** توفي إسماعيل عليه السلام
ولي البيت بعده ابنه نابت ولم يلد أحد من ولده غيره ثم مات فرجع الحجر مع أمه
رعلة بنت مضاض فولي البيت بعده جده مضاض بن عمرو ثم أخواله من جرهم زمانا طويلا
عليه فكانوا هم ولاته وحجابه وولاة الأحكام بمكة وكان البيت قد خلده القتيل
من أهل مكة بالنصر فأعادته جرهم على بناء إبراهيم وجعلت له مصراعين وقفلا
قال ابن إسحاق ثم إن جرهما وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك
بها ومع مضاض يومئذ بنو إسماعيل وبنو نابت وإليه ولاية البيت دون السميدع
فسار بعضهم إلى بعض فخرج مضاض من قعيقعان في كتيبته سائرا إلى السميدع
ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه فيقال

ما سمي قعيقعان قعيقعان من ذلك. وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل
والرجال فيقال ما سمي أجياد أجيادا إلا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه.
وعن ابن إسحاق يقول إنما سمي أجيادا لأن مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد
مائة رجل من العمالقة. وقيل بل إن بقعة الملوة غير مسمى بضرب رقاب فيه
كان يقال لها الشيابة فتوسعه في الأجياد وهذا وغيره أصح من تسمية الموضع بأجياد
مما قال ابن إسحاق. قال ثم نفوا بفاضح فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع
وفضحت قطورا. فيقال ما سمي فاضح فاضحا إلا بذلك. ثم إن القوم تداعوا إلى
الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا على مكة فاصطلحوا به وأسلموا الأمر
إلى مضاض. فلما جمع إليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس وأطعمهم فاطبخ
الناس وأكلوا فيقال ما سميت المطابخ المطابخ إلا لذلك. وبعض أهل العلم يزعم
أنها إنما سميت بذلك لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذي كان
بين مضاض والسميدع أول بغي كان بمكة فيما يزعمون. ثم نشر الله ولد إسماعيل
بمكة وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك
لخؤولتهم وقرابتهم وإعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال. فلما ضاقت
مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم
بدينهم فوطئوهم. ثم إن جرهم بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة وظلموا
من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها فرق أمرهم فلما
رأت ذلك بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة أجمعوا لحربهم وإخراجهم
من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة
وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجته
فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه فيقال
ما سميت بكة إلا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا
فلم يزل أهلها على وجه الدهر يصونون جنابها ويعظمونها على حرمتها. قال
إذا اجتمع رأي بني إسماعيل وخيارهم على الأمر أقاموا أحرارا في حرم الله ...
ولا عن ... منه ثم لم يبرح فيه ويقال بل كان ذلك ... أولهم فصارت
سنة فيهم يرثونها خلفا عن سلف بعدهم على ذلك يرون فيه رأيهم ويتقون مواقعة
الظلم في حرم الله والتعدي به في نفوسهم ويعتقدون أن الباغي فيه معاقب

مكة تسمى الناسة

في ذيله

في ذيله بنفسه وماله وأن الطالب عند البيت جائيا فجوب عليه مما أطلب
فبالله من فعل وقلة وأن دعاء المظلوم عنده خصوصا في الشهر الحرام مجاب في
ظالمه ويأثرون في ذلك أشياء أراها الله إياهم صونا لحرمه الكريم وتنزيها
لبيت خليله إبراهيم. ذكر الواقدي من حديثه عن عبد المطلب بن ربيعة بن
الحارث قال عدا رجل من بني كنانة من هذيل على ابن عم له فظلمه واضطهده
فناشده بالرحم وعظم عليه فأبى إلا ظلمه فقال والله لألحقن بحرم الله في هذا
الشهر ولأدعون الله عليك فقال ابن عمه مستهزئا هذه ناقتي فلانة فأنا
أركبك ظهرها فاذهب فاجتهد فأعطاه ناقته وخرج حتى جاء الحرم
في الشهر الحرام فقال اللهم إني أدعوك جاهدا مضطرا على ابن عمي فلان
ترميه بداء لا دواء له ثم انصرف فوجد ابن عمه قد رمي في بطنه فصار مثل الزق
فما زال ينتفخ حتى انشق. قال عبد المطلب فحدثت بهذا الحديث ابن عباس فقال
أنا رأيت رجلا دعا على ابن عم له بالعمى فرأيته يقاد أكمه أعمى
وعن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يسأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره
فقال الرجل يا أمير المؤمنين كنا بني ضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم وكنا نظلمه
ونضطهده فكان يذكرنا بالله والرحم وكنا أهل الجاهلية نركب كل الأمور فسكت
فلما رأى ابن عمنا أنا لا نكف عنه ولا نرد إليه ظلامته أمهل حتى إذا دخلت الأشهر
الحرم انتهى إلى الحرم فجعل يرفع يديه إلى الله جل ثناؤه ويقول

لاهم أدعوك دعاء جاهدا … اقتل بني الضبعاء إلا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا … أعمى إذا قيد يعيي القائدا

قال فمات إخوتي تسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيت أنا فعميت
ورماني الله عز وجل في رجلي وكمهت فليس يلائمني قابل. قال ابن عباس
فسمعت عمر يقول سبحان الله إن هذا لهو العجب. قال وسمعت عمر يسأل ابن عمهم
الذي دعا عليهم فقال دعوت عليهم كل ليلة في ليالي رجب الشهر كله بهذا الدعاء
فهلكوا في تسعة أشهر وأصاب الباقي ما أصابه. قال ابن عباس وعدا رجل على
ابن عم له فاستاق ذودا له فخرج يطلبه حتى أصابه في الحرم فقال ذودي فقال اللص
كذبت ليس لك فاحلف قال إذن أحلف فحلف عند المقام بالله الخالق رب هذا البيت
ما الذود لك فقال له لا سبيل لك عليه فقام رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه

يبغوا على صاحبه فما برح مقامه بغوا عليه حتى خرج إليه فذهب عقله فجعل يصيح
بمكة مالي وللترح حالي ولفلان رب إن زود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الزود
ثم معهما إلى المعلى فخرج بها وبعود آخر من أهلها حتى ترد من جبل قيقعان فأكلته
السباع. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لو وجدت قاتل الخطاب في
الحرم ما هجته. وكان يقول لأن أخطئ بركبة سبعين ذنبا أحب إلي من أن أخطئ
ذنبا واحدا في الحرم. وركبة خارج الحرم محاذية لذات عرق. وذكر عمر
رضي الله عنه يوما وهو خليفة ما كان يعاقب به من جلب ظلما يبغي في الحرم
زمن الجاهلية فقال إن الناس لم يكونوا ينهون عن ظلمهم منها ثم لا يعجل لهم من
العقوبة مثل ما كان يعجل لأولئك فما نرون ذلك قالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين
قال إن الله جل ثناؤه جعل في الجاهلية إذ كان لا دين حرمة حرمها وعظمها
وشرفها وجعل العقوبة لمن استحل شيئا مما حرم ليتنكل عن انتهاك ما حرم
بتعجيل العقوبة فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالحرم في ما انتهكوا
مما حرم الساعة فقال والساعة أدهى وأمر فأخر العقاب إلى يوم القيمة وأراهم
الله عز وجل الاستجابة بعضهم لبعض ليتناهوا عن الظلم وأخر أهل الإسلام
ليوم الجمع ويستجيب الله لمن يشاء فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين. ومن
المشهور في هذا الباب أمر إساف ونائلة وفيهما ضما قريش الأزلام أتاناهما على زمزم
ينحرون عندهما. ذكروا أنهما كانا رجلا وامرأة من جرهم إساف بن بغي ونائلة
بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين ويقال بل أحدث
فيها فمسخهما الله فالله أعلم وأمرهما مشهور فيما بلغت إليه جرهم من الاستخفاف
بحرمة الحرم وقلة مبالاتهم بالبغي فيه مع ما أراهم الله من عظيم دلالة مسخهما
حجرين فما نهاهم ذلك عن قبيح ما كانوا عليه حتى أخرجهم الله عن جوار بيته بأيدي
إخوتهم من بعاد لم يكن مراعيهم مع خزاعة ما كان فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض
الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى
اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا فقال عمرو بن الحارث
ابن مضاض هذا وليس بمضاض الأكبر

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت ... بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا ... فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته ... فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فإن تنثني الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالا وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم ... أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها ... قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة ... بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه ... يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة ... إذا خرجت منه فليست تغادر

وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا إن قصركم ... أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطي وأرخوا من أزمتها ... قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا ... دهر فأنتم كما كنا تكونونا

قال ابن هشام وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت مكتوبة في حجر باليمن ولم يسم لنا قائلها. ثم إن غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة. وغبشان لقب واسمه الحارث. وخزاعة يقال إنهم من ولد قمعة بن الياس بن مضر وإن أباهم عمرو بن لحي هو عمرو بن لحي بن قمعة وخزاعة يأبون هذا النسب ويقولون إنهم من ولد كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر من غسان. وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس فقال هلكوا فقيل له من عمرو بن لحي قال أبو معولا الحي من قريش خزاعة وهو أول من غير الحنيفية دين إبراهيم وأول من نصب الأوثان حول الكعبة فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا فرسول الله أعلم وما قاله فهو الحق وعمرو بن ربيعة الذي تنتسب إليه خزاعة يقال هو عمرو بن لحي وأن حارثة بن ثعلبة بن عمرو خلف على أم لحي

ولُحَيّ هو ربيعة بعد أن اهتصر من قمعة ولحيّ صغير فتبنّاه حارثة وانتسبا
إليه فيكون النسب على هذا صحيحا بالوجهين إلى قمعة بالولادة وبقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالولد وإلى حارثة بن ثعلبة بالتبني وذلك الانتساب به موجود
كثيرا في العرب. فلما وليت خزاعة البيت جعلوه مما كانت تأخذه أشياخهم
ثم أقروا على نفقته والذي عنده وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني ثم قومه
من بعده وقريش إذ ذاك حلول وصرم متفرقون وبيوتات منهم في قومهم من بني
كنانة فأقامت خزاعة على ولاية البيت يتوارثونه كابرا عن كابر حتى كان آخرهم
حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي وبعده انتقلت ولاية البيت
إلى قصي بن كلاب. وكان من حديث قصي أنه لما هلك أبوه كلاب بن مرة خلف
ابنيه زهرة وقصيا مع أمهما فاطمة بنت سعد بن سيل من عذرة وزهرة يومئذ
رجل وقصي فطيم فقدم مكة بعد هلاك كلاب حاج من قضاعة وهو ربيعة بن حرام
ابن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة فتزوج فاطمة بنت سعد فاحتملها إلى بلاده فاحتملت
ابنها قصيا لصغره وأقام زهرة في قومه فولدت فاطمة لربيعة رزاحا وكان أخا
قصي لأمه وكان لربيعة بنون ثلاثة من امرأة أخرى وهم حن ومحمود وجلهمة
بنو ربيعة. وأقام قصي بأرض قضاعة لا ينتسب إلا إلى ربيعة بن حرام فناضل يوما
رجلا من قضاعة يدعى رقيعا فنضله قصي وهو يومئذ شاب فغضب المنضول
فوقع بينهما حتى تقاولا وتنازعا فقال رقيع ألا تلحق ببلدك وبقومك
فإنك لست منا فرجع قصي إلى أمه وقد وجد في نفسه مما قال له فسألها عن ذلك
فقالت أوقد قال هذا أنت والله يا بني أكرم منه نفسا ووالدا ونسبا وأشرف منزلا
أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي
وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله تعرف العرب ذلك لهم البيت وقد قالت
في كاهنة رأته هذا أن ابني أمرا جليلا وطبت نفسا. فأجمع قصي الخروج
إلى قومه واللحوق بهم وكره الغربة بأرض قضاعة وضاق ذرعا بالمقام فيهم
فقالت له أمه لا تعجل حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج في حاج العرب فإني
أخشى عليك أن يصيبك بعض الناس فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرج
حاج قضاعة خرج معهم وهم يظنون أنه إنما يريد الحج ثم يرجع إلى بلادهم حتى
قدم مكة فلما فرغ من الحج أقام بها وعاتبه القضاعيون على الخروج معهم فأبى

وكان

وكان رجلا جلدا نهدا نسيبا فلم يلبث أن خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حُبّى
فعرف حليل النسب ورغب في الرجل فزوجه وحليل يومئذ يلي أمر مكة
والحكم فيها وحجابة البيت فأقام قصي معه بمكة. وولدت
له حبى بنيه عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا. فلما انتشر ولد قصي
وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة
من خزاعة وبني بكر وأن قريشا فرعة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام
وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني
بكر من مكة فأجابوه إلى ذلك وكتب عند ذلك قصي إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة
يدعوه إلى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ومعه إخوته لأبيه حن ومحمود وجلهمة
في من تبعهم من قضاعة في حاج العرب وهم مجمعون لنصر قصي والقيام معه. فلما
اجتمع الناس بمكة وخرجوا من الحج ولم يبق إلا أن ينصرف الناس كان آخر ما تعرض له
قصي من أسباب أمر الإجازة للناس بالحج وكانت صوفة هي التي تلي ذلك
مع الحج من عرفة ورمي الجمار ونحوه وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة
بن إلياس بن مضر والغوث هو أول من ولي ذلك منهم وذلك أن أمه كانت امرأة
من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت ولدا أن تصدق به على الكعبة
عبدا لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث وكان يقوم على الكعبة في الدهر
الأول مع أخواله من جرهم فولي الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به
من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد أبو الغوث لوفاء نذر
أمه: إني جعلت رب من بنيه ... ربيطة بمكة العليه ... فبارك لي بها أليه
واجعله لي من صالح البريه. وكان الغوث بن مر فيما زعموا إذا دفع بالناس
قال: لاهم إني تابع تباعه ... إن كان إثم فعلى قضاعه. وذلك
أن قضاعة كان منهم أخيلة يستحلون الحرمة في الجاهلية فكانت صوفة
تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم إذا نفروا من منى إذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار
ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه
فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل
ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له
ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه

باداه ابن عوف سرقم في الجمار واراد النفر من منى اخذ بالصوفة فجاء بنو الغوثة
فمنعوا الناس وقالوا اجيزي صوفة فلم تجز احد من الناس حتى يمروا فاذا انفضت
صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم
ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بني سعد في ال صفوان
ابن الحارث بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد فكان صفوان هو الذي يجيز للناس
بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان اخرهم الذي قام عليه الاسلام كرب
ابن صفوان وفي ذلك يقول اوس بن مغراء السعدي لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم
حتى يقال اجيزوا ال صفوانا فاما قوله في الاصبع العدواني
واسمه حرثان بن عمرو وقيل له ذو الاصبع لحية نهشته في اصبعه فقطعتها

عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض
بغى بعضهم ظلما فلم يرع على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي

فاما قوله فان الاجازة بالناس من المزدلفة كانت في عدوان وهو عدوان بن عمرو
ابن قيس بن عيلان يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان اخرهم الذي قام عليه الاسلام
ابو سيارة عميلة بن الاعزل قال حوثيب بن عمرو العدواني رايت ابا سيارة يدفع
بالناس من جمع على اتان له عوراء وذكروا انه اجاز عليها اربعين سنة
قالوا وكان اذا دفع بالناس قال اتقوا الله ربكم واصلحوا اموالكم واحفظوا
جيرانكم وقاتلوا اعداءكم اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رعائنا واجعل المال في
بايدي سمحائنا ثم يقول اصبحوا على بركة الله وفيه يقول الشاعر من العرب

نحن دفعنا عن ابي سيارة وعن مواليه بني فزارة
حتى اجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره

واما قوله حكم يقضي يعني عامر بن الظرب العدواني وكانت العرب لا يكون بينها
نائرة ولا عضلة في قضاء الا اسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختصم اليه
في بعض ما كانوا يختلفون فيه في رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا اتجعله رجلا
او امرأة ولم ياتوه بامر كان اعضل منه فقال حتى انظر في امركم فوالله ما نزل بي مثل هذه

منكم يا معشر العرب فاستاخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب امره وينظر
في شانه فلا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى
عليه غنمه فكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل واذا راحت
عليه قال مسيت والله يا سخيل وذلك انها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها
بعض الناس فلما رات سهره وقلة قراره على فراشه قالت له ما لك لا ابا لك ما عراك
في ليلتك هذه قال ويلك دعيني امر ليس من شانك ثم عادت له بمثل قولها فقال
في نفسه عسى ان تاتي مما انا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الي في ميراث
خنثى اجعله رجلا او امراة فوالله ما ادري ما اصنع وما يتوجه لي فيه وجه
فقالت سبحان الله لا ابا لك اتبع القضاء المبال اقعده فان بال من حيث يبول
الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المراة فهو امراة فقال مسي سخيل بعدها
او صبحي فرجتها والله ثم خرج على الناس حين اصبح فقضى بالذي اشارت
به عليه وهذا كله من الخبر معترض فيقطع اتصال حديث صوفة وقصي
فرجع الان الى ان نصله بموضع انقطاعه حيث ذكر امر صوفة فمن
الذي كانت تلي ذلك الاجازة بالناس من منى للدفع بهم من عرفة وان قصيا عمل
انتزاع ذلك من ايديهم وانفراده به دونهم واستغنى بالتقدم ان عن ذلك اخاه رزاحا
فوصل مع من ذكر وصول بعد فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما
كانت تفعل قد عرفت ذلك لها العرب ونحوه دينا في انفسهم في عهد جرهم وخزاعة
فاتاهم قصي بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن
اولى بهذا منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفة
وغلبهم قصي على ما كان بايديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي
وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة وانه سيحول بينهم وبين الكعبة وامر مكة
فلما انحازوا عنه باداهم واجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا
فاقتتلوا قتالا شديدا بالابطح حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا وفشت
الجراح فيهم وانتزعوا ذلك في خزاعة ثم انهم تداعوا الى الصلح والى ان يحكموا بينهم
رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة
ابن كنانة فقضى بينهم بان قصيا اولى بالكعبة وامر مكة من خزاعة وان كل دم اصابه
قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما اصابت خزاعة

وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة جميعه البينة مودة وأن يخلي بين قصي
وبين الكعبة ومكة، فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع
منها، ويقال الشداخ أيضا. **فولي قصي** البيت وأمر مكة، وجمع قومه
من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه قد أقر للعرب
ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره، فأقر آل صفوان
وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله
بذلك كله، ومرة بن عوف هم أهل الفضل ومن تقدم ذكرهم. **وأما**
النسأة فهم بنو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة
ابن مدركة بن إلياس بن مضر، وهم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية
فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ويؤخرون ذلك
الشهر، ففيه أنزل الله سبحانه: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه
عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم
والله لا يهدي القوم الكافرين. **وكان** أول من نسأ الشهور منهم على العرب
فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس، وهو حذيفة بن عبد بن فقيم
ابن عدي، وتوارث ذلك بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام
أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة وهو القلمس. **قال**
ابن ... وكان ... ذكروا أحوالهم أمورا يطول ذكرها نحوا من أربعين سنة وكانت العرب
إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجبا وذا القعدة
وذا الحجة والمحرم، فإذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه
صفرا فحرموه ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصدر قام فيهم
فقال: اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين الصفر الأول ونسأت الآخر للعام المقبل.
وفي ذلك يقول عمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة
يفخر بالنسأة على العرب:

لقد علمت معد أن قومي ... كرام الناس إن لهم كراما
فأي الناس فاتونا بوتر ... وأي الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

فهذا كان شأن النسأة في الجاهلية فأقره قصي على ما كان عليه مع

سائر ما جرى أمر العرب عليه حتى جاء الإسلام فهدم الله بذلك كله. وكان
قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة
والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعا
بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها، ويزعم الناس
أن قريشا هابوا قطع الشجر من الحرم في منازلهم، فقطعها قصي بيده وأعوانه
فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره، فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل
من قريش وما يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء الحرب لقوم غيرهم إلا
في داره، يعقده لهم بعض ولده، ولا يعذر غلام إلا في داره، ولا تدرع جارية من قريش
إلا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق به إلى أهلها
ولا تخرج عير من قريش فيرحلون إلا من داره ولا يقدمون إلا نزلوا في داره، فكان
أمره في قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره، واتخذ لنفسه
دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها.
ولما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح إلى بلاده بمن معه من قومه، فلما
استقر في بلاده نشره الله ونشر حسنا فيما ... **فهذا**
حديث قصي في ولاية البيت بعد حليل بن حبشية وإخراج خزاعة عنه. وخزاعة
تزعم أن حليلا أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر
وقال: أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي
ما طلب. قال ابن إسحاق: ولم نسمع ذلك من غيرهم، فالله أعلم. **وقد ذكر**
الواقدي والأموي على نحو ما ذكره ابن إسحاق، وقد سمعنا في ذلك وجها آخر. **ذكر**
أن أبا غبشان رجلا من خزاعة كان ولي الكعبة فباع حجابتها من قصي بن كلاب
بنعلا. **وذكر** غيره أنه باع منه مفتاح الكعبة بزق خمر، فلذلك قيل: أخسر
صفقة من أبي غبشان. **وذكر** الواقدي أيضا بإسناد له أن رجلا من قضاعة يقال
له أبو الشموس حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة حديث قصي
ابن كلاب وكيف استعان بأخوته على خزاعة، فاستمع له عمر وتعجب لأن الحديث
وقال: ذكرتنا أمرا كان حديثا، والحمد لله رب العالمين، إن الله عز وجل ليصنع لهذا
الحي من قريش، وهم أولى الناس أن يشكروا الله، وتعجب ممن ولي منهم بصنع الله لهم
جعل فيهم الإمامة وختم لهم النبوءة. **قالوا** فلما كبر قصي ورق كان عبد الدار

بكره وكان عبد مناف قد شرف في زمان ابيه وذهب كل مذهب وعبد العزى وعبد
قال قصي لعبد الدار اما والله يا بني لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك
لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا انت
بيدك ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك ولا ياكل احد من اهل الموسم طعاما الا من
طعامك ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك فاعطاه داره دار الندوة
التي لا تقضي قريش امرا من امورها الا فيها واعطاه الحجابة واللواء والسقاية
والرفادة وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصي
ابن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فياكله من لم تكن له سعة ولا زاد وذلك
ان قصيا فرضها على قريش فقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله واهل بيته
واهل الحرم وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم احق الضيف بالكرامة فاجعلوا
لهم طعاما وشرابا ايام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك
كل عام من اموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس ايام منى فجرى
ذلك من امره في الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومك
هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي
الحج **قضى** امر قصي في عبد الدار ابنه وجعل اليه كل ما كان بيده من امر
قومه **وكان** قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه **ثم** ان قصيا هلك
فاقام امره في قومه بنوه من بعده فاختطوا مكة رباعا بعد الذي كان قصي قطع
لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها
فاقامت قريش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع **ثم** ان بني عبد مناف
ابن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا اجمعوا ان ياخذوا ما بايدي بني
عبد الدار مما كان قصي جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة
وراوا انهم اولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم فتفرقت عند ذلك
قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رايهم يرون انهم احق به من بني
عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون ان لا ينزع منهم
ما كان قصي جعل اليهم فكان صاحب امر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف
وذلك انه كان اسنهم وكان صاحب امر عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار وكانت بنو اسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة

ابن كعب

ابن كعب وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة
وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص وبنو عدي
ابن كعب مع بني عبد الدار **وخرجت** عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا
مع احد من الفريقين **فعقد** كل قوم على امرهم حلفا مؤكدا على الا
يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرج بنو عبد مناف جفنة
مملوءة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم ايديهم
فيها فتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على انفسهم
فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا
على الا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم سوند بين القبائل
ولز بعضها ببعض فعبيت عبد مناف لبني سهم وعبيت بنو اسد لبني عبد الدار
وعبيت زهرة لبني جمح وعبيت تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحارث بن فهر
لبني عدي ثم قالوا لتفن كل قبيلة من عبيت اليها **فبينما** الناس على
ذلك قد اجمعوا للحرب اذ تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية
والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت
ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم
مع من حالفوا حتى جاء الله بالاسلام **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة فهذا حلف المطيبين
وقد كان في قريش حلف اخر بعده وهو حلف الفضول تداعت اليه قبائل من قريش
فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة لشرفه
وسنه فتعاقدوا وتعاهدوا على الا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها وغيرهم ممن دخلها
من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت
قريش ذلك الحلف حلف الفضول **واختلف** في السبب الذي دعا قريشا الى
هذا الحلف ولم سمي بهذا الاسم فاما ما دعاهم اليه فذكر ابن قتيبة وغيره ان رجلا
من اهل اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمرا ومعه بضاعة له فاشتراها رجل من بني
سهم ويقال انه العاص بن وائل فلوى الرجل بحقه فساله ماله فابى عليه وساله
متاعه فابى عليه فجاء الى بني سهم يستعديهم عليه فاغلظوا له فعرف الا سبيل
اليه له فطوف في قبائل قريش يستعديهم فتخاذلت القبائل عنه **فلما**

رأى ذلك قام على الحجون فقال يا آل فهر على أبي قبيس حين أخذت قريش مجالسها ثم نادى
بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
وأشعث محرم لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بني سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

فلما سمعت ذلك قريش أعظموه وتكلموا فيه فقال المطيبون والله لئن
قمنا في هذا ليغضبن الأحلاف، وقال الأحلاف والله لئن تكلمنا في هذا ليغضبن
المطيبون فقال ناس من قريش تعالوا فلنكن حلفا فضولا دون المطيبين ودون
الأحلاف فلذلك قيل له حلف الفضول فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان
وصنع لهم طعاما كثيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ معهم قبل أن يوحى إليه
فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب وزهرة وأسد وتيم فتحالفوا على أن لا يظلم
بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد إلا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويؤدوا
إليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ثم عمدوا إلى ماء من زمزم فجعلوه في جفنة
ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ثم انطلقوا
إلى الرجل الذي تعدى على الرجل المستصرخ العاص بن وائل فقالوا
والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم
أحد حقه بمكة إلا أخذوه له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام
لأجبت وحكى الزبير أيضا أنه إنما سمي حلف الفضول لأنهم تحالفوا على أن لا
يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه وقيل إنما سمي بذلك لأنه لما تداعى له من
ذكر من قبائل قريش كره ذلك سائر المطيبين والأحلاف بأسرهم وسموه حلف
الفضول تحقيرا له وقالوا هذا من فضول القوم وقيل بل كان هذا الحلف على مثال
حلف تقدم إليه نفر من جرهم يقال لهم الفضل وفضال والفضيل فسمي لذلك
هذا الحلف حلف الفضول أي ما كان من خلط بغي ما تولاه لغير [illegible] بعد
[illegible] وأثارها الفعال ما تمم فيه بركة حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
له فهو وإن كان فعلا جاهليا [illegible] إليه بحضور رسول الله
عليه السلام له وما ناله بعد النبوة فيه وأكده من أمره حكما شرعيا وفعلا

نبويا وقد نشأ بين حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة
ابن أبي سفيان زمن معاوية والوليد يومئذ أمير المدينة من قبله منازعة في مال كان
بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على حسين في حقه لسلطانه فقال له حسين
أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد
وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت
جميعا وبلغت المسور بن مخرمة الزهري فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن
ابن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد أنصف
الحسين من حقه حتى رضي ولم تكن بنو عبد شمس دخلت في هذا الحلف وقد سأل
عبد الملك بن مروان عن ذلك محمد بن جبير بن مطعم إذ قدم عليه حين قتل ابن الزبير واجتمع
الناس على عبد الملك بن مروان وكان محمد بن جبير أعلم قريش فلما دخل عليه قال
يا أبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف في
حلف الفضول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك
فقال لا والله لقد خرجنا منه نحن وأنتم قال صدقت فكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف
الفضول وكانت لهم بقايا أخلاق عظام كانوا ينتهون في جاهليتهم على مثل الخلال
الغابطة [illegible] من الله بهم ومنا منه سبحانه عليهم هم سكان الحرم المحرم
وأهل الله وحجاب بيته وأهل [illegible] وأيدوا [illegible] ومكارم
مكة وكانوا على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل صلى الله عليهما من قرى
الضيف ورفد الحاج وتعظيم الحرم ومنعه من البغي فيه والإلحاد وقمع الظالم
ومنع المظلوم إلا أنه قد حلت على أولهم أحداث غيرت أصول الحنيفية عندهم
وكان الزمان حتى أفضى ذلك بهم إلى عبادة الأوثان بشعار [illegible] وضلالات عن سنن التوحيد
تداركهم الله لذلك كله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهدى من الضلالة وعلم من
الجهالة فقيل إنه كان أول من غير الحنيفية دين إبراهيم ونصب الأوثان
حول الكعبة ودعا إلى عبادتها عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر وروى
أبو هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي
يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا أشبه

برجل منك به ولا بك منه فقال اكثم عسى ان يضرني شبهه يا نبي الله قال لا انك
مومن وهو كافر انه كان اول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة
وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي **فالبحيرة** عند العرب الناقة
يشق اذنها ولا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف او يتصدق
به وتهمل لالهتهم **و**السائبة التي ينذر الرجل ان برئ من مرضه او اصاب امرا يطلبه
ان يسيبها ترعى لا ينتفع بها **والوصيلة** التي تلد امها اثنين في كل بطن
فيجعل صاحبها لالهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها امها ومعها ذكر
في بطن فيقولون وصلت اخاها فيسيب اخوها معها فلا ينتفع به **و**الحامي
الفحل اذا نتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب
ولم يجز وبره وخلي في ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك **فلما** بعث
الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم انزل عليه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون **وذكر**
بعض اهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فلما قدم ماب
من ارض البلقاء وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام
ابن نوح راهم يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي اراكم تعبدون قالوا هذه
اصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم
افلا تعطونني منها صنما فاسير به الى ارض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال
له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه **قال**
ابن اسحق ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة في بني اسمعيل انه كان لا يظعن
من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد الا حمل معه حجرا
من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة
حتى سلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة حتى خلفت
الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا
الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من
عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف
على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس
منه **فكانت** كنانة وقريش اذا اهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك

لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه
اصنامهم ويجعلون ملكها بيده **يقول** الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اي ما يوحدونني لمعرفة حقي
الا جعلوا معي شريكا من خلقي **وقد كانت** لقوم نوح اصنام قد عكفوا
عليها قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا
لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا
وذكر الواقدي باسناد له عن ابي هريرة انه قال اول ما عبدت الاصنام في زمن
نوح عليه السلام وان ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا كانوا رجالا صالحين
من قوم نوح اهل عبادة وفضل فلما توفوا جزع عليهم اهلوهم وحشر الناس لفقدهم
فقال لهم رجل منهم الا اصور لكم صورا من خشب فتنظرون اليهم وتسكنون الى رؤيتهم
قالوا بلى ان فعلت قال انا اقدر على تصويرهم ولا اقدر على ان انفخ الروح فيهم
فجاء بالصور كهيئتهم احياء فاخذ كل امرئ منهم صورة صاحبه فوضعها
في منزله ينظرون اليها فذهب ذلك القرن وكانوا على ذلك ما شاء الله حتى
خلف خلفهم القرن ثم خلف قرن اخر ثم ثالث فغرهم فكانوا على ما كان عليه
القرون الاول حتى هلكوا ثم خلف القرن الرابع فقالوا لو انا عبدنا هؤلاء فيقربونا
الى الله ويشفعوا لنا عنده ولا يرونا الا خيرا انما نريد ما يقربنا منه فعبدوها
حتى هلكوا وعبدها من بعدهم فلما غرق قوم نوح عليه السلام
غرقت تلك الاصنام فمكثت ما شاء الله ان تمكث ثم استخرجها عمرو بن لحي
ففرقها في العرب والله تعالى اعلم **وقد خرج** البخاري في صحيحه من حديث
عبد الله بن عباس موقوفا عليه في التفسير نحو ما ذكره الواقدي مختصرا ان ودا
وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا
اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها
باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت **قال**
ابن اسحاق واتخذ اهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فاذا اراد الرجل منهم سفرا
تمسح به حين يركب فكان ذلك اخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره واذا قدم من سفره
تمسح به فكان ذلك اول ما يبدا به قبل ان يدخل على اهله **فلما** بعث الله رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها
كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها
كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانها قد عرفت انها
بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده وسيمر في تضاعيف هذا الكتاب بعض اخبار
هذه الطواغيت وكيف جعل الله عاقبة امرها خسرا وانزل الهوان باهلها وعفى
الاسلام اثارها واكمل الله تعالى دينه وتمم نوره ونعمته ونصر بالهدى
والحق ما خصم له على الدين كله ومع اصفاق العرب مضرها ويمنها على هذا
الضلال فقد كان وقع الى بعضهم باليمن من اليهودية ما دانوا به ووقع ايضا من النصرانية
بنجران من ارض العرب على ما نذكره فاما موقع اليهودية باليمن فمن جهة
تبع وذلك ان تبعا وهو تبان اسعد ابو كرب بن ملكيكرب بن زيد وهو تبع الاول ابن عمرو
ذي الاذعار ابن ابرهة ذي المنار وتبان اسعد هو الذي قدم المدينة وساق
الحبرين من يهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان قد جعل طريقه حين اقبل
من المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج اهلها وخلف بين اظهرهم
ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لاخرابها واستئصال اهلها وقطع
نخلها فجمع له هذا الحي من الانصار ورئيسهم عمرو بن طلة اخو بني النجار وقد كان
رجل من بني عدي بن النجار يقال له احمر عدا على رجل من اصحاب تبع حين نزل بهم
فقتله وذلك انه وجده في عذق له يجده فضربه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن
ابره فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار
ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم ويقول والله ان قومنا لكرام فبينا
تبع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبران من احبار يهود من بني قريظة عالمان راسخان
حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل فانك
ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نامن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك
فقالا هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في اخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى
ورأى ان لهما علما واعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما
على دينهما وهذا الحي من الانصار يزعمون انه انما كان حنقه على هذا الحي من يهود الذين
كانوا بين اظهرهم وانما اراد هلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعر له
حنقا على سبطين حلا يثربا ... اولى لهم بعقاب يوم مفسد

وذكر ابن هشام ان التبع الذي بيّنه هذا البيت مصنوع وهو تبع وقومه
اصحاب اوثان يعبدونها فوجه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان
وامج اتاه نفر من هذيل بن مدركة فقالوا له ايها الملك الا ندلك على بيت مال
اغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة
قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده اهله ويصلون عنده وانما اراد الهذليون
هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك وبغى عنده فلما اجمع لما
قالوا ارسل الى الحبرين فسالهما عن ذلك فقالا له ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك
جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه في الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه
لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فماذا تامرانني ان اصنع اذا قدمت عليه قالا تصنع
عنده ما يصنع اهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق راسك عنده وتذلل له حتى
تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما والله انه لبيت ابينا ابراهيم
وانه لكما اخبرناك ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التي نصبوا حوله
وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس اهل شرك او كما قالا فعرف نصحهما
وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم ثم مضى حتى قدم مكة
فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق راسه واقام بمكة ستة ايام فيما يذكرون ينحر
بها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل واري في المنام ان يكسو البيت فكساه
الخصف ثم اري ان يكسوه احسن من ذلك فكساه المعافر ثم اري ان يكسوه احسن منها
فكساه الملاء والوصائل فكان تبع فيما يزعمون اول من كسا البيت واوصى به ولاته
من جرهم وامرهم بتطهيره والا يقربوه دما ولا ميتة ولا ميلاة وهي المحايض وجعل
له بابا ومفتاحا ثم خرج متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا
دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فابوا عليه حتى يحاكموه الى النار
التي كانت باليمن ويقال انه لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك
وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم
قالوا فحاكمنا الى النار قال نعم وكانت باليمن فيما يزعم اهل اليمن نار تحكم
بينهم فيما يختلفون فيه تاكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم وما
يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في اعناقهما متقلديها حتى قعدوا
للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما اقبلت نحوهم حادوا

الحبرين

ثم مضى

عنهما وهابوها من تمم من حضر من الناس وأمرهم بالصبر لها وصبر واحتسى
غشيتهم بأكلتها ولا ثاني من بوافعها ومن حضر لهم من رجال حمير وخرج
الحبران مصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما **فأصفقت**
عنه لحمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن **قال**
ابن اسحق فحدثني محدث عن الحبرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها
وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم
لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا
يتلوان التوراة وتنكص حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت
عنه لحمير على دينهما فالله أعلم أي ذلك كان **وكان** رئام بيتا لهم
يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع إنما
هو شيطان يفتنهم ويلعب بهم فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم
أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت **قال ابن اسحاق**
فبقاياه اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه **و**تبع هذا
هو آخر الملوك الذين غزوا أبناء داود وتخوا للأرض توادانت لهم المملكة وتبع
انه المسمى في قول الله تعالى أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم وذلك
كلا انه لما امتد في آخر عمره ولم يتحرج الفتنة من بعد تبع فوا عند ما نقم الله منهم
وحكى الحسن بن أحمد الهمداني أنه أول ملك بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وآمن به وهو رتب الملوك وأبناء الملوك من قومه في قبائل العرب والعجم ومدائنها
وأمصارها وكان لكل قبيلة من العرب ولكل حي من العجم ملك من قومه إما حميري
وإما كهلاني يسمع له ويطاع **ويذكر** أنه جمع الملوك وأبناء الملوك والأقاول
وأبناء الأقاول من قومه وقال لهم أيها الناس إن الدهر يعز أكثر له ولم يبق كلا أفكه
وإن الكثير إذا قل إلى النقصان أحرى منه إلى الزيادة فسارعوا إلى المكارم فإنها تقربكم
إلى الفلاح واعملوا على أنه من يسلم من قومه لا يسلم من غيره ومن يسلم من الغير لا يسلم
مما بعده وإنكم لتؤتون من باب ذلكا وذلك حد وتصيرون إلى ما صار إليه والموت كل
يوم أقرب إلى المرء من حبوته منه ولكل زمان أهل ولكل أجل آية تصيب
عقلا عن القرية التي من عدن بيعابين من هود وانه فهو نبي يبعثه الله بدينه
ويخصه بالكتاب المبين النبي محمد بن ... رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين فليتكن

ذلك عنكم وعبرا بنائكم يعترفكم وأبناء أبنائكم قرنا فقرنا وجيلا فجيلا يتوقعون
ظهوره ويؤمنوا به وينصروه في نصره على كل عقد لا حاد حتى يعني الناس به
إلى أمر الله **وأنشد له**

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم
وألزمت طاعته كل من ... على الأرض من عرب أو عجم
ولكن قولي له أبدا ... سلام على أحمد في الأمم

قال في أبيات ذكرها وأشعار غير هذا ثبت في إكليله كثيرا منها
وذكر أن الملوك وأبناء الملوك من حمير وكهلان لم تزل تتوقع ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وتبشر به وتوصي بالطاعة له والإيمان به والجهاد معه والقيام
بنصره منذ ذلك العصر إلى أن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا بذلك حيث
بعث من أحرص الناس على نصره وطاعته فمنهم من سمع له وأطاع وآمن به قبل أن
يراه ومنهم من وصل إليه كتابه فسمع وأطاع وآمن وصدق ومنهم من آواه ونصره
وآزره وجاهد في سبيل الله دونه نطق بذلك الكتاب المبين في قوله والذين تبوؤوا الدار
والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقوله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم الآخر الآية **قال** الهمداني
عن أبي الحسن الخزاعي يقال إنهم همدان ثم أشار إلى ذكر سيف بن ذي يزن للنبي صلى الله
عليه وسلم وما أنفذه من إلى جده عبد المطلب عند وفادته عليه **قال**
وذكر أنه لم يكن لسيف بن ذي يزن ذلك العلم في قصة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بس
جهة تبع وما تناهى إليه مما كان أنفذه إليهم ويحرى فيهم به من خبر النبي صلى الله عليه وسلم
وسنذكر خبر سيف هذا في موضعه إن شاء الله **وأما** موضع النصرانية
بأرض العرب فقد كان بنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على الإنجيل أهل فضل
واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين
بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان
يعبدونها ثم إن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه

مما نووا به. **فحدث** وهب بن منبه أن فيميون كان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا
في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بين القرى لا يعرف في قرية إلا خرج منها إلى قرية
لا يعرف بها وكان لا يأكل إلا من كسب يده وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الأحد
فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا وخرج إلى فلاة من الأرض فصلى فيها حتى يمسي
قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن لشأنه رجل
من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله فكان يتبعه
حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض
كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين
مستخفيا منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل إليه
التنين الحية ذات الرؤوس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت
ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل
نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف
أنه قد عرف وعرف صالح أنه قد رأى مكانه **فقال** له يا فيميون تعلم والله
أني ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت
قال ما شئت أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كاد
أهل القرية يفطنون لشأنه وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي وإذا
دعي إلى أحد به ضر لم يأته **وكان** لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن
فيميون فقيل له إنه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر
فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ثم جاءه
فقال يا فيميون إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك
عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد أن تعمل في بيتك هذا
قال كذا وكذا ثم انتشل الثوب عن الصبي وقال يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما
ترى فادع الله له فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيميون أنه
قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر
بشجرة عظيمة فناداه منها رجل فقال يا فيميون قال نعم قال ما زلت أنتظرك وأقول متى هو جاء
حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت
الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه **ثم** انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض

ارض

أرض العرب فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما
بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد
في كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء
ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوما **فابتاع** فيميون رجل من أشرافهم
وابتاع صالحا آخر فكان فيميون إذا قام من الليل يصلي في بيت له أسكنه إياه سيده
استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه
ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون إنما أنتم في باطل إن هذه
النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبد لأهلكها وهو
الله وحده لا شريك له **فقال** له سيده فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في
دينك وتركنا ما نحن عليه **فقام** فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله
عليها فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها **فاتبعه**
عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم **ثم** دخلت
عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية
بنجران فيما ذكر وهب بن منبه في حديثه هذا **وأما** محمد بن كعب القرظي وبعض
أهل نجران فذكروا أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية
من قراها ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسمه
محمد بن كعب ولا شيء كذلك في الحديث قالوا رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران
وبين تلك القرية التي بها الساحر يعلمهم **فبعث** الثامر ابنه عبد الله
مع غلمان أهل نجران وكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته
فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع
الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه
إياه فقال يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله بن الثامر
لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان **فلما** رأى عبد الله
أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقداح فجمعها ثم لم يبق
لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا
ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف بقدحه
فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا **ثم** أتى صاحبه فأخبره

فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر

انه قد علم ذلك الاسم الذي كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره
بما صنع قال أي ابن أخي قد اصبته فامسك على نفسك وما اظن ان تفعل **فجعل**
عبد الله بن الثامر اذا دخل نجران لم يلق احدا به ضر الا قال له يا عبد الله أتوحد
الله وتدخل في ديني وادعو الله فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم
فيوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران احد به ضر الا اتاه
فاتبعه على امره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه الى ملك نجران فدعاه
فقال افسدت علي اهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لامثلن بك قال لا تقدر
على ذلك **فجعل** يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض
ليس به بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يقع فيها شيء الا هلك
فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس **فلما** غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك
والله لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت
سلطك الله علي فقتلتني فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله
ابن الثامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك
مكانه واستجمع اهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى
من الانجيل وحكمه **ثم** اصابهم ما اصاب اهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان اصل النصرانية
بنجران **قال** ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض اهل نجران
عن عبد الله بن الثامر فالله اعلم اي ذلك كان **وحديث** عبد الله بن الثامر
هذا قد ورد في الصحيح مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ثابتة **خرجه**
مسلم بن الحجاج من حديث صهيب وبينه وبين حديث ابن اسحق اختلاف وفيه مع
ذلك زوائد تحسن لاجلها اعادة لفظ الحديث **فروى** عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر
قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه
فكان في طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى
الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه فشكا ذلك الى الراهب
فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني
الساحر **فبينما** هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال
اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب

احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها
ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني
قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ
الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء **فسمع** جليس للملك
كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتني فقال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان انت آمنت بالله دعوت الله فشفاك
فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك
من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه
حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ
الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه
فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك
فابى **فدعا** بالمنشار فوضع في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه
ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار في مفرق
رأسه فشقه به حتى وقع شقاه **ثم** جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك
فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا
به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا
به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي
الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست
بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني
على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام
ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني **فجمع** الناس في صعيد واحد وصلبه
على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله
رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع
السهم فمات **فقال** الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فاتي الملك
فقيل له ارأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس **فامر**
بالاخدود بافواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه
فيها او قيل له اقتحم ففعلوا **حتى** جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست

أن تقع بيننا فقال لهما الغلام فاقصد اضربني بانك على اليقين **فهذا** حديث مسلم
من عبد الله بن الثامر وأهل نجران وإن في حديثه ذلك الاسم فيه بشهادة بعض وفي هذا الغلام
بما ورد من ذلك مبيّنا في حديث ابن إسحق وغيره وجعلوا له كلّه حديثا واحدا
و ذكر ابن إسحق أنه لما كان اجتماع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ما تقدم
الحديث به سار إليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك وبين
القتل فاختاروا القتل فخدّ لهم الأخدود فحرّق بالنار وقتل بالسيف ومثّل بهم حتى
قتل منهم من يقارب عشرين ألفا **ففي ذي نواس** وجنوده ذلك أنزل الله على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد
إلى آخر الآيات **و** الأخدود هنا هو الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول
ويقال أيضا لأثر السيف والسكين في الجلد أخدود **قال**
ابن إسحق ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم **و** حدث
عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أن رجلا من أهل نجران حفر خربة من خرب نجران
في زمان عمر بن الخطاب فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا
يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخرت يده عنها تنبعث دما
وإذا أرسلت يده ردّها عليها فأمسك دمها في يده خاتم مكتوب فيه ربي الله
فكتب به إلى عمر فكتب إليهم أن أقرّوه على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه
ففعلوا **و ذو نواس** هذا هو زرعة بن تبان أسعد أبي كرب وهو تبع الآخر
وقد تقدم خبره وابنه زرعة ذو نواس هذا كان من صغار بنيه وصار إليه ملك
اليمن والتوجه بعد أبيه بعد ما وقع لما أنه ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة
ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر وكان من ملوك اليمن وأهل الشرف منهم
وهو صاحب الرؤيا التي فسرتها وبلغها استيلاء الحبشة على اليمن والبشارة
بظهور النبي صلى الله عليه وسلم **وذلك** أنه رأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع
كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه **فقال لهم**
إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبروني بها وبتأويلها قالوا اقصصها
علينا نخبرك بتأويلها قال إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها أنه لا يعرف
تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها **فقال** له رجل منهم فإن كان الملك يريد هذا

فليبعث إلى سطيح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه
فبعث إليهما فقدم عليه سطيح قبل شق **فقال** إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت
بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها فقال أفعل رأيت
حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة
فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها
فقال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين
أبين إلى جرش فقال له الملك وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو
كائن أفي زماني أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين
من السنين **قال** أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين
من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين **قال** ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم
قال يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك منهم أحدا باليمن قال أفيدوم
ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه **قال** نبي زكي
يأتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك
بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم
يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون
قال أحق ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك
لحق ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان
أم يختلفان قال نعم **رأيت** حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة
فأكلت منها كل ذات نسمة **فلما** قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن
قولهما واحد إلا أن سطيحا قال وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة
وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة **فقال**
له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها قال أحلف بما بين
الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان
وليملكن ما بين أبين إلى نجران **فقال** له الملك وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ
موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم
عظيم ذو شأن ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام
ليس بدني ولا مدن يخرج من بيت ذي يزن قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع

برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك
في قومه إلى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة
يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات ويجمع فيه
الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال أحق ما تقول
قال إي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتك لحق ما فيه
أمض فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق
بما يصلحهم وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور فأسكنهم الحيرة
فمن بقية ولد ربيعة بن نصر فيما يقال النعمان بن المنذر فهو في نسب اليمن وعلمهم
النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك
وقد تقدم قول من قال من العلماء إن النعمان من ولد قنص بن معد وقد قيل أيضا
إن النعمان من ولد الساطرون صاحب الحضر وهو حصن عظيم كالمدينة كان
على شاطئ الفرات وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قوله

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

وأما شق وسطيح فإن شقا هو ابن صعب بن يشكر من بني أنمار بن نزار
أبي بجيلة وخثعم وكان شق إنسانا فيما يزعمون إنما له يد واحدة وعين واحدة
ولذلك سمي بشق وسطيح هو ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي بن مازن بن
غسان وكانت العرب تسميه ابن نبي وإياه عنى ميمون بن قيس يعني الأعشى بقوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقا كما صدق الذئبي إذ سجعا

وإنما قيل له سطيح لأنه كان جسدا ملقى لا رأس له ولا يقدر له جوارح في ما ذكروا
وكان لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ وجلس وذكر أنه قيل له أنى لك
هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله
منه موسى فهو يؤدي إلي من ذلك ما يؤديه وعاش سطيح بعد هذا الحديث
زمانا طويلا حتى أدرك مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أهل العلم
من حديثه ما نبي به الجن ومن وأتت عليه مائة وخمسون سنة أنه لما كانت
الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه

أربع

أربع عشرة شرفة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس
ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ورأى الموبذان إبلا صعابا تقود خيلا عرابا
قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر
عليه تشجعا حتى إذا عيل صبره رأى أن لا يدخر ذلك عن وزرائه ومرازبته فلبس
تاجه وقعد على سريره ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال أتدرون فيما بعثت
إليكم قالوا لا إلا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك إذ جاء ورد عليه كتاب
بخمود النار فازداد غما إلى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله فقال
الموبذان وأنا أصلح الله الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه
في الإبل فقال أي شيء يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون من ناحية العرب
وكان أعلمهم في أنفسهم فكتب عند ذلك كسرى إلى النعمان بن المنذر أن يوجه
إليه برجل عالم بما يريد أن يسأله عنه فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان
ابن بقيلة الغساني فلما قدم عليه قال له الملك أتعلم بما أريد أن أسألك
عنه قال ليخبرني الملك عما أحب فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه
فأخبره بالذي وجه إليه فيه فقال له علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام
يقال له سطيح قال فأته فسله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج
عبد المسيح حتى أتى إلى سطيح وقد أشفى على الموت فسلم عليه وكلمه فلم يرد
عليه سطيح جوابا فأنشد عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن أم فاد فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن أتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسري للوسن لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شزن ترفعني وجنا وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجئ والقطن تلفه في الريح بوغاء الدمن

فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه يقول عبد المسيح أتى إلى سطيح
على جمل مشيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان
وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد
قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر

حاجب الحيرة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس
فليملكن الشام سطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات
وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فلما قدم عبد المسيح
على كسرى واخبره بمقالة سطيح فقال الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا قد كانت
امور فملك منهم عشرة الى اربع سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه
فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان بن تبان اسعد ابي كرب
فسار باهل اليمن يريد ان يطأ بهم ارض العرب وارض الاعاجم حتى اذا كان بارض العراق
كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وارادوا الرجعة الى بلادهم واهليهم فكلموا
اخا له يقال له عمرو كان معه في جيشه فقالوا له اقتل اخاك حسان ونملكك
علينا وترجع بنا الى بلادنا فاجابهم فاجتمعوا على ذلك الا ذا رعين الحميري
فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشتري سهرا بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت ... فمعذرة الاله لذي رعين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم اتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب
عندك ففعل ثم قتل عمرو اخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن فلما نزل اليمن منع
منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سأل الاطباء والحزاة من الكهان
والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ما قتل رجل قط اخاه او ذا رحمه
بغيا على مثل ما قتلت اخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر
فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من امره بقتل اخيه حسان من اشراف اليمن
حتى خلص الى ذي رعين فقال له ذو رعين ان لي عندك براءة قال وما هي قال الكتاب الذي
دفعت اليك فاخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى انه قد نصحه. وهلك
عمرو فمرج امر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت
المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت اهل
المملكة منهم فقال قائل من حمير

تقتل ابناها وتنفي سراتها ... وتبني بايديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها ... وما ضيعت من دينها فهو اكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها ... واسرافها تأتي الشرور فتخسر

وكان

وكان لخنيعة ينوف امرءا فاسقا يعمل عمل قوم لوط وكان يرسل الى الغلام من
ابناء الملوك فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد
ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضره من جنده قد اخذ مسواكا فجعله
في فيه علامة للفراغ منه حتى بعث الى زرعة ذي نواس بن تبان
اسعد اخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا
وسيما ذا هيئة وعقل فلما اتاه رسوله عرف ما يريد به فاخذ سكينا
حديدا لطيفا فخبأه بين قدميه ونعله ثم اتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه
ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف
منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فسألوه فاشار اليهم الى الكوة
فنظروا فاذا راس لخنيعة مقطوع فخرجوا في اثر ذي نواس حتى ادركوه فقالوا
ما ينبغي ان يملكنا غيرك اذ اراحتنا من هذا الخبيث فملكوه واجتمعت عليه
حمير وقبائل اليمن فكان اخر ملوك حمير وتسمى يوسف واقام في ملكه سنين
قال ابن قتيبة ثمانيا وستين سنة الى ان كان منه في اهل نجران ما نحن
ذاكروه فكان ذلك سببا لانتقاض ملكهم واستيلاء الحبشة على اليمن

ذكر دخول الحبشة ارض اليمن واستيلائهم على ملكها وذكر السبب في ذلك

مع ما يتصل به من امر الفيل ولما انتهى زرعة ذو نواس الى ما انتهى اليه
في اهل نجران من التحريق والقتل افلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على
فرس له فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى اتى قيصر صاحب الروم
فاستنصره على ذي نواس وجنوده واخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك
منا ولكني ساكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو اقرب الى بلادك
وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر
فبعث معه سبعين الفا من الحبشة وامر عليهم رجلا منهم يقال له ارياط
ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس

فسار اليه ذو نواس في حمير ومن اطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس
واصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه الى البحر ثم ضربه
فدخل به فخاض به ضحضاح البحر حتى افضى الى غمره فادخله فيه وكان اخر العهد
به ودخل ارياط اليمن فملكها فاقام بها سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه
في امر الحبشة باليمن ابرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل
واحد منهما طائفة منهم ثم سار احدهما الى الاخر فلما تقارب الناس ارسل ابرهة
الى ارياط انك لا تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا
فابرز لي وابرز لك فاينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط انصفت
فخرج اليه ابرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذا دين في النصرانية وخرج
اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة له وخلف ابرهة
غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة
فوقعت على جبهته فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفته فبذلك سمي ابرهة الاشرم وحمل
عتودة على ارياط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى ابرهة
فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى ابرهة ارياط فلما بلغ ذلك النجاشي
غضب غضبا شديدا وقال عدا على اميري فقتله بغير امري ثم حلف لا يدع
ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق ابرهة راسه وملأ جرابا من تراب
اليمن ثم بعث به الى النجاشي وكتب اليه ايها الملك انما كان ارياط
عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعته لك الا اني كنت اقوى على امر
الحبشة واضبط لها واسوس منه وقد حلقت راسي كله حين بلغني قسم الملك
وبعثت اليه بجراب من تراب ارضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه في فلما
انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى ياتيك امري
فاقام بها ثم ان ابرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها
في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة
لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف اليها حج العرب
فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النسأة
احد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة فخرج حتى اتى القليس
فاحدث فيها ثم لحق بارضه فاخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له رجل

من اهل

من اهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك اصرف اليه حج العرب
اي انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت
حتى يهدمه ثم امر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل
وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا
بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من اشراف اهل اليمن
وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب ابرهة
وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله
فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر
ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي وكان ابرهة
رجلا حليما فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك
يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في
قبيلي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة
واخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني
فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم شهران وناهس بالسمع
والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه
مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك
سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون
اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم
واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة فبعثوا معه ابا رغال
يدله على الطريق الى مكة فخرج ابرهة ومعه ابو رغال حتى انزله المغمس
فلما انزله به مات ابو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس
بالمغمس فلما نزل ابرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود
بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال اهل تهامة من قريش
وغيرهم واصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش
وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا
انه لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث ابرهة حناطة الحميري الى مكة
وقال له سل عن سيد اهل هذا البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لك اني لم آت

لهم بكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم
فإن هو لم يرد حربي فأتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها
فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب
والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم
أو كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا
دفع عنه فقال حناطة فانطلق إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك
فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان
له صديقا حتى دخل عليه في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا
فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندنا
غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي فسأرسل إليه فأوصيه
بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده
بخير إن قدر على ذلك قال حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له إن عبد المطلب سيد
قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال وقد أصاب له
الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده ما استطعت فقال أفعل
فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك فأذن
له فليكلمك في حاجته ووصفه له بما وصفه ذو نفر لأنيس فأذن له أبرهة وكان
عبد المطلب أوسم الناس وأجمله وأعظمه فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه
عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه فنزل
أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه
قل له ما حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير
أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك
ثم قد زهدت فيك حين كلمتني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو
دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه قال عبد المطلب
إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال أنت وذاك
ويزعم بعض أهل العلم أنه كان ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة يعمر بن نفاثة
ابن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر وخويلد بن
واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على

أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فالله أعلم أكان ذلك أم لا فرد
أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب
إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب
تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب
الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده
فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة: لاهم إن العبد يمنع رحله
فامنع حلالك: لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك: ثم أرسل عبد
المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا
فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ
لدخول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مجمع
لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجهوا الفيل إلى مكة قام نفيل بن حبيب
إلى الفيل ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت فإنك
في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل
وضربوا الفيل ليقوم فأبى وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا
محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول
ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك
ووجهوه إلى مكة فبرك وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان
مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال
الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين
يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق
إلى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والإله الطالب … والأشرم المغلوب ليس الغالب

وقال نفيل أيضا

ألا حييت عنا يا ردينا … نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيت ولا تريه … لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتني وحمدت أمري … ولم تأسي على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا … وخفت حجارة تلقى علينا

بكل الطرق يتساقطون بكل كان على الحبشة ان بنا
فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم تسقط انامله انملة انملة كلما سقطت منه انملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون ويقال انه اول ما رئيت الحصبة والجدري بارض العرب بذلك العام وانه اول ما رئي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من امر الحبشة لبقاء امرهم ومدتهم فقال تبارك وتعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول وقالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فقال ابن اسحق فلما رد الله الحبشة عن مكة واصابهم ما اصابهم به من النقمة اعظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم فقالوا في ذلك اشعارا يذكرون ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعرى السهمي

تنكلوا عن بطن مكة انها كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت اذ لا عزيز من الانام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون الفا لم يؤوبوا ارضهم بل لم يعش بعد الاياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

يرومها

وقال ابو قيس بن الاسلت الانصاري ثم الخطمي من قصيدة بائية ذكرها بجملتها

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق غداة ابي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله على القاذفات في رؤوس المناقب
فلما اتاكم نصر ذي العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب الى اهله ملحبش غير عصائب

وقال

وقالت سبيعة بنت الاحب بن زبينة من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور لابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعا وتذلله لها والفيل وهلاك جيشه عن هدا

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بني ولا يغرنك الغرور
ابني من يظلم بمكة يلق اطراف الشرور
ابني يضرب وجهه ويلح بخديه السعير
ابني قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها وما بنيت بعرصتها قصور
والله آمن طيرها والعصم تامن في ثبير
ولقد غزاها تبع فكسا بنيتها الحبير
واذل ربي ملكه فيها فاوفى بالنذور
يمشي اليها حافيا بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم اهلها لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير
والفيل اهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في اقصى البلاد وفي الاعاجم والخزير
فاسمع اذا حدثت وافهم كيف عاقبة الامور

ولم يزل شعراء اهل الجاهلية يذكرون ذلك في اشعارهم معتبرين بصنع الله فيه وقد جرى على ذلك شعراء الاسلام فقال الفرزدق بن غالب التميمي يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجاج حين طغى به غنى قال اني مرتق في السلالم
فكان كما قال ابن نوح سارتقي الى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى اعادهم هباء وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله اليه عظيم المشركين الاعاجم

قال ابن اسحاق فلما هلك ابرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان
يكنى فلما هلك يكسوم ملك اليمن في الحبشة اخوه مسروق بن ابرهة فلما طال
البلاء على اهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري حتى قدم على قيصر ملك الروم
فشكا اليه ما هم فيه وسأله ان يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث اليهم من شاء
من الروم فلم يشكه فخرج حتى اتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة
وما يليها من ارض العراق فشكا اليه امر الحبشة فقال له النعمان ان لي على كسرى وفادة
في كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان كسرى
يجلس في ايوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون
يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب
في راس طاقة في مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يستر بالثياب
حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل راسه في تاجه فاذا استوى في مجلسه كشفت
عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك الا برك هيبة له فلما دخل عليه
سيف بن ذي يزن برك وقيل انه لما دخل عليه طأطأ راسه فقال الملك ان هذا
لاحمق يدخل علي من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ راسه فقيل ذلك لسيف فقال
انما فعلت هذا لهمي لانه يضيق عنه كل شيء ثم قال ايها الملك غلبتنا
على بلادنا الاغربة فقال كسرى اي الاغربة الحبشة ام السند فقال بل الحبشة
فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم اكن
لاورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازه بعشرة الاف درهم
واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق
للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأنا ثم بعث اليه فقال عمدت الى حباء الملك
تنثره للناس فقال وما اصنع بهذا ما جبال الارض التي جئت منها الا ذهب وفضة
يرغبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال ماذا ترون في امر هذا الرجل
وما جاء له فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا حبستهم للقتل فلو انك
بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذي اردت بهم وان ظفروا كان ملكا ازددته
فبعث معه كسرى من كان في سجونه وكانوا ثماني مائة رجل واستعمل عليهم وهرز
وكان ذا سن فيهم وافضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في ثماني سفائن فغرقت سفينتان
ووصلت الى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه

فقال له رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال وهرز انصفت
وخرج اليه مسروق بن ابرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فارسل اليهم وهرز ابنا
له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف
الناس على مصافهم قال وهرز اروني ملككم فقالوا له اترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه
على راسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذلك ملككم قال اتركوه فوقفوا
طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم قال
علام هو قالوا قد تحول على البغلة قال وهرز بنت الحمار ذل وذل ملكه اني سارميه
فان رأيتم اصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني قد اخطأت الرجل
وان رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد اصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم وتر
قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وامر بحاجبيه
فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت النشابة
في راسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت
عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه واقبل وهرز ليدخل صنعاء
حتى اذا اتى بابها قال لا تدخل رايتي منكسة ابدا اهدموا الباب فهدم ثم
دخلها ناصبا رايته وقال في ذلك ابو الصلت بن ابي ربيعة الثقفي
وتروى لامية بن ابي الصلت

ليطلب الوتر امثال ابن ذي يزن ريم في البحر للاعداء احوالا
حتى اتى ببني الاحرار يحملهم انك عمري لقد اسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا ما ان ارى لهم في الناس امثالا
بيضا مرازبة غلبا اساورة اسدا تربب في الغيضات اشبالا
ارسلت اسدا على سود الكلاب فقد اضحى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في راس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم واسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

واقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء الذين باليمن اليوم
وكان ملك الحبشة باليمن منذ دخلها ارياط الى ان اخرجتهم الفرس عنها اثنتين
وسبعين سنة وهو ما ذكر له سطيح وشق في تأويل رؤيا ربيعة بن نصر ثم ملكوهم ز

فأمّر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمّر كسرى ابنه التينجان
ابن المرزبان ثم مات فأمّر كسرى ابن التينجان ثم عزله وولّى باذان فلم يزل عليها
حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بلغ مبعثه كسرى كتب إلى باذان
أنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب
وإلا فابعث إليّ برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا
من شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال إن كان نبيا فسيكون ما قال
فقتل الله كسرى على يدي ابنه شيرويه في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت الرسل من نحن يا رسول الله قال أنتم منا وإلينا أهل البيت
قال الزهري فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وكل هذه
الأخبار وإن وقعت في غير ما كنا بسبيله من أمر بني قصي فلها انتظام بالمادة التي نحو
ما قصدناه وتحصيل الإمتاع بالفن الذي نحن بصدده لما اعتمدناه من تحصيل أغراضها
ونقلها في محلها واحرص ما أمكن لها أو ما أمكن من أغراضها وعلينا بمعونة الله في تحصيل
الغرض تيسر لنا ذلك كله بتحقيق المقصد وزيادة هذه الأحاديث المتبع فيها حكم التعريف
المتصل بتحصيل الأمل وتيسير بلا تحول عن ذلك ببركة المختار الذي يمنحنا تحصيلا وتيسيرا
وتيمننا بخدمة آثاره وسيرته صلى الله عليه وعلى آله وذلك من صحابته وكنا
انتهينا من شأن بني قصي بعده إلى ما تراضوا به بينهم من الصلح على أن تكون السقاية
والرفادة لبني عبد مناف وتكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار على نحو ما
جعله قصي إلى ابنه فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف وذلك أن عبد شمس
كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد كثير وكان هاشم موسرا وكان
فيما يزعمون إذا حضر الحج قام صبيحة هلال ذي الحجة فأسند ظهره إلى الكعبة
من تلقاء بابها فيخطب قومه على رفادة الحاج التي سنها لهم قصي ويقول لهم في
خطبته يا معشر قريش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما
وأوسط العرب أنسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله
أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بني إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ
جار من جاره وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم ضيف الله

وأحق

وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثا
غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح وقد أزحفوا وأرملوا فأقروهم وأعينوهم
فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب
مالي وحلاله ما لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه
فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعله وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم
من ماله لكرامة زوار بيت الله ومعونتهم إلا طيبا لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ
غصبا فكانت بنو كعب بن لؤي وسائر قريش يجتهدون في ذلك ويترافدون
عليه ويخرجون ذلك من أموالهم حتى يأتوا به هاشم بن عبد مناف فيضعوه في
داره حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم وكان هاشم
يخرج في كل سنة مالا كثيرا وكان قوم من قريش أهل يسار ربما أرسل كل إنسان
منهم بمائة مثقال هرقلية وكان هاشم يأمر بحياض من أدم فتجعل
في موضع زمزم من قبل أن تحفر ثم يستقي فيها من الآبار التي بمكة فيشرب
الحاج وكان يطعمهم أول ما يطعمهم بمكة قبل التروية بيوم ثم بمنى وبجمع
وعرفة يثرد لهم الخبز واللحم والخبز والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء
فيطعمهم ويسقيهم حتى يصدروا وكان اسم هاشم عمرا ويقال له عمرو العلى
وإنما سمي هاشما لهشمه الخبز بمكة لقومه وهو فيما يذكرون أول من سن
الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وفي ذلك يقول
بعض شعرائهم

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

وذلك أن قريشا كانوا قوما تجارا وكانت تجارتهم لا تعدو مكة إنما يقدم عليهم
الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ويتبايعون فيما بينهم ويبيعون ممن حولهم
من العرب فلم يزالوا كذلك حتى ذهب هاشم إلى الشام فكان ينحر كل يوم شاة
فيصنع جفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون وكان هاشم من أحسن الناس وأجملهم
فذكر في نفسه وكرمه ونبالته لقيصر من عابد بلغه ذلك وكلمه فأعجب
بدوامه فأرسل إليه فلما رأى هاشما ومكانه منه طلب منه أمانا لقومه ليقدموا ببلاده
بتجاراتهم فأجابه إلى ذلك وكتب لهم قيصر كتاب أمان لمن أتى منهم فأقبل هاشم

بذلك الكتاب وكلما مر بحي من أحياء العرب أخذ من أشرافهم إيلافا لقومه يأمنون
به عندهم وفي أرضهم من غير حلف إنما هو أمان الطريق وأمنوا من أجل ذلك
حتى أتى مكة والشام فأتى قومه بأعظم شيء أتوا به فخرجوا بتجارة
عظيمة وخرج هاشم معهم ليوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب فلم يزل
يوفيهم إياه ويجمع بينهم وبين العرب حتى ورد بهم الشام فهلك هاشم في سفره ذلك
بغزة من أرض الشام وكان ولي بنيه عبد مناف كلها. وخرج المطلب بن عبد مناف
وهو يسمى الفيض لسماحته وفضله إلى اليمن فأخذ من ملوكهم أمانا لمن تجر من قومه
إلى بلادهم ثم أقبل يأخذ لهم الإيلاف ممن كان على طريقه من العرب كما فعل أخوه هاشم
حتى أتى مكة ثم رجع إلى اليمن فمات بردمان وخرج عبد شمس بن عبد
مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه أمانا كذلك لمن تجر من قريش إلى بلاده ثم أخذ
الإيلاف من العرب الذين على الطريق حتى بلغ مكة وتوفي بها فقبره بالحجون
وخرج نوفل بن عبد مناف وكان أصغرهم ولد أبيه إلى العراق فأخذ عهدا من كسرى لتجار
قريش ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة ثم رجع إلى العراق
فمات بسلمان من ناحية العراق فجبر الله قريشا بهؤلاء النفر الأربعة من بني عبد مناف
ونمت أموالهم واتسعت تجاراتهم وكان بنو عبد مناف يسمون لأجل ذلك
المجيرين في العرب تهمهم أفراح الأنصار لحسب أحسابهم وكرم فعالهم وقال
مطرود بن كعب الخزاعي يبكيهم جميعا حين أتاه نعي نوفل منهم وكان آخرهم هلاكا

يا ليلة هيجت ليلات ... إحدى ليالي القسيات
وما أقاسي من هموم وما ... عالجت من رزء المنيات
إذا تذكرت أخي نوفلا ... ذكرني بالأوليات
ذكرني بالأزر الحمر والـ ... أردية الصفر القشيبات
أربعة كلهم سيد ... أبناء سادات لسادات
ميت بردمان وميت بسلـ ... ـمان وميت بين غزات
وميت أسكن لحدا لدى الـ ... ـحجون شرقي البنيات
أخلصهم عبد مناف فهم ... من لوم من لام بمنجات
إن المغيرات وأبناءها ... لمن خير الأحياء والأموات

وإنما سماهم المغيرات لأن عبد مناف أباهم كان اسمه المغيرة فغلب المطرود فيما يحمونا

لغيرفلت

لغيرهن فلت فأحسنت ولو كان أبعد مما هو كان أحسن فقال الفخر ونوفل الذي هلك
بأيامنا فقال

يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري ... وابكي على السر من كعب المغيرات
يا عين واستحنفري بالدمع واحتفلي ... وابكي خبيئة نفسي في الملمات
وابكي على كل فياض أخي ثقة ... ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
محض الضريبة عالي الهم مختلق ... جلد النحيزة ناء بالعظيمات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل ... ماضي العزيمة متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب إذا نسبوا ... بحبوحة المجد والشم الرفيعات
ثم ابكي الفيض والفياض مطلبا ... واستخرطي بعد فيضات بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا ... يا لهف نفسي عليه بين أموات
وابكي لك الويل إما كنت باكية ... لعبد شمس بشرقي البنيات
وهاشم في ضريح وسط بلقعة ... تسفي الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتي ... أمسى بسلمان في رمس بموماة
لم ألق مثلهم عجما ولا عربا ... إذا استقلت بهم أدم المطيات
أمست ديارهم منهم معطلة ... وقد يكونون زينا في السريات
أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم ... أم كل من عاش أزواد المنيات
أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم ... بسط الوجوه وإلقاء التحيات
يا عين وابكي أبا الشعث الشجيات ... يبكينه حسرا مثل البليات
يبكين أكرم من يمشي على قدم ... يعولنه بدموع بعد عبرات
يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر ... آبي الهضيمة فراج الجليلات
يبكين عمرو العلا إذ حان مصرعه ... سمح السجية بسام العشيات
يبكينه مستكينات على حزن ... يا طول ذلك من حزن وعولات
يبكين لما جلاهن الزمان له ... خضر الخدود كأمثال الحميات
محتزمات على أوساطهن لما ... جر الزمان من أحداث المصيبات
أبيت ليلي أراعي النجم من ألم ... أبكي وتبكي معي شجوى بنياتي
ما في القروم لهم عدل ولا خطر ... ولا لمن تركوا شروى بقيات
أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم ... خير النفوس لدى جهد الأليات

كم وهبوا من طمر سابح أجرد ومن مهرية تعنق في مهراق
ومن سيوف من الهند مخلصة ومن رماح كأشطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها عند المسائل من بذل العطيات
فلو حسبت وأحصى الحاسبون معي لم أحص أفعالهم تلك الهنيات
هم المدركون إن قاموا بمفخرهم وأعند الفخار بأنساب نقيات
زين البيوت التي حلوا مساكنها فأصبحت منهم وحشا خليات
أقول والعين لا ترقى مدامعها لا يبعد الله أصحاب الرزيات

وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج بها سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح فيما ذكر ابن إسحاق قال وكانت لا تنكح الرجال لشرفها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها إذا كرهت رجلا فارقته **فولدت** لهاشم عبد المطلب فسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ثم خرج إليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك فقال لها المطلب إني غير منصرف حتى أخرج به معي إن ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا نلي كثيرا من أمورهم ورهطه وعشيرته وبلده خير له من الإقامة في غيرهم أو كما قال وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها إلا أن تأذن لي فأذنت له ودفعته إليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه على بعيره فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه فبها سمي شيبة عبد المطلب فقال المطلب ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة

وذكر ابن هشام أن شيبة إنما سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب لما قدم به من يثرب ودخل به مكة ضحوة مر به على الناس في أسواقهم ومجالسهم فقاموا إليه يحيونه ويقولون من هذا معك فيقول عبدي ابتعته بيثرب فلما كان العشية ألبسه حلة ابتاعها له ثم أجلسه في مجلس بني عبد مناف وأخبرهم خبره فجعل بعد ذلك يخرج في تلك الحلة فيطوف في سكك مكة وكان أحسن الناس فيقولون هذا عبد المطلب لقول المطلب فيه ذلك فلج اسمه عبد المطلب وترك شيبة وكان يقال لعبد المطلب شيبة الحمد وإنما سمي شيبة لأنه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء **ثم ولي** عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقامها للناس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون من أمرهم قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه

قومه

قومه وعظم خطره فيهم ويقال إنه كان يعرف في عبد المطلب نور النبوءة وهيبة الملك قال ابن الزبير ومكان عبد المطلب أكثر من أن أحيط به كان سيد قريش غير مدافع نفسا وأبا وبيتا وجمالا وبهاء وفعالا ولا كذلك **فصلى الله على المنتخب** من ذريته المخصوص بأوفى الحظ وأجزله وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما

ذكر حفر عبد المطلب زمزم وما يتصل بذلك من خبره قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك الخبر عن زمزم وإنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة بين صنمي قريش إساف ونائلة عند منحر قريش فبقيت على ذلك إلى أن أمر عبد المطلب بن هاشم بحفرها **فذكر** ابن إسحاق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بني سعد هذيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والأرض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه

فخرجوا حتى انفدوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم
وقالوا انا بمفازة ونحن نخشى على انفسنا مثل ما اصابكم فلما رأى عبد المطلب ما
صنع القوم وما يتخوف على نفسه واصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع
لرأيك فمرنا بما شئت قال فاني ارى ان يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الان
من القوة فكلما مات رجل دفعه اصحابه في حفرته ثم واروه حتى يكون اخركم
رجلا فضيعة رجل واحد ايسر من ضيعة ركب جميعا قالوا نعم ما امرت به فقام
كل رجل منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب
قال لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض ولا نبتغي
لانفسنا لعجز فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا
فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته
فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب
وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب اصحابه واستقوا حتى ملؤوا اسقيتهم ثم دعا
القبائل من قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا
فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب
والله لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك
زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا
بينه وبينها وفي غير حديث علي رضي الله عنه ان عبد المطلب قيل له
حين امر بحفر زمزم ثم ادع بالماء الروى غير الكدر تسقي حجيج الله في كل مبر
ليس يخاف منه شيء ما عمر فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش
فقال تعلموا اني قد امرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك اين هي قال لا قالوا فارجع
الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يك حقا من الله يبين لك وان يكن من الشيطان
فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتي فقيل له احفر زمزم
انك ان حفرتها لم تندم وهي تراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي
الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم تكون ميراثا
وعقدا محكما ليست كبعض ما قد تعلم وهي بين الفرث والدم فزعموا انه حين
قيل له ذلك قال واين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا فغدا
عبد المطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد

الغراب

الغراب ينقر عندها بين الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما
ذبائحهم فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث امر فقامت اليه قريش حين
رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما
فقال عبد المطلب لابنه الحارث ذد عني فوالله لامضين لما امرت به فلما
عرفوا انه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا
له الطي فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين
من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد
فيها اسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في
هذا شرك وحق قال لا ولكن هلم الى امر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح
قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج
قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت فجعل
قدحين اصفرين للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش
ثم اعطوا القداح الذي يضرب بها عند هبل وهبل صنم في جوف الكعبة وهو
اعظم اصنامهم وهو الذي عنى ابو سفيان بن حرب لما نادى يوم احد اعل هبل
اي اظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله وضرب صاحب القداح فخرج الاصفران
على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا
قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب
فكان اول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون وذكر الزبير ان عبد
المطلب لما انبط الماء في زمزم حجر هاء الغراب ثم بحرها حتى لا تنزف ثم بنا عليها
حوضا فجعل هو وابنه ينزعان عليها فيملآن ذلك الحوض فيشرب به الحاج
وكان قوم يحسدونه من قريش الليل يكسرون حوضه ذلك بالليل ويغتسلون فيه فيصلحه
عبد المطلب حين يصبح فلما اكثروا افساده دعا عبد المطلب ربه فقيل له في المنام
قل اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فقام عبد المطلب في
المسجد فنادى بالذي اري ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه احد من قريش
او يغتسل فيه الا رمي في جسده بداء حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته قال
وذكر الزبير ايضا ان عبد المطلب لما حفر زمزم واخرج منها ما اخرج وجدت
قريش في انفسها مما اعطي فلقيه خويلد بن اسد بن عبد العزى فقال يا ابن سلمى

لغير سقيت ماء رغدا ونثلت عادية حتى أفيئا بابن أسعد أما أنها تفتق ك
في فضلها والله لا يساعفني أحد عليها بئر ولا يقوم معي بأن زيد ولا تبرك الله حسيم
الصيم وقال خويلد بن أسد

أقول وما قولي عليهم بسبة ... إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم
حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر ... وركضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب ما وجدت أحدا ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد
ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحاج وكانت قريش قبل حفر زمزم
قد احتفرت بئارا بمكة وكانت خارجا من مكة آبار حفرها مرة
ابن كعب وكلاب بن مرة وكعب فتفرقت أول منها بئر بنو عبد مناف زمزم على تلك الآبار
التي كانت قبلها يسقي عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد
الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام
وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وكان
عبد المطلب فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم
لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة
فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره
ودعاهم إلى الوفاء به فأطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا
ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة
وكان على بئر في جوف الكعبة فيها يجمع ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة
يتحاكمون عليها فيما بينهم وإلى ما تخرج به القداح ينتهون في أمورهم فقال عبد المطلب
لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر
وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أحب
بني أبيه إليه فيما يزعمون وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى
فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله
ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده
وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها
وقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه
أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على

هذا

هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله ابن أخت القوم أمه
وأم إخوته الزبير وأبي طالب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم والله
لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا
تفعل انطلق إلى الحجاز فإن به عرافة لها تابع فسلها ثم أنت على رأس أمرك
إن أمرتك بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا
حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص
عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عني
اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا من عندها قام
عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم
قالوا عشر من الإبل وكانت كذلك قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا
عشرا من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل
حتى يرضى ربكم فإن خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا
حتى قدموا مكة فلما أجمعوا لذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا
عبد الله وعشرا من الإبل وعبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح
على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله
ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فلم يزالوا كذلك يزيدون عشرا عشرا
من الإبل ويضربون عليها كلما لم يخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة وقام عبد المطلب
يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت قريش قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب
فزعموا أن عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله
وعلى الإبل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ثم عادوا الثانية والثالثة
وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح في كلتيهما على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد
عنها إنسان ولا يمنع ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمر به فيما
يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد وهي عند
الكعبة فقال الذي يذكرون وكان عبد الله أحسن رجل رئي في قريش خلقا فقالت له
حين نظرت إلى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال مع أبي قالت لك مثل الإبل التي نحرت عنك
وقع علي الآن قال أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى
أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا

فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهو يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا
وموضعا ثم زعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت
فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس فقالت له فارقك النور الذي كان
معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل وكان
قد تنصر واتبع الكتب أنه كائن في هذه الأمة نبي ويقال إن عبد الله إنما دخل على امرأة
كانت له مع آمنة ابنة وهب وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها إلى نفسه
فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك
ثم خرج عامدا إلى آمنة فمر بها فدعته إلى نفسها فأبى عليها وعمد إلى آمنة فدخل
عليها فأصابها فحملت محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال لها
هل لك قالت لا مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فأبيت ودخلت على آمنة فذهبت
به فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة
الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بي فأبى علي ودخل على آمنة فأصابها
فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم ويزعمون
فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت حين حملت به فقيل لها
إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد
ثم سميه محمدا ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن هلك وأمه حامل به هذا قول ابن إسحاق وخالفه كثير من العلماء فقالوا إن النبي
صلى الله عليه وسلم كان في المهد حين توفي أبوه ذكره الدولابي وغيره وذكر
ابن أبي خيثمة أنه كان ابن شهرين وقيل أكثر من ذلك والله أعلم وولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل قيل بعد
الفيل بخمسين يوما ويحكي الواقدي عن سليمان بن سحيم قال كان بمكة يهودي
يقال له يوسف فلما كان اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به
أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الأمة في بحركم هذه الليلة وجعل
يطوف في أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى إلى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لابن عبد
المطلب غلام فقال هو نبي والتوراة وقال حسان بن ثابت والله إني لغلام يفعة

ابن سبع

ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهوديا يصرخ على أطمة بيثرب
يا معشر يهود حتى إذا اجتمعوا قالوا له ويلك ما لك قال طلع الليلة نجم أحمد
الذي ولد به وذكر ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاص عن أمه فاطمة بنت
عبد الله أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شيء
أنظر إليه من البيت إلا نور وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي
وذكر بقي بن مخلد في تفسيره أن إبليس رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين
أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب
قال ابن إسحاق فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام
فأته فانظر إليه فأتاه ونظر إليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما
أمرت أن تسميه فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله
ويتشكر له ما أعطاه ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ويروى أن عبد المطلب
إنما سماه محمدا لرؤيا رآها زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت
من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت
كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها
فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء
والأرض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته أمه به ولا يعرف في العرب من تسمى
بهذا الاسم قبله إلا نفر سموا به من أجله منهم محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي
ومحمد بن أحيحة بن الجلاح وآخر من ربيعة وكان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك
ممن كان عنده علم بالكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وتقارب زمانه
وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه
محمدا ففعلوا ذلك رجاء أن يكونه والله أعلم حيث يجعل رسالاته وقد وقع في موضع
آخر أن هؤلاء النفر كانوا أربعة ولم يذكر فيهم محمد بن أحيحة وحديثهم مغاير لما ذكرناه
خلافا لما سيأتي روينا من حديث عبد الملك بن أبي سوية عن أبيه عن جده أنه قال لأبيه محمد
ابن عدي بن ربيعة كيف سماك أبوك محمدا فقال لها سألت أبي عما سألتني عنه فقال
خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا فيهم وسفيان بن مجاشع بن دارم وأسامة بن مالك بن خندف
ويزيد بن ربيعة نريد ابن جفنة بالشام فلما قدمنا الشام نزلنا إلى غدير عليه شجرات
وقربه شخص فأشرف علينا فسمع كلامنا فقال إن هذه لغة ما هي لغة

أهل هذه البلاد فقلنا نحن قوم من مضر قال من أي المضر قلنا من جنبه قال أما إنه
يبعث فيكم وشيكا نبي خاتم النبيين فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فقلنا
له ما اسمه قال محمد فرجعنا من عنده فولد لكل رجل منا ابن فسماه محمدا والتمس
لرسول الله صلى الله عليه وسلم المراضع فاسترضع له من امرأة من بني سعد بن بكر يقال لها
حليمة بنت أبي ذؤيب وكانت تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها
ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسن الرضعاء قالت وفي سنة شهباء
لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت على أتان لي قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة
وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما
في شارفنا ما يغذيه ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت
بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء
فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها
إنه يتيم وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي وكنا نقول يتيم ما عسى
أن تصنع أمه وجده فكنا نكره ذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا
غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي
ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه قال لا عليك أن تفعلي
عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت إليه فأخذته وما حملني على أخذه
إلا أني لم أجد غيره فلما أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه
ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا
ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب منها ما شرب
وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة يقول صاحبي حين أصبحنا
تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قلت والله إني لأرجو ذلك
ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء
من حمرهم حتى إن صواحبي ليقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك اربعي علينا أليست
هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى والله إنها لهي فيقلن والله إن لها
لشأنا قالت ثم قدمنا منازلنا من بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها
فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب
إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم

ويلكم

ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض
بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى
مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان فلم يبلغ سنتيه
حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه
فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندي حتى
يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله إنه
بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي
ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا
بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا
وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا ما لك يا بني قال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو
قالت فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام
قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه
فقالت ما أقدمك به يا ظئر ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك فقلت قد
بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فأديته عليك كما
تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت
أفتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل
وإن لبني لشأنا أفلا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه
خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل
قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه
إلى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة ويروى أن نفرا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة
عيسى بن مريم ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام
واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا إذ أتاني رجلان
عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني ثم استخرجا
قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني
بذلك الثلج حتى أنقياه ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني

بعض له فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنته بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنته بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها **وكان**
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل وانت يا رسول الله قال وانا
وكان يقول لاصحابه انا اعربكم انا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر **وزعم**
الناس فيما يتحدثون والله اعلم ان امه السعدية لما قدمت به مكة اضلها في الناس
وهي مقبلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فاتت عبد المطلب فقالت له اني قدمت
بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعلى مكة اضلني فوالله ما ادري اين هو فقام عبد
المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده له فيزعمون انه وجده ورقة بن نوفل ورجل اخر من
قريش فاتيا به عبد المطلب فقالا هذا ابنك وجدناه باعلى مكة فاخذه عبد المطلب
فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له ثم ارسل به الى امه امنة
وذكر بعض اهل العلم ان مما هاج امه السعدية على رده مع ما ذكرت لامه مما
اخبرتها عنه ان نفرا من الحبشة نصارى راوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه
وسالوها عنه وقلبوه ثم قالوا لناخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا
فان هذا غلام كائن له شان نحن نعرف امره فلم تكد تنفلت به منهم **وذكر**
ابو الفرج ان امه حليمة السعدية لما رجعت به من عند امه حضرت به سوق ذي المجاز
وبها يومئذ عراف من هوازن يؤتى اليه بالصبيان ينظر اليهم **فلما** نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى الحمرة في عينيه والى خاتم النبوة صاح يا معشر العرب فاجتمع اليه
اهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي وانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اي صبي هو
فيقول هذا الصبي فلا يرون شيئا قد انطلقت به امه فيقال له ما هو فيقول رايت غلاما
والهته ليغلبن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم فطلب بعكاظ
فلم يوجد ورجعت به حليمة الى منزلها فكانت بعد هذا لا تعرضه لاحد من الناس ولقد نزل بهم
عراف فاخرج اليه صبيان اهل الحاضر وابت حليمة ان تخرجه اليه الى ان غفلت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج من المظلة فراه العراف فدعاه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودخل الخيمة فجهد بهم العراف ان يخرجوه اليه فابت فقال هذا نبي هذا نبي وزعم
ابو طالب ان عائفا من لهب كان اذا نزل مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف
لهم فاتاه به ابو طالب وهو غلام مع من ياتيه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم شغله عنه شيء فقال الغلام علي به فلما راى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل

يقول

يقول ويلكم ردوا علي الغلام الذي رايت انفا فوالله ليكونن له شان وانطلق به
ابو طالب **وكانت** حليمة تقول خرجوا بها من مكة لا تريد ان تذهب مكانا بعيدا
فغفلت عنه يوما في الظهيرة فقالت فخرجت تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت في
هذا الحر فقالت اخته يا امتاه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت
واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع تقول امها احقا يا بنية قالت اي والله
قال تقول حليمة اعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني **وكان** ابن عباس يقول رجع الى امه وهو
ابن خمس سنين وكان غيره يقول رد اليها وهو ابن اربع سنين هذا كله عن ابي الفرج
قال ابن اسحق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امه امنة وجده عبد المطلب
في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما بلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ست سنين توفيت امه بالابواء بين مكة والمدينة وكانت قد قدمت به على اخواله
من بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع جده عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون
حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ياتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فياخذه اعمامه ليؤخروه فيقول عبد المطلب
اذا راى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشانا ثم يجلسه معه ويمسح ظهره بيده ويسره ما
يراه يصنع **قالوا** وكانت ام ايمن تحدث تقول كنت احضن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على راسي يقول يا بركة قلت لبيك قال
اتدرين اين وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني
فان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة وانا لا امن عليه منهم وكان لا ياكل طعاما
الا قال علي بابني فيؤتى به اليه **وحدث** كعب بن مالك عن شيوخ من قومه انهم خرجوا
عمارا الى عبد المطلب يوما حتى مكة ومعهم رجل من يهود تيماء فصحبهم للتجارة يريد مكة
او اليمن فنظر الى عبد المطلب فقال انا نجد في كتابنا الذي لم يبدل انه يخرج من ضئضئ هذا
نبي يقتلنا وقومه قتل عاد **وجلس** عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف
نجران وكان صديقا له وهو يحادثه وهو يقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسماعيل هذا مولده
من صفته كذا وكذا واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الحديث فنظر اليه الاسقف
والى عينيه والى ظهره والى قدميه فقال هو هذا فقال الاسقف ما هذا منك قال ابني
قال الاسقف لا ما نجد اباه حيا قال عبد المطلب هو ابن ابني مات ابوه وامه حبلى به قال

صرفت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يلعب مع الغلمان حتى بلغ الردم فبصر به قوم من بني مدلج
فدعوه فنظروا إلى قدميه وإلى أثره ثم خرجوا في طلبه حتى صادفوا عبد المطلب قد لقيه
فاعتنقه فقالوا لعبد المطلب ما هذا منك قال ابني قالوا فاحتفظ به فإنا لم نر قدما
قط أشبه بالقدم التي في المقام من قدمه فقال عبد المطلب لأبي طالب اسمع ما يقول هؤلاء
فكان أبو طالب يحتفظ به **وفيه** روى أبو داود السجستاني من حديث ابن عباس
قال أتى نفر من قريش امرأة كاهنة فقالوا أخبرينا بأقربنا شبها بصاحب هذا المقام
فقالت إن جررتم على السهلة عباءة ثم مشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم شبها به فجروا عليها
عباءة ثم مشوا عليها فرأت أثر قدم محمد صلى الله عليه وسلم فقالت هذا والله أقربكم
شبها به قال ابن عباس فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة ثم بعث محمد صلى الله عليه وسلم
ولما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتته
وفود العرب وأشرافها وشعراؤها يهنئونه ويمدحونه ويذكرون ما كان من حسن بلائه
وطلبه بثأر قومه فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم في أناس من وجوه قريش
فقدموا عليه صنعاء فاستأذنوا فأذن لهم فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام
فقال إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك **فقال** عبد المطلب
إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبتك منبتا
طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعه في أكرم موطن وأطيب معدن
وأنت أيها الملك رأس العرب الذي به تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي
يلجأ إليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلن يهلك من أنت خلفه
ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا إليك الذي
أبهجنا بكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة **فقال**
له سيف وأيهم أنت أيها المتكلم فقال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم قال أدن
فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم
وقبل وسيلتكم وأنتم أهل الليل وأهل النهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم
ثم انهضوا إلى دار الضيافة والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف
ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فقال له إني مفوض إليك من سر علمي أمرا لو
يكون غيرك لم أبح له به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى

يأذن

يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي
اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة
وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة **فقال**
له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر
فقال له إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له الإمامة ولكم به الزعامة
إلى يوم القيامة فقال له عبد المطلب لقد أبت بخير ما آب بمثله وافد ولولا هيبة
الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من مساراته إياي ما أزداد به سرورا فقال له ابن ذي يزن
هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه **محمد** يموت أبوه وأمه ويكفله
جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم
أولياءه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الأرض
ويكسر الصلبان ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل
يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال له عبد المطلب عز جارك
وعلا كعبك ودام ملكك وطال عمرك فهل الملك سارّي بإفصاح فقد أوضح لي بعض
الإيضاح فقال له ابن ذي يزن والبيت ذي الحجب والعلامات على النصب إنك يا عبد
المطلب لجده غير الكذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك
ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك فقال عبد المطلب كان
لي ابن وكنت عليه رفيقا فزوجته كريمة من كرائم قومه فجاءت بغلام فسميته محمدا
فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه فقال له ابن ذي يزن إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ
بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم أعداؤه ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت
لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة
فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون أو أبناؤهم ولولا أني أعلم أن الموت
مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه فإني أجد في الكتاب
الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره
ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه
ذكره ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك ثم أمر لكل رجل من القوم
بعشرة أعبد وعشر إماء وحلتين من البرود ومائة من الإبل وخمسة أرطال ذهب
وعشرة أرطال فضة وكرش مملوء عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك كله

وقال له اذا حال الحول فاتني ثم مات ابن ذي يزن قبل ان يحول الحول وكان عبد المطلب
كثيرا ما يقول يا معشر قريش لا يغبطني احد منكم بجزيل عطاء الملك وان كثر فانه الى
نفاد ولكن ليغبطني بما يبقى لي ولعقبي من بعدي ذكره ومجده وشرفه بعد فاذا قيل له
فما ذاك قال ستعلمون نبأ ما اقول ولو بعد حين. وحديث سيف بن ذي يزن هذا
عن غير ابن اسحق ونحو عشرين بابا كاشفا وقد تقدم ما اتفق له تبع والاخبار الى ملوك حمير
وانباءهم من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وان علم شيبة بذلك انما كان من تلك الجهة
والله اعلم. ثم ان عبد المطلب بن هاشم هلك على سن عالية تختلف فيه
حقيقتها اذ ناهز فيما انتهوا اليه ورفعنا عليه خمسا وتسعين سنة. ذكره
ابن ... فيما ذكره ابن ... نوفل بن محمد ... قال كان ... ترثيه
عبد المطلب وبلغ عمره مائة وعشرين سنة. وقال محمد بن سعيد بن المسيب لما
حضرت الوفاة عبد المطلب وعرف انه ميت جمع بناته وكن ستا صفية وبرة وعاتكة
وام حكيم البيضاء واميمة واروى فقال لهن ابكين علي حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت
فقالت كل واحدة منهن شعرا اثنت عليه به وانتهت اليه فاشار براسه وقد صمت
ان هكذا فابكينني. وذكر ابن اسحق تلك الاشعار وقال ابن هشام انه لم ير احدا
من اهل العلم بالشعر يعرفها. قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم اخو بني
عدي بن كعب يبكي عبد المطلب بن هاشم ويذكر فضله وفضل قصي على قريش وفضل ولده من
بعده عليهم:

أعينيّ جودا بالدموع على الصدر ولا تسأما أُسقيتما سَبَل القطر
وجودا بدمع واسفحا كل شارق بكاء امرئ لم يُشوه نائب الدهر
وسُحّا وجُمّا واسجما ما بقيتما على ذي حياء من قريش وذي ستر
على رجل جلد القوى ذي حفيظة جميل المحيّا غير نكس ولا هذر
على خير حاف من معد وناعل كريم المساعي طيب الخيم والنجر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثم للخير هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فاصبحت سقايته فخرا على كل ذي فخر
ليبك عليه كل عان بكربة وآل قصي من مقل وذي وفر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر
قصي الذي عادى كنانة كلها ورابط بيت الله في العسر واليسر
فان تك غالته المنايا وصرفها فقد عاش ميمون النقيبة والامر
وابقى رجالا سادة غير عزل مصاليت امثال الردينية السمر
ابو عتبة الملقي الي حباءه اغر هجان اللون من نفر غر
وحمزة مثل البدر يهتز للندى نقي الثياب والذمام من الغدر
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة وصول لذي القربى رحيم بذي الصهر
كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك لا تبور ولا تحري
متى ما تلاقي منهم الدهر ناشئا تجده باجريا اوائله يجري
هم ملؤوا البطحاء مجدا وعزة اذا استبق الخيرات في سالف العصر
وهم حضروا والناس باد فريقهم وليس بها الا شيوخ بني عمرو
بنوها ديارا جمة وطووا بها بئارا تسح الماء من ثبج بحر
لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم اذا ابتكروها صبح تابعة النحر
ثلاثة ايام تظل ركابهم مخيسة بين الاخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة ولا نستقي الا بخم او الحفر
هم يغفرون الذنب ينقم دونه ويعفون عن قول السفاهة والهجر
اخارج اما اهلكن فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب في القبر
ولا تنس ما اسدى ابن لبنى فانه قد اسدى يدا محقوقة منك بالشكر
وانت ابن لبنى من قصي اذا انتموا بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
وامك سر من خزاعة جوهر اذا حصل الانساب يوما ذوو الخبر
الى سبا الابطال تنمى وتنتمي فاكرم بها منسوبة في ذرى الزهر

ابن لبنى هو ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب وهو ابو عتبة الذي ذكره قبل في هذا
الشعر وكانت امه امراة من خزاعة اسمها لبنى بنت هاجر ولذلك قال وامك سر من
خزاعة ونماها الى سبا لان الانصار بنا على ما قدمناه من انتساب خزاعة الى عمرو بن عامر بن غسان
وانتقالهم من اليمن والتي ذكر هذا الشاعر انها تثبت عليه لابي لهب ذكر
ابن اسحاق انه كان اخذ بغرم اربعة الاف درهم بمكة فوقف بها فمر به ابو لهب فافتكه
ونسب الزبير هذا الشعر لحذافة بن غانم ودليله قوله فيه اخارج اما اهلكن لبيت
بان خارجة هو ابن حذافة وكذا نسبه ابن اسحق اليه الشعر وهو اخو خزاعة ولا

يعرف له انس سوى لهمس جارية وانما هو والى ابي جهم بن حذيفة والتم ابي جهم عبيد وهو
الذي بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخميصة ذات الاعلام التي الهته عن صلاته وامر
ان يوتى بانبجانيته وقد اهدى عبد المطلب ولبنى زمزم والسقاية عليها
ابنه العباس وهو يومئذ من احدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهي بيده
فاقرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما مضى من ولايته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجله اجلال الولد الوالد يقول كيف يتامر لابن عباس وما ينبغي لرسول الله ان يجل الا والدا او عما
بفضيلة خص الله بها العباس دون من سواه وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني
في عمي عباس فان عم الرجل صنو ابيه ووضع يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هذا العباس اجود قريش كفا واوصله ولم يزل العباس سيدا في الجاهلية والاسلام
يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب قال الزبير وكان يقال كان للعباس بن عبد
المطلب ثوب لعاري بني هاشم وجفنة لجائعهم ومقطرة لجاهلهم والمقطرة خشبة ذات
سلسلة يحبس فيها الناس وفي ذلك يقول ابراهيم بن علي بن هرمة

وكانت لعباس ثلاث نعدها اذا ما جناب الحي اصبح اشهبا
فسلسلة تنهى الظلوم وجفنة تناخ فيكسوها السنام المرعبا
وحلة عصب ما تزال معدة لعار ضريك ثوبه قد تتربا

وقال ابن شهاب لقد جاء الله بالاسلام وان جفنة العباس لتدور على فقراء
بني هاشم وان قيده وسوطه لمعد لسفهائهم قال وكان ابن عمر يقول هو والله الشرف يطعم
الجائع ويودب السفيه وكان ابو بكر وعمر في ولايتهما لا يلقى العباس واحد منهما وهو
راكب الا نزل عن دابته وقادها ومشى مع العباس حتى يبلغ منزله او مجلسه فيفارقه
وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقتلا جده عبد المطلب مع عمه ابي طالب وكان عبد
المطلب يوصيه به فيما يزعمون وذلك ان عبد الله ابا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا طالب اخوان
لاب وام فكان ابو طالب هو الذي يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه وذكر
الواقدي ان ابا طالب كان مقلا من المال وكانت له قطعة من الابل تكون بعرنة فيبدو اليها فيكون
فيها ويوتى بلبنها اذا كان حاضرا بمكة وكان عيال ابي طالب اذا اكلوا جميعا او فرادى لم
يشبعوا واذا اكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان ابو طالب اذا اراد ان يغديهم او يعشيهم
يقول كما انتم حتى ياتي ابني فياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فياكل معهم فيفضلون من طعامهم وان كان
لبنا شرب رسول الله اولهم ثم يتناول العيال القعب فيشربون منه فيروون عن اخرهم من

القعب

٤٩

القعب الواحد وان كان احدهم ليشرب قعبا وحده فيقول ابو طالب انك لمبارك
وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا
وقالت ام ايمن وكانت تحضنه ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا جوعا قط
ولا عطشا وكان يغدو اذا اصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء
فيقول لا اريده انا شبعان قال ابن اسحق ثم ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا
الى الشام فلما تهيا للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له ابو طالب
وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا او كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب
بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له وكان اليه علم اهل النصرانية
ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه
كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم
ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا
وذلك فيما يزعمون عن شيء راه وهو في صومعته يزعمون انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الركب حين اقبلوا وغمامة تظلله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا
منه فنظر الى الغمامة حتى اظلت الشجرة وتهصرت اغصان الشجرة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما راى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد امر بذلك
الطعام فصنع ثم ارسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا
كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرى ان لك اليوم لشانا
ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم قال له بحيرى صدقت قد
كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم واصنع لكم طعاما فتاكلوا منه كلكم فاجتمعوا
اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم فلما نظر
بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن احد منكم
عن طعامي قالوا له يا بحيرى ما تخلف عنك احد ينبغي له ان ياتيك الا غلام وهو احدث القوم
سنا فتخلف في رحالهم قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقال
رجل من قريش واللات والعزى ان كان للوم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب
عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه واجلسه مع القوم فلما راه بحيرى جعل يلحظه
لحظا شديدا وينظر الى اشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم
من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى فقال له يا غلام اسالك بحق اللات والعزى

ذلك الا ما اخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما
فزعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما ابغضت
شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال له سلني
عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من حاله من نومه وهيئته واموره فيخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عنده من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة
بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده فلما فرغ اقبل على عمه ابي طالب فقال له ما
هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا
قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت فارجع بابن اخيك
الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن
لابن اخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه ابو طالب سريعا
حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا
رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رأى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه
ابي طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره
وصفاته وانهم ان اجمعوا لما ارادوا به لم يخلصوا اليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما
قال فتركوه وانصرفوا عنه **فشب** رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله
ويحفظه ويحوطه من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ ان كان رجلا
افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم حسبا واحسنهم جوارا واعظمهم حلما
واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها
وتكرما حتى ما اسمه في قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة **وكان**
صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وامر جاهليته انه قال لقد رأيتني
في غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى واخذ ازاره
وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر اذ لكمني لاكم
ما اراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك قال فاخذته فشددته علي ثم جعلت احمل
الحجارة على رقبتي وازاري علي من بين اصحابي **وذكر البخاري** عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ما هممت بسوء من امر الجاهلية الا مرتين وروي عنه انه قال للغلام الذي كان
في غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني امر الغنم حتى اتي مكة وكان بها
عرس فيها لهو فلما دنا من الدار ليحضر ذلك القي عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس

عصمه

بعصمة من الله له . والمرة الاخرى مثل ذلك او في سواه . وذكر الواقدي عن ام ايمن
قالت كانت بوانة صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك له وتحلق عنده وتعكف
عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب يحضره مع قومه ويكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معهم فيأبى ذلك قالت حتى رأيت ابا طالب غضب
عليه ورأيت عماته غضبن يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن انا لنخاف عليك
مما تصنع من اجتناب الهتنا ويقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر
لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع الينا مرعوبا فزعا
فقلن له ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك
بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم
منها تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد
لهم حتى تنبأ صلوات الله عليه وعلى اله . **ولما بلغ** رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد فيما ذكر غير واحد من اهل العلم
وذكر الواقدي باسناد له الى نفيسة بنت منية اخت يعلى بن منية وقد
روينا له ايضا من طريق الى علي بن الشكر وحديث احدهما داخل في حديث الاخر قال
النعلي وربما زاد احدهما الشيء اليسير وكلاهما ينتهي الى نفيسة قالت لما بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وليس له بمكة اسم الا الامين لما تكاملت فيه
من خصال الخير قال له ابو طالب يا ابن اخي انا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا والحت
علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها
الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها
ويصيبون منافع فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك
لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لاكره ان تاتي الشام واخاف عليك من يهود ولكن
لا نجد من ذلك بدا وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها
الى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال
مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش فليس عندهم بشيء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ان ترسل الي في ذلك فقال ابو طالب اني اخاف ان تولي غيرك
فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك ما قد بلغها
من صدق حديثه وعظم امانته وكرم اخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت

اليه فقالت انه دعاني الى البعثة اليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم امانتك وكرم
اخلاقك وانا اعطيك ضعف ما اعطي رجلا من قومك فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقي ابا طالب فذكر له ذلك فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج مع غلامها
ميسرة حتى قدم الشام وجعل عمومته يوصون به اهل العير حتى قدم الشام فنزلا في
سوق بصرى في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نسطورا فاطلع الراهب الى
ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت هذه الشجرة فقال ميسرة رجل
من قريش من اهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي ثم قال أفي
عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه قال الراهب هو هو وهو اخر الانبياء
ويا ليتني ادركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله صلى الله
عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف
في سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به يا ميسرة هذا
نبي والذي نفسي بيده انه لهو تجده احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة
ثم انصرف اهل العير جميعا وكان ميسرة يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت الهاجرة
واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره قال وكان الله عز وجل
قد القى على رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة من ميسرة فكان كانه عبد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها معها نساء فيهن
نفيسة بنت منية فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره
وملكان يظلان عليه فارته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخبرها بما ربحوا فسرت بذلك فلما دخل عليها ميسرة اخبرته بما رأت فقال لها
ميسرة قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام **واخبرها** بقول الراهب
نسطورا وقول الاخر الذي خالفه في البيع قالوا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح واضعفت له ما سمت له **فلما**
استقر عندها هذا وكانت امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله بها من كرامته
والخير وهي يومئذ اوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا
وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو يقدر عليه عرضت عليه نفسها فقالت له

يا

يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وامانتك وحسن
خلقك وصدق حديثك **فلما** قالت ذلك له ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه
حمزة بن عبد المطلب رحمه الله حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها
هكذا ذكر ابن اسحق **وذكر الواقدي** وغيره من حديث نفيسة
ان خديجة ارسلتها اليه دسيسا فرغبته الى ان تزوجها فلما اجاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسلت الى عمها عمرو بن اسد فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عمومته فزوجه احدهم وقال عمرو هذا البضع لا يقرع انفه **قال ابن هشام**
واصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وكانت اول امرأة تزوجها ولم يتزوج
عليها غيرها حتى ماتت **قال ابن اسحق** فولدت خديجة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم القاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب وزينب
ورقية وام كلثوم وفاطمة فاما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية
واما بناته فكلهن ادركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه وعلى قول ابن اسحق
في ذكر البنين انهم هلكوا في الجاهلية **وقال** الزبير بن بكار وهو من اهل هذا
الشأن ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيب ولم يبلغ النبوة ومات صغيرا
وفي مسند الفريابي عن جابر ان القاسم مات قبل ان تتم رضاعته وبعد النبوة
وذكر ان خديجة دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت القاسم وهي تبكي
عليه فقالت يا رسول الله لو كان عاش حتى يستكمل رضاعته لهون علي فقال ان له
مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته فقالت لو اعلم ذلك لهون علي فقال ان شئت
اسمعتك صوته في الجنة فقالت بل اصدق الله ورسوله **قال ابن هشام**
واما ابراهيم فامه مارية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التي اهداها اليه المقوقس
من حفن من كورة انصنا وهي قبطية من قبط مصر وهذا هو الصحيح الذي ذكره
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الله الله في اهل الذمة اهل المدرة السوداء
السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا فاما نسبهم فان ام اسماعيل
النبي عليه السلام منهم وصهرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم وفي
حديث اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا
فان لهم ذمة ورحما **قال ابن اسحق** وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت
لورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم

من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه انه كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الامة قد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي ينتظر هذا زمانه او كما قال فجعل ورقة يستبطئ الامر ويقول حتى متى

وقال في ذلك

لججت وكنت في الذكرى لجوجا   لهمّ طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف   فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي   حديثك ان ارى منه خروجا
بما خبّرتنا من قول قس   من الرهبان اكره ان يعوجا
بان محمدا سيسود فينا   ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور   يقيم به البرية ان تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا   ويلقى من يسالمه فلوجا
فيا ليتي اذا ما كان ذاكم   شهدت فكنت اولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهت قريش   ولو عجت بمكتها عجيجا
ارجّي بالذي كرهوا جميعا   الى ذي العرش ان سفلوا عروجا
وهل امر السفالة غير كفر   بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وابق تكن امور   يضج الكافرون لها ضجيجا
وان اهلك فكل فتى سيلقى   من الاقدار متلفة حروجا

وقال ورقة بن نوفل ايضا [illegible] مما رواه يونس بن بكير عن ابن اسحق

أتبكر ام انت العشية رائح   وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا احب فراقهم   كانك عنهم بعد يومين نازح
واخبار صدق خبّرت عن محمد   يخبرها عنه اذا غاب ناصح
بان الذي وجّهت يا خير حرة   بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى في الركاب التي غدت   وهن من الاحمال قعص دوالح
فخبّرنا عن كل حبر بعلمه   وللحق ابواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله احمد مرسل   الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به ان سوف يبعث صادقا   كما ارسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له   بهاء ومنشور من الذكر واضح

فيتبعه حيّا لؤي بن غالب   شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان ابق حتى يدرك الناس دهره   فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي   عن ارضك في الارض العريضة سائح

ذكر بنيان قريش الكعبة مع ذكر ما احدثوه في المناسك

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة **قال** موسى بن عقبة وانما حمل قريشا على بنيانها ان السيل كان اتى من فوق الردم الذي صنعوا فاخربه فخافوا ان يدخلها الماء وكان رجل يقال له مليح سرق طيب الكعبة فارادوا ان يشيدوا بنيانها وان يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاءوا واعدّوا لذلك نفقة وعمالا ثم غدوا اليها ليهدموها على شفق وحذر ان يمنعهم الله الذي ارادوا **قال** ابن اسحق وكانوا يهمّون بذلك ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وانما كان يكون في بئر في جوف الكعبة قال وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك **قال** وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدّوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها احد الا احزألّت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فبينا هي يوما تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو ان يكون الله قد رضي ما اردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما اجمعوا امرهم في هدمها وبنيانها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا لا تدخلوا فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر

ابن مخزوم ثم ان قريشا تجزات الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان
ما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان
ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني اسد
ابن عبد العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا
منها فقال الوليد بن المغيرة انا ابداكم في هدمها فاخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم
لم ترع ويقال لم نزغ اللهم انا لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس
تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه
شيء فقد رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم
الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم افضوا الى حجارة خضر
كالاسنمة اخذ بعضها بعضا قال ابن اسحق فحدثني بعض من يروي الحديث
ان رجلا من قريش ممن كان يهدمها ادخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها احدهما فلما
تحرك الحجر تنقضت مكة باسرها فانتهوا عن ذلك الاساس قال وحدثت ان قريشا
وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قراه لهم رجل من يهود فاذا هو انا الله
ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها
بسبعة املاك حنفاء لا تزول حتى تزول اخشباها مبارك لاهلها في الماء واللبن
وحدثت انهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة
سبل لا يحلها اول من اهلها وزعم ليث بن ابي سليم انهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة ان كان ما ذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا
يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات اجل كما
لا يجتنى من الشوك العنب قال ابن اسحق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة
لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه
كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوزوا وتحالفوا واعدوا للقتال
فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وادخلوا ايديهم
في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك اربع ليال او خمسا
ثم انهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض اهل الرواية ان ابا امية
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ اسن قريش كلها قال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم ففعلوا فكان

اول

اول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد فلما
انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن
فوضعه فيه بيده ثم قال لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا
ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم ثم بني عليه وكانت
الكعبة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة ذراعا كانت تكسى القباطي
ثم كسيت البرود واول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف هذا قول ابن اسحاق وقال
ابن الزبير بل اول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر جماعة
سواهما منهم الدارقطني ان نتيلة بنت جناب ام العباس بن عبد المطلب كانت
قد اضلت العباس وهو صبي صغير فنذرت ان هي وجدته ان تكسو الكعبة الديباج
فجعلت ذلك حين وجدته وذكر ابن الزبير ان التي اضلته نتيلة بنت جناب
انما هو ابنها ضرار بن عبد المطلب شقيق العباس ونذرت ان تكسو البيت ان وجدته
فكسته حين وجدته ثيابا بيضا والله تعالى اعلم قال ابن اسحق وكانت
قريش لا ادري اقبل الفيل ام بعده ابتدعت امر الحمس رايا راوه وادار وه فقالوا
نحن بنو ابراهيم واهل الحرمة وولاة البيت وقاطن مكة وساكنها فليس لاحد من
العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا
شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا
قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها
وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب
ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها الا انهم قالوا نحن اهل الحرم فليس ينبغي لنا ان
نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس اهل الحرم
ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل
لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم
في ذلك ثم ابتدعوا في ذلك امورا لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغي للحمس ان يأتقطوا
الاقط ولا يسلئوا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا
الا في بيوت الادم ما كانوا حرما ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لاهل الحل ان ياكلوا
من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجا او عمارا ولا يطوفوا بالبيت
اذا قدموا اول طوافهم الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة

الحمس

فان تكرم منهم متكرم من رجل او امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها
من الحل القاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا احد غيره
ابدا فكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى فحملوا على ذلك العرب فدانت به فوقفوا
على عرفات وافاضوا منها وطافوا بالبيت عراة اما الرجال فيطوفون عراة واما النساء
فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه فكانوا كذلك
حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه حين احكم له دينه وشرع
له سنن حجه ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية يعني قريشا والناس العرب فرفعهم
في سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها وانزل عليه فيما كانوا حرموا
على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عند البيت عراة وحرموا ما جاءوا به
من الحل من الطعام يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية كلها
فوضع الله امر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه على الناس بالاسلام حين بعث
الله به رسوله **ولم** يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوافق قومه على تغيير مشاعر
الحج والوقوف واحرموا مع الناس **قال جبير** بن مطعم لقد رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي وانه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه
حتى يدفع معهم توفيقا من الله له **وقد تقدم** ما اخر شوله في النسيء وما ابطل
الله من ذلك بقوله سبحانه انما النسيء زيادة في الكفر فاغنى ذلك عن اعادته

ذكر ما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بسوى ما تقدم من ذلك

قال ابن اسحق مع ذكر شيء مما سمع من الجن عند الاصنام او هتفت به الهواتف
وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه اما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فعما

وجدوا

٥٤

وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد انبيائهم اليهم وأما الكهان
من العرب فاتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك
وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره لا تلقي العرب
لذلك فيه بالا حتى بعثه الله ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرون فعرفوها
فلما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين
عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها لاستراق فرموا بالنجوم
فعرفت الجن ان ذلك لامر حدث من امر الله في العباد لقول الله لنبيه **محمد**
صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك
بربنا احدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا
على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا
وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا **فلما** سمعت الجن القران عرفت انها انما منعت
من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على اهل الارض
ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فامنوا به وصدقوا ثم ولوا
الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا
لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم **وقول** الجن وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن الاية هو ان الرجل من العرب من قريش وغيرهم كان اذا سافر
فنزل بطن واد من الارض ليبيت فيه قال اني اعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن
الليلة من شر ما فيه **وذكر** ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها
ثقيف وانهم جاءوا الى رجل منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى
العرب وانكرها رايا فقالوا له يا عمرو الم تر ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم
قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف
بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها
فهو والله طي الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي

ثابتة على حالها عرفوا أنه لأمر أراد الله به هذا الخلق فلما هو **وقد قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه لنفر من الأنصار ما كنتم تقولون في هذا النجم
الذي يرمى به قالوا يا نبي الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ملك
ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله عليه السلام ليس ذلك كذلك
ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا
فسبح من تحتهم لتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى
تنتهي إلى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون
سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا
فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا إلى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى
الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى
ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثوا به فتسترقه الشياطين بالسمع على
توهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون
فيتحدث به الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا ثم إن الله حجب
الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة
وذكر أبو جعفر العقيلي بإسناد له إلى لهب بن ملحان اللهبي قال حضرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي أنت وأمي نحن أول
من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند
قذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا
قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك
علم بهذه النجوم التي يرمى بها فإنا فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني
بسحر أخبركم الخبر ألخير أم ضرر أو لأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما
كان من غد في وجه السحر أتيناه فإذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء
بعينيه فناديناه يا خطر فأومأ إلينا أن أمسكوا فأمسكنا فانقض
نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته أصابه أصابه خامره عقابه
عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله جوابه يا ويله ما حاله بلبله بلباله
عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا وقال يا معشر
بني قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسمت بالكعبة والأركان والبلد المؤتمن السدان

لقد منع

لقد منع السمع عتاة الجان بثاقب بكف ذي سلطان من أجل مبعوث عظيم الشان
يبعث بالتنزيل والقرآن وبالهدى وفاصل الفرقان وتبطل به عبادة الأوثان قال
فقلت يا خطر إنك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال أرى لقومي ما أرى لنفسي
أن يتبعوا خير نبي الإنس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث في مكة دار الحمس
بحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له يا خطر ومن هو فقال والحياة والعيش
إنه لمن قريش ما في حلمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش وأي جيش
من آل قحطان وآل أيش فقلنا بين لنا من أي قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم
إنه لمن نجل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال
هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر
وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة فقال لا إله
إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة وإنه
ليبعث يوم القيامة أمة وحده **قال ابن إسحق** وحدثني بعض أهل العلم
أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها
ليلة من الليالي فانقض تحتها ثم قال أدر ما أدر يوم عقر ونحر فقالت قريش
حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب
ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد إن
هذا لأمر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب
فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته **قال** وحدثني علي بن نافع الجرشي
أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتشر في العرب قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله
فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه
إلى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس إن الله أكرم محمدا واصطفاه
وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث
جاء **قال** وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب بينما هو جالس في الناس في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل من العرب يريد عمر فلما نظر إليه عمر قال إن الرجل
لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس
فقال له عمر هل أسلمت قال نعم يا أمير المؤمنين قال فهل كنت كاهنا في الجاهلية فقال

الرجل سبحان الله يا امير المومنين لقد خلقت مني واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد
من رعيتك منذ وليت فقال عمر اللهم غفرا انا كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد
الاصنام ونعتنق الاوثان حتى اكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا امير المومنين
لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فاخبرني ما جاءك به صاحبك قال جاءني قبيل الاسلام
بشهر او شيعه فقال الم تر الى الجن وابلاسها واياسها من دينها ولحوقها بالقلاص
وأحلاسها **قال ابن هشام** هذا الكلام سجع وليس بشعر وانشدنيه بعض
اهل العلم بالشعر

عجبت للجن وابلاسها — وشدها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى — ما مومنوا الجن كانجاسها

وقال عمر رضي الله عنه عند ذلك يحدث الناس والله اني لعند وثن من اوثان الجاهلية
في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت
من جوف العجل صوتا ما سمعت قط انفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر او شيعه
يقول يا ذريح امر نجيح رجل يصيح يقول لا اله الا الله **قال ابن هشام**
ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا اله الا الله **وهذا** الرجل الذي كهن به عمر
رضي الله عنه ما ذكر هو سواد بن قارب الدوسي وكان يتكهن في الجاهلية وقد ذكر
خبره غير ابن اسحق فساقه سياقة احسن من هذه واتم وذكر فيه انه كان نائما على جبل
من جبال السراة ليلة من الليالي فأتاه آت فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب
اتاك رسول من لؤي بن غالب فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن وتطلابها — وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى — ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم — ليس قداماها كأذنابها

وأتاه في الليلة الثانية فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب اتاك رسول
من لؤي بن غالب فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن واخبارها — ورحلها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى — ما مومنوها مثل كفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم — ليس قداماها كادبارها

وأتاه في الليلة الثالثة بعدما نام فضربه برجله وقال قم يا سواد بن قارب أتاك

رسول

رسول من لؤي بن غالب فرفعت رأسي وجلست فأدبر وهو يقول

عجبت للجن وابلاسها — ورحلها العيس باحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى — ما مومنوها مثل ارجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم — وارم بعينيك الى راسها

قال فلما اصبحت اقتعدت بعيري فأتيت مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ظهر فاخبرته الخبر وبايعته **وفي** بعض هذا الحديث انه انشد رسول الله صلى الله
عليه وسلم شعرا منه في معنى ما جاء به رئيه

أتاني رئيي بعد هدء ورقدة — ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة — اتاك نبي من لؤي بن غالب
فرفعت اذيال الازار وشمرت — بي العرمس الوجناء حول السباسب
فاشهد ان الله لا شيء غيره — وانك مامون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة — الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك من وحي ربنا — وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة — بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في قومه دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يثبتهم فيه ويحضهم على التمسك بالاسلام سنذكره ان شاء الله مع نظائر سواه
بعد استيفاء الخبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وذكر الواقدي**
باسناد له قال كان ابو هريرة يحدث ان قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا
يتحاكمون الى اصنامهم فيقال لابي هريرة هل كنت انت تتقلد لها فيقول نعم والله فلقد
ما كنت فالحمد لله الذي انقذني بمحمد صلى الله عليه وسلم **قال** ابو هريرة فبينما
الخثعميون عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يهتف

يا ايها الناس ذوو الاجسام — ومسندو الحكم الى الاصنام
أكلكم اوله كالكهام — ألا ترون ما ارى امامي
من ساطع يجلو دجى الظلام — ذاك نبي سيد الانام
من هاشم في ذروة السنام — مستعلن بالبلد الحرام
جاء يهد الكفر بالاسلام — اكرمه الرحمن من امام

قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثالثة

حتى قدم منهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو بمكة قال فلما أسلم الخثعميون حتى
استبان لهم الإسلام ورأوا صنما أعنز صنمهم. وذكر الواقدي أيضا أن رجلا
من الأنصار حدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال انطلقت أنا وصاحبان لي نريد الشام
حتى إذا كنا بقفرة من الأرض نزلنا بها فبينما نحن كذلك لحقنا راكب فكنا أربعة وقد
أصابنا سغب شديد فالتفت فإذا أنا بظبية عضباء ترتع في بيداء فوثبت إليها
فقال الرجل الذي لحقنا خل سبيلها لا أبا لك والله لقد رأيتنا ونحن نسلك هذه الطريق
ونحن عشرة أو أكثر فيختطف بعضنا فما هو إلا أن كانت هذه الظبية فما يهاج بها
أحد فأبيت وقلت لا لعمر الله لا أخليها فارتحلنا وقد شددتها معي حتى إذا ذهب
هدء من الليل إذا هاتف يهتف بنا ويقول

يا أيها الركب السراع الأربعة ... خلوا سبيل النافر المفزعة
خلوا عن العضباء في الوادي سعة ... لا تذبحن الظبية المروعة
فيها لأيتام صغار منفعة

قال فخليت سبيلها ثم انطلقنا حتى أتينا الشام فقضينا حوائجنا ثم أقبلنا
حتى إذا كنا بالمكان الذي كنا فيه هتف بنا هاتف من خلفنا إياك لا تعجل خزها بتعقه
جاء بخير النبي سيد الخلق فقه . من لاح نجم بأرض مشرقه . يخرج من ظلمات عسوق
موبقه . ذاك رسول مفلح من صدقه . الله أعلى أمره وحققه . قال الرجل
فأتيت مكة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام فقال عمر رضي الله عنه
الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم. وروينا عن أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي
بإسناد متصل إليه قال حدثني شيخ من شيوخ أهل المنقر من بني تميم عن رجل من بني مازن
يقال له مازن بن الغضوبة الطائي في سبب إسلامه ووفوده على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنه كان يسدن صنما يقال له باجر وكان مازن بأرض عمان بقرية تدعى سمائل
قال مازن فعترنا ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة فسمعت صوتا من الصنم يقول يا مازن
أقبل إلي أقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل فآمن به كي تعدل عن
حر نار تشعل وقودها بالجندل قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب
ثم عترت بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتا أبين من الأول وهو يقول يا مازن اسمع
تسر ظهر خير وبطن شر بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر
تسلم من حر سقر قال مازن فقلت إن هذا والله لعجب وإنه لخير يراد بي

وقدم

وقدم علينا رجل من أهل الحجاز فقلنا ما الخبر وراءك قال خرج بتهامة رجل يقول لمن
أتاه أجيبوا داعي الله يقال له أحمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت فثرت إلى
الصنم فكسرته أجذاذا وشددت راحلتي ورحلت حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشرح لي الإسلام فأسلمت وأنشأت أقول

كسرت باجر أجذاذا وكان لنا ... ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا ... ولم يكن دينه مني على بال
يا راكبا بلغن عمرا وإخوتها ... أني لمن قال ربي باجر قال

فقلت يا رسول الله إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر وبالهلوك إلى النساء
وألحت علينا السنون فأذهبن الأموال وأهزلن الذراري وليس لي ولد فادع
الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وائته بالحيا وهب له ولدا
قال مازن فأذهب الله عني كل ما أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر
ووهب الله لي حيان بن مازن وأنشأت أقول

إليك رسول الله خبت مطيتي ... تجوب الفيافي من عمان إلى العرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى ... فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج
إلى معشر خالفت في الله دينهم ... فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي
وكنت امرأ بالزغب والخمر مولعا ... شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
فأصبحت همي في جهاد ونيتي ... فلله ما صومي ولله ما حجي

ومما يلحق بهذا الباب من حديث أخبار الكهان وإن كان بعد المبعث
بزمان لكنه يجتمع مع الأحاديث السابقة في الدلالة على صدق ما تقدم من الإعلام
بالغيب المجهول وكان يساق إلى نحو ذلك السبيل ما ذكره أبو علي إسماعيل بن القاسم في أماليه
بإسناد له إلى ابن الكلبي عن أبيه قال كان خنافر بن التوأم الحميري كاهنا وكان
قد أوتي بسطة في الجسم وسعة في المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على
النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الإسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج
بأهله وماله ولحق بالشحر فحالف جودان بن يحيى وكان سيدا منيعا ونزل بواد من أودية
الشحر مخصب كثير الشجر من الأيك والعرين قال خنافر وكان رئيي في الجاهلية
لا يغيب عني فلما شاع الإسلام فقدته مدة طويلة وساءني ذلك فبينما أنا ليلة

بين لظى الهواجر نابغا اذ صوى صوت الغراب بقال الخيام فقلت بشطار بقال الصبح
أقبل قلت قل الشيخ فقال هذه تختم لكل امرئ بنهاية وكل غاية امل الى غاية قلت
أجل فقال كل والد وولد الى اجل ثم ينتاح لها حول ان تنفسخت النخل ورجعت الى
حقا نفقها الملك انك تحيي توصلت والنصح لما تنزلت انه انقلبت بأرض الشام
ثم امر ابدل العزام حتى كانا على الغمام يترسم وزع ازنوني الكلام ينبئ بالشيء انواع
ولا الفصيح المتكلف فأصغيت من حزن بعادة بتكلفت فقلت بن تميمون
وإلى م تغترون وقالوا جهلاء كبار جاء من عند الملك الجبار فاستمع
باشتغال عن اصحو الاخبار واشتد اوضح دلالات تنبع من أنوار النار فقلت
وما هذا الكلام قالوا من قال بين الكعبة ودلالات رسول من مضر من اهل الحرم انبعث
بطيبة فجاء بقول فصل وأوضح منهجا فرد ثم بينه مواعظ لمن اعتبر ومعاد
لمن ازدجر أيقظنا للوحي قلت ومن هذا المبعوث من مضر قالوا احمد خير
البشر فان آمنت النصر وان خالفت اصليت سقر فآمنت بأحمد وقد
وأقبلت ابيك ابا ذر جانب كل بحر كاجر وشايع كل موج هائج ولا يهتدي ابن أوى
من الا تلاق **قلت** من أين ابتغي هذا البيت قال من ذات الحجر والشعر اليمامي
أهل الماء والبعير قلت أين فقال الغريب ذات النخل والحرة ذات الرمل
جمعنا ما اطل البعض والقول والمواساة وابتدات ثم اقبلت على قعيدة من بعيرا
أرى الصلاح بلعنا بروق بها الموت انتهكت رواحلي واذنت الصبر واحتملت
باهلي حتى وردت الجوف من ذات الابل على أن بابها يعود بها وسقاها وأقبلت
أرى ضعفا فأصبت فيها معاذ بن جبل أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته
على الاسلام وعلمني من القرآن ما من الله علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة

وقلت في ذلك

ألم تر أن الله عاد بفضله فأنقذ من لفح الزخيخ خناجرا
وكشف لي عن جمتي عمايتها وأوضح لي نهجي وقد كان دائرا
دعاني شطار للتي لو رفضتها لأصليت جمرا من لظى الحوت واهرا
فأصبحت والإسلام حشو جوانحي وجانبت ما أمسى عن الحق نابرا
وكان مضلي من هويت بجهله فأصبح بالله مغويا بائر الشر امرا
فحوت بحمد الله من كل فجعة توورث هلكا يوم شايعت شاعرا

معز

٥٨

فقد آمنني بعد الإيمان بما كنت أخشى المنويات تجابرا
ومن مبلغ قيسا ان توصي أبوكة بأنني من أفنان من كان كافرا
عليكم سواء القصر لا من جزائه فقد اصبح للإسلام البيت ظاهرا

وذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم حدثه أنه كان لمرداس أبي عباس بن مرداس وثن يعبده وهو حجر يقال له ضمار فلما حضر مرداس قال للعباس أي بني اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبي محمد

فحرق العباس ضمار ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم. **والأخبار** في هذا الباب مما نقل من ذلك عن الكهان أو سمع عند الأصنام أو هتفت به هواتف الجان كثيرة جدا **و**فيما أثبتناه كفاية مما سنذكره مما ذكره ابن إسحاق وغيره سواد. قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا وهداه لما كنا نسمع من أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم **فلما** بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. **قال** وحدثني صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أهل بدر قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به ولود أن له

بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه
بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يا فلان وما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو
هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن فقالوا ومتى تراه قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا
فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه **قال سلمة** فوالله ما ذهب
الليل والنهار حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا فآمنا به
وكفر به بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت قال
بلى ولكن ليس به **قال** وحدثني عاصم بن عمر عن شيخ من بني قريظة قال قال لي
هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من هدل
إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام قال قلت لا قال
فإن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الإسلام بسنين
فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا إذا
قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا
بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر أو مدين من شعير فنخرجها
ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح مجلسه حتى تمر السحاب
ويسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف
أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس
والجوع قلنا أنت أعلم قال فإنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه
وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن
إليه يا معشر يهود فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه
فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال
هؤلاء الفتية وكانوا شبابا أحداثا يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم
فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله إنه لهو بصفته فنزلوا فأسلموا فأحرزوا
دماءهم وأموالهم وأهليهم **قال ابن إسحاق** فهذا ما بلغنا من أخبار يهود
قال وحدثني عاصم عن محمود عن ابن عباس قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال
كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي وكان أبي دهقان قريته
وكنت أحب خلق الله إليه لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية
واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة وكانت

لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني إني قد شغلت في بنياني
هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب إليها فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد
ثم قال لي ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني
عن كل شيء من أمري فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها فمررت بكنيسة من
كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس
لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما
رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه
فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين
أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله
كله فلما جئته قال أي بني أين كنت ألم أكن عهدت إليك ما عهدت قلت يا أبت
مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت
عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك
خير منه فقلت له كلا والله إنه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم
حبسني في بيته وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني
بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني بهم فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا
الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم
فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت
من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الأسقف في الكنيسة فجئته فقلت له إني قد
رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي
معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا
إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب
وورق فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات واجتمعت النصارى
ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا
جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا فقالوا لي وما علمك بذلك
قلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا
وورقا فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا
برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا

وكان أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله فأقمت
معه زماناً ثم حضرته الوفاة فقلت له يا فلان إني قد كنت معك وأحببتك حباً
لم أحبه شيئاً قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني فقال
أي بني والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا إلا رجلاً
بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل
فقلت له يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره فقال لي
أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات
فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك
وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلم رجلاً
على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب
نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر
صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضرته الوفاة
قلت له يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي
وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه
إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا
فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل
على هدي أصحابه وأمرهم واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله
فلما حضر قلت له يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى
فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بني والله ما أعلمه
أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث
بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى
يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق
بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مر بي
نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه
قالوا نعم فأعطيتموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني
من رجل يهودي عبداً فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي
ولم يحق في نفسي فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة

فابتاعني

فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة
صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة
ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة
فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي
إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم
الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي فلما
سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي فنزلت عن النخلة
فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال
ما لك ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال
وقد كان عندي شيء قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله
وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب
لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم
فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا وأمسك يده
فلم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول
الله إلى المدينة ثم جئته به فقلت إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية
أكرمتك بها فأكل رسول الله منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت في نفسي
هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع
جنازة رجل من أصحابه علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم
استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله
استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت
إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس
فأعجب رسول الله أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله
بدر وأحد قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت
صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين
ودية والرجل بخمس عشرة والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي

ثلاث مائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر لها فاذا
فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي ففقرت وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته
فأخبرته فخرج معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله بيده حتى فرغنا
فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال
فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل
الفارسي المكاتب فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع
هذه يا رسول الله مما علي قال خذها فإن الله سيؤدي بها عنك فأخذتها فوزنت لهم
منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم فشهدت مع رسول الله
الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد **وعن سلمان** أنه قال لما قلت وأين تقع
هذه مما علي يا رسول الله أخذها رسول الله فقلبها على لسانه ثم قال خذها
فأوفهم منها فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية **وعنه**
أيضا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبر الراهب صاحب عمورية قال له
ايت كذا وكذا من أرض الشام فإن بها رجلا بين غيضتين يخرج في كل سنة من هذه
الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي
فسله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه **قال سلمان** فخرجت حتى جئت
حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج لهم تلك الليلة
مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي
وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه فتناولته
فقال من هذا والتفت إلي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم قال إنك
لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم
فأته فهو يحملك عليه ثم دخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني
يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم **ومن حديث** عمرو بن أمية عن أبي سفيان بن
حرب قال خرجت أنا وأمية بن أبي الصلت وأخذ سفرا له من كتابه تجارا إلى الشام قال أبو
سفيان فكلما نزلنا منزلا أخرج أمية سفرا يقرأه علينا فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية
من قرى النصارى فجاؤوه وعرفوه وأهدوا له فذهب معهم إلى بيعتهم ثم رجع في وسط النهار
فطرح ثوبيه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما ثم قال يا أبا سفيان هل لك في عالم من علماء
النصارى إليه تناهى علم الكتاب تسأله عما بدا لك قال قلت لا أرب لي فيه والله لئن حدثني

ما أحب

ما أحب لا أثق به ولئن حدثني ما أكره لأوجلن منه قال وذهب وخالفه شيخ من النصارى
فدخل علينا فقال يعجبني له ولا آخر الذي كان معه ما منعكما أن تذهبا إلى هذا الشيخ
قلنا لسنا على دينه قال وإن فإنكما تسمعان عجبا وتريانه ثم قال أفقلنا لا أرب لنا في ذلك قال
أثقفيان أنتما قلنا لا ولكن من قريش قال فما منعكما من الشيخ فوالله إنه ليحبكم
ويوصي بكم فخرج من عندنا ومكث أمية عندنا حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح
ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح فأصبح كئيبا حزينا
ساقطا غبوقه على صبوحه ما يكلمنا ثم قال ألا ترحلان قلنا وهل بك من رحيل قال نعم
فرحلنا من حلنا فسرنا بذلك ليلتين من همه وبثه ثم قال في الليلة الثالثة يا أبا سفيان
قلت وهل بك من حديث فوالله ما رأينا مثل الذي رجعت به من عند صاحبك قال أما إن
ذلك شيء لست فيه إنما ذلك شيء وجلت به من منقلبي قلت وهل لك من منقلب
قال إي والله لأموتن ولأحاسبن قلت فهل أنت قابل أماني قال على ماذا قلت على
أنك لا تبعث ولا تحاسب فضحك ثم قال بلى والله يا أبا سفيان لنبعثن ولنحاسبن
وليدخلن فريق الجنة وفريق السعير النار قلت ففي أيهما أنت أخبرك صاحبك قال لا
علم لصاحبي بذلك في ولا في نفسه فكنا في ذلك ليلتنا يعجب منا ونضحك منه حتى
قدمنا غوطة دمشق وأباها كنا نبيعنا متاعنا وأقمنا بها شهرين ثم ارتحلنا
حتى نزلنا بتلك القرية من قرى النصارى فلما رأوه جاءوه وأهدوا له وذهب
معهم إلى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين فذهب ولم يدعنا
إليه كما دعانا أول مرة حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه
على فراشه فوالله ما نام ولا قام فأصبح مبثوثا حزينا لا يكلمنا ولا نكلمه ثم قال ألا
ترحلان قلت بلى إن شئت قال فارتحلنا فسرنا كذلك من بثه وحزنه ليالي ثم
قال لي ليلة يا أبا سفيان هل لك في المسير ونخلف هذا الغلام يقفنا أثرنا بأصحابنا
ويشتد نصون به قلت له ما شئت قال فسرنا وسرنا حتى برزنا فقال هيه يا صخر فقلت
ما لك قال هيه عن عتبة بن ربيعة أيجتنب المحارم والمظالم قلت إي والله قال ويصل
الرحم ويأمر بصلتها قلت نعم ويصل الرحم ويأمر بصلتها قال وكريم الطرفين وأوسط
في العشيرة قلت كريم الطرفين وأوسط في العشيرة قال فهل تعلم قرشيا أشرف منه
قلت لا والله ما أعلم قال أمحوج هو قلت لا إنه ذو مال قال وكم أتى له قلت هو ابن سبعين
نظر إليها قد قاربها هو دونها هو ابنها قال السن والشرف أزريا به قلت وما لهما

أزريا به لا والله بل أخبرنا أنه إذا شاء قد أخبرنا قال هو ذا هل لك في المسير قلت هل لي
فيه قال وما فصحبنا حتى مررنا بالثقل فيمن كان معنا حتى نزلنا بكنا في المنزل أو منزلنا ثم رحلنا
فلما كان الليل قال يا أبا سفيان قلت فيبط قال هل لك في البارحة قلت هل لي قال فعزنا
على ما عندنا جيئتين حتى إذا ابرزنا قال يا صخر إيه عن عتبة قلت إيه عنه قال يجتنب
المحارم والمظالم ويأمر بصلة الرحم ويحض عليها قلت ويفعل قال ومخوج قلت ومخوج
قال تعلم من شيئا أشرف منه قلت والله ما أعلمه قال وكم أتى له قلت مئة ونحو لها
فهو ابنتها قد أنفقها قال ما يزري السن والشرف به أزريا به قلت لا والله ما أزريا به
ولكنهما زاداه وانت قابل شيئا بقلة قال والله لا تزرك حديثي حتى يأتي ما هو آتي
قلت والله إذ أكرد فقال إن رأيت أنا نبي قد جئت هذا الغلام بسألته عن
أشياء فقال أخبرني عن هذا النبي الذي ينتظر قال هو رجل من العرب قلت قد علمت
ممن أي العرب قال فهو من أهل بيت يحجه العرب قلت فينا بيت تحجه العرب قال لا
هو أخوتكم وجيرانكم من قريش قال وما أصابني والله شيء ما أصابني مثله قط وخرج من
يدي فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو قال إذا كان ما كان فصفه لي قال هو
شاب حين دخل في الكهولة بدء أمره أنه يجتنب المحارم والمظالم ويصل الرحم
ويأمر بصلتها وهو مخوج ليس بما ذهب قد كرم الله قبيل متوسطة في العشيرة
أكثر جنده من الملائكة قال قلت وما آية ذلك قال قد رجفت بالشام منذ هلك عيسى
عليه السلام ثمانون رجفة كلها فيهم مصيبة عامة وبقيت رجفة عامة فيها
مصيبة يخرج على إثرها قال أبو سفيان قلت إن هذا هو الباطل لئن
بعث الله رسولا لا يأخذه إلا شيء بقامتنا قال والذي يحلف به إن هذا لهكذا يا أبا سفيان
هل لك في المسير فسرنا حتى مررنا بالثقل فرحلنا حتى إذا كان بيننا وبين مكة
ليلتان أدركنا الخبر من خلفنا أصاب الشام بعدكم رجفة ومن أهلها وأصابتهم فيها
مصيبة عظيمة قال كيف ترى يا أبا سفيان قلت أرى والله ما أظن صاحبك إلا صادقا
وقدمنا مكة فقضيت ما كان معي ثم انطلقت حتى جئت أرض الحبشة تاجرا فمكثت
بها خمسة أشهر ثم أقبلت حتى قدمت مكة فبينا أنا في منزلي جاءني الناس يسلمون
علي حتى جاء بني في آخرهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم
وهند جالسة تلاعب صبية لها فسلم علي ورحب بي وسألني عن سفري ومقدمي
ثم انطلق فقلت والله إن هذا الفتى لعجب ما جاءنا أحد من قريش له معي بضاعة إلا سألني

عنها

عنها وما بلغت والله إن له معي لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألني بقالت
أوما علمت بشأنه قلت ومن هو قالت والله إنه ليزعم أنه رسول الله
فأوقفتني ذلك وذكرني قول النصراني ورجفت حتى قالت لي ما لك فانتبهت
وقلت إن هذا والله لهو الباطل لهو أعقل من أن يقول هذا قالت بلى والله إنه ليقوله
ويؤتى عليه وإن له لصحابة معه على أمره قلت هو والله باطل فخرجت فبينا أنا
أطوف إذ لقيته فقلت إن بضاعتك قد بلغت وكان فيها خير فأرسل إليها
فخذها ولست آخذ منها ما آخذ من قومي قال فإني غير آخذها حتى تأخذ مني
ما تأخذ من قومي قلت ما أنا بفاعل قال فوالله إذا لا آخذها قلت فأرسل إليها
فأخذتها منها ما كنت آخذ وبعثت إليه بضاعته ولم أنشب أن خرجت تاجرا
إلى اليمن فقدمت الطائف فنزلت على أمية فتغديت معه ثم قلت يا أبا عثمان هل تذكر
حديث النصراني قال أذكره قلت فقد كان قال ومن قلت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ثم قصصت عليه خبر هند قال والله يعلم أنه تصبب عرقا ثم قال يا أبا سفيان
لعله إن صفته لهي هي ولئن ظهر وأنا حي لأبلين الله في نصره عذرا ومضيت
إلى اليمن فلم أنشب أن جاءني هنالك استهلاله وأقبلت حتى قدمت الطائف فنزلت على
أمية بن أبي الصلت فقلت قد كان من هذا الرجل ما قد بلغك وسمعته قال قد كان قلت
فأين أنت منه قال ما كنت لأومن برسول ليس من ثقيف قال أبو سفيان
فأقبلت إلى مكة والله ما أنا منه ببعيد حتى جئنا قد حزته هو وأصحابه يضربون
ويقهرون فجعلت أقول فأين جنده من الملائكة ودخلني ما دخل الناس من النفاسة وفي
في الحديث من قول أبي سفيان إن عتبة بن ربيعة ذو مال وشرف فهذا من قول أبي سفيان
أيضا أنه مخوج ولا يصح أن يجتمع ذلك إلا إن أحدهما على [illegible] أعلم
والمشهور من حال عتبة أنه كان فقيرا وكان يعال لم يسد من قريش مملق إلا عتبة
وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال **وأما أمية** بن أبي الصلت بن رجل من
ثقيف لم يكن من أهل الجاهلية وكان وقفه الله للدخول في السمحة الحنيفية
فكان كما روي عن عمرو بن الشريد قال النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمية بن أبي الصلت فقال
أوتي علما فضيعه وكما روي عن الحسن وقتادة أنهما قالا في قول الله تعالى واتل
عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين إنه
أمية بن أبي الصلت قال ابن إسحق واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم

من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده فخلص منهم أربعة نفر نجيا
ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل
وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وزيد بن عمرو بن
نفيل فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم
ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله
ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم فأما ورقة بن
نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها وذكر ابن بكير بن أبي
بكير باسناد له إلى عروة بن الزبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل
فقال لقد رأيته في المنام عليه ثياب بيض فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض
وكان يذكر الله في شعره في الجاهلية ويسبحه وهو الذي يقول

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم … أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلها غير خالقكم … فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحانا يدوم له … رب البرية فرد واحد صمد
سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ له … وقبل سبحه الجودي والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له … لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته … يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه … والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح به … والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت لعزتها … من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب … لا بد من ورده يوما كما وردوا

وفي هذا الشعر أبيات مع غير ابن بكير والبيت لا أحسبها كذلك وفيه أبيات تنسب
لأمية بن أبي الصلت قال ابن اسحق وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو
عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى أرض الحبشة ومعه امرأته أم
حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك
نصرانيا فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة وكان حين تنصر يمر
بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فقحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر
ولم تبصروا بعد وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت

منزلته

منزلته عنده وذكر ابن هشام أن قيصر ملكه على أهل مكة وكتب له إليهم فأنفت
قريش من ذلك وصاح بهم ابن عمه أبو زمعة الأسود بن المطلب بن أسد والناس
في الطواف إن قريشا لقاح لا تملك ولا تملك فمضت قريش على كلامه ومنعوا عثمان ما
جاء به فرجع إلى قيصر ومات بالشام مسموما سقاه السم عمرو بن جفنة الغساني
قال ابن اسحق وأما زيد
بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل
الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ونهى عن قتل الموءودة وقال
أعبد رب إبراهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنهما لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره إلى الكعبة وهو
يقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم
غيري ثم يقول اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه ثم
يسجد على راحته وسأل ابنه سعيد بن زيد وابن عمه عمر بن الخطاب بن نفيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنستغفر لزيد بن عمرو قال نعم فإنه يبعث أمة وحده وقال زيد
ابن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب … أدين إذا تقسمت الأمور
عزلت اللات والعزى جميعا … كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها … ولا صنمي بني عمرو أزور
ولا غنما أدين وكان ربا … لنا في الدهر إذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي معجبات … وفي الأيام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا … كثيرا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم … فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما … كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي … ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها … متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان … وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وإن يموتوا … يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل وذكر ابن هشام أن أكثرها لأمية بن أبي الصلت في قصيدة

إلى الله أهدي مدحتي وثنائيا * وقولا رصينا لا يفني الدهر باقيا
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه * إله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الإنسان إياك والردى * فإنك لا تخفي من الله خافيا
وإياك لا تجعل مع الله غيره * فإن سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك إن الجن كانت رجاءهم * وأنت إلهي ربنا ورجائيا
رضيت بك اللهم ربا فلن أرى * أدين إلها غيرك الله ثانيا
وأنت الذي من فضل من ورحمة * بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهارون فادعوا * إلى الله فرعون الذي كان طاغيا
وقولا له أأنت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه * بلا عمد أرفق إذا بك بانيا
وقولا له أأنت سويت وسطها * منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الأرض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه في رءوسه * وفي ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا * وقد بات في أضعاف حوت لياليا
وإني ولو سبحت باسمك ربنا * لأكثر إلا ما غفرت خطائيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة * علي وبارك في بني وماليا

وقال زيد بن عمرو أيضا

أسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا

ويروى أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال: لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم إذ قال: أنفي لك عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم البر أبغي لا الخال ليس مهجر كمن قال ويقال البر أبغي لا الخال **وكان** الخطاب بن نفيل قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة من حراء مقابل مكة وكان الخطاب عمه وأخوه لأمه وكل به شبابا من شباب قريش وسفهاءهم

وقال لهم لا تتركوه يدخل مكة وكان لا يدخلها إلا سرا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراقه وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم وكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته تهيأ للخروج وأراده آذنت الخطاب بن نفيل وكان الخطاب وكلها به وقال إذا رأيتيه هم بأمر فآذنيني به ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي يخرج في بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة ابن نوفل يبكيه:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغي كما هيا
فأصبحت في دار كريم مقامها * تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

قال ابن إسحاق وكان فيما بلغني عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت لهم يحنس الحواري حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني وأيضا للرب ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب وروح القسط هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد علي وأنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا فالمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية البرقليطس **قال** ابن هشام بلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا

عندهم بكلمات ربيعة منهم فانقضت الرياسة الى غيرهم ختم على تلك الكتب فلما تم امر
الخواتم التي قبلها ولم يكسرها فخرج الذي بعثه الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي
معه فقال ابنه نعم دلني عليه فعرفه الى النبي عليه السلام فقال له ابوه لا تفعل فانه نبي
واسمه في المواضع يعني الكتب فلما مات لم يكن لابنه همة الا ان شق مكان الخواتم فوجد
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وحج وهو الذي يقول اليك تعدوا قلقا
وضينها معترضا في بطنها جنينها مخالفا دين النصارى دينها **وقد**
جاءت احاديث حسان بما وقع من صفة النبي عليه السلام في التوراة لم يذكر ابن اسحق
منها شيئا من ذلك ما ذكر البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة
بصفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا
يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا **قال**
عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف وذكر الواقدي ايضا
عن النعمان السبائي وكان من احبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه
فسأله عن اشياء ثم قال ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج
بيثرب فاذا سمعت به فافتحه فقال نعم فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما
اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبياء وامتك خير الامم واسمك احمد
صلى الله عليه وسلم وامتك الحامدون قربانهم دماؤهم واناجيلهم في صدورهم لا يحضرون قتالا الا و
جبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على افراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه
وامن به وصدق به فكان النبي عليه السلام يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرئي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله ويقال ان النعمان هذا هو الذي قتله
الاسود العنسي وقطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك
كذاب مفتر على الله عز وجل ثم حرقه بالنار

ذكر المبعث

قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله
تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس وكان الله اخذ الميثاق على كل نبي بعثه

قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه واخذ عليهم ان يؤدوا الى كل
من امن بهم وصدقهم فادوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول
الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي ثقل ما حملتكم من عهدي قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فاخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر
له وادوا ذلك الى من امن بهم وصدقهم من اهل هذين الكتابين وعن عائشة رضي
الله عنها ان اول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين اراد الله
كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح
وحبب الله اليه الخلوة فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده وذكر بعض اهل
العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله به كرامته وابتداه بالنبوة كان
اذا خرج لحاجته ابعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي الى شعاب مكة وبطون
اوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجرة الا قال السلام عليك
يا رسول الله فيلتفت حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر
والحجارة فمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ثم جاءه جبريل بما
جاءه من كرامة الله وهو بحراء في رمضان **وعن عبيد** بن عمير بن قتادة
الليثي حدثنا كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين
جاءه جبريل فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا
وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر فكان يجاور ذلك الشهر
من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان اول ما
يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا او ما شاء الله ثم
يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله به ما اراد من كرامته وذلك الشهر
رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه اهله
حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل بامر الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قلت
ما اقرأ فغتني به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ما اقرأ
فغتني به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما اقرأ فغتني به
حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ ما اقول ذلك الا افتداء

منه ان يعود لي بمثل ما صنع قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت
من نومي فكانما كتبت في قلبي كتابا قال فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت
صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل قال فرفعت راسي الى السماء انظر
فاذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في افق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل
فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا انظر
في ناحية منها الا رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورائي حتى بعثت
خديجة رسلها في طلبي فبلغوا مكة ورجعوا اليها وانا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف
عني وانصرفت راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها
فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا
الي ثم حدثتها بالذي رايت فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفس خديجة
بيده اني لارجو ان تكون نبي هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت
الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة
والانجيل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس
والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان
ياتي موسى وانه لنبي هذه الامة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة فلما قضى رسول الله جواره وانصرف صنع
كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال
له يا ابن اخي اخبرني بما رايت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة
والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى
ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا
يعلمه ثم ادنى راسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله الى منزله **ويروى**
عن خديجة انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ابن عمي اتستطيع ان تخبرني
بصاحبك هذا الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل
كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم
يا ابن عمي فاجلس على فخذي اليسرى فقام فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت
فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول فقعد على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم
قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها ثم قالت هل تراه قال نعم فتحسرت

والقت

والقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم
اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا بشيطان **ويروى** ان خديجة ادخلت رسول
الله بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل وابتدئ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالتنزيل في رمضان يقول الله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقال انا انزلناه في ليلة القدر الى خاتمة
السورة وقال حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها
يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين وقال ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا
على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يعني ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمشركين ببدر وذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان **هكذا**
اورد ابن اسحاق رحمه الله هذه الآيات كالمستشهد بها على ابتداء التنزيل في شهر
رمضان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحة هذا الاستشهاد نظر فان المعنى
قوله سبحانه شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن عموم نزول القرآن جملة فيه وكذلك
قوله انا انزلناه في ليلة القدر وانا انزلناه في ليلة مباركة ولم يقع ذكر امر في انزاله على
رسوله عليه السلام هكذا بل انزله الله عليه في رمضان وفي غيره معنى في آيات
وسور بحسب سؤال السائلين او احداث المخبرين او ما شاء الله من هداية العالمين
وقد قيل في قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ان الذي انزل فيه القرآن
اي نزول الامر من الله عز وجل بصيامه كتابا يتلو فيه الا كلام يسير وايضا كما يقال نزل القرآن
بالصلاة اي نزل حكم منه بفرضها ونزل القرآن في ... فيه اباحتها
او لا يقع ومثل هذا الاطلاق موجود في الاحاديث والآثار كثيرا وقد يحمله ان يعتنى فيه
انزل فيه القرآن ان ابتدئ فيه انزاله حقيقة لك وكيف يعتد في العموم لا بعضا
تصبح عنده صحة الكلام ثم يجري ذلك المجرى ولا يتنزل الا خبيرا وهما انا انزلناه في
ليلة مباركة وانا انزلناه في ليلة القدر ولم يجز ذلك فيهما للتاكيد من الآثار المصححة
يجمع جميع ما حسبما نذكره بعد قبلها بالرواية والاخرى التي هي وما انزلنا على عبدنا
يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فتشهد في هذا الكلام وفراغه مبهم ايا المعنيين
من كل يوم بدر وهو الحق على كان يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة وبعد ثنتي
عشرة سنة من المبعث ونزول الوحي او بعد خمس عشرة على ما ورد من الخلاف في مدة
مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ونزل القرآن المكي والمدني

بن ابي امامة [illegible] السنين فان كان الشعبي عنى ما ذكرنا عنه ونسبناه اليه جعفر
بينا او جهة رده واستوى بهذا التفصيل عليه وان كان عنى غير ذلك فيفضل عنه تحرير
عبارته او سقط على الناقل من كلامه ما كان يعني ان يبقى بامامه فالله تعالى اعلم وانما جعل
اولى منا بان نصيب ونفعل ذلك لانه لا يمكن ان يغلط مثل الشعبي ونعوذ بالله ان ننقص مثل
ذلك القدر على في علم او العقوم في نحو ما في العلماء آدم ابا ... ولا قرموني [illegible] انما
المفترون بانوارهم نهتدي فنبصر ونستبصر والى غاياتهم نجري فبهوانا نظر وانوارا
تقصر بلحم وننا نصب النصب ولكم علينا في كل الاحوال اعظم المنى اذا اصابوا
اعتبرنا واذا اخطئوا استغفرنا واذا اجادوا استمرنا جزاهم الله عنا افضل الجزاء
ووفقنا لتوفية حقوقهم من الائمة والعلماء . **وبعد** فمن الحسن ما يتفلس
في ذلك الايات الثلاث التي صرح بها كلامه مما يحقق حتم عمومها ويأتي بوفاق
تبعثونها ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الله انزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان من
السماء الدنيا فجعل في بيت العزة ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فشيئا
الى حين وفاته وقيل للشعبي شهر رمضان ان ابتدأ الله ان انزل القرآن فيه اما كان ينزل في سائر
السنة قال بلى ولكن جبريل عليه السلام كان يعارض محمدا صلى الله عليه وسلم في شهر
رمضان ما انزل في سائر السنة فيمحو الله ما يشاء ويثبت . **قال**
ابن اسحاق ثم تتام الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بالله مصدق
لما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضى العباد وسخطهم
وللنبوة اثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستطيع بها الا اهل القوة والعزم
من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به
عن الله عز وجل فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر الله على ما يلقى من
قومه من الخلاف والاذى وآمنت به خديجة ابنة خويلد وصدقت بما جاءه
من الله ووازرته على امره فكانت اول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء منه
فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له
فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه
وتهون عليه امر الناس رحمها الله . **ثم** فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فترة حتى شق عليه واحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه جل وتعالى
وهو الذي اكرمه بما اكرمه به ما ودعه وما قلاه فقال والضحى والليل اذا سجى ما

ودعك

ودعك ربك وما قلى يقول ما صرمك فتركك وما ابغضك منذ احبك وللآخرة
خير لك من الاولى اي لما عندي من مرجعك الي خير لك مما عجلت لك من الكرامة
في الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة
الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى يعرفه الله ما ابتدأه
به من كرامته في عاجل امره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من
ذلك كله برحمته . فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر اي لا تكن جبارا
ولا متكبرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله واما بنعمة ربك فحدث
اي اذكرها وادع اليها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما انعم الله به عليه
وعلى العباد به من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من اهله **وافترضت**
عليه الصلاة فصلى صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته . **قالت**
عائشة رحمها الله افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما افترضت
ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله اتمها في الحضر اربعا واقرها في السفر على فرضها
الاول ركعتين . **وعن** بعض اهل العلم ان الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت
له منه عين فتوضأ جبريل ورسول الله ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ
رسول الله كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه
بصلاته ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله خديجة فتوضأ لها ليريها كيف
الطهور للصلاة كما اراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها ثم صلى بها كما صلى به جبريل
فصلت بصلاته . **وعن** نافع بن جبير بن مطعم وكان كثير الرواية عن ابن عباس
قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فصلى به الظهر
حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت
الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع
الفجر ثم صلى به الظهر حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه
ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين
ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد
الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس . **قال** ابن اسحاق ثم كان اول ذكر
من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصدق بما جاءه من الله تبارك وتعالى

علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان في حجر
رسول الله قبل الاسلام وذلك أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال
كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم
يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة
فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما
عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك
حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا
ما شئتما ويقال عقيلا وطالبا فأخذ رسول الله عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا
فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبيا فاتبعه
علي وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه. **وذكر**
بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج
إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبي طالب ومن جميع أعمامه
وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله
أن يمكثا ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله يا ابن أخي
ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا
إبراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثني الله به رسولا إلى العباد وأنت أي عم أحق من
بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه أو كما قال
فقال أبو طالب أي ابن أخي إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن
والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت. **وذكروا** أنه قال لعلي أي بني
ما هذا الدين الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت برسول الله وصدقته بما جاء به وصليت
معه واتبعته فزعموا أنه قال له أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه. قال
ابن إسحق ثم أسلم زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول ذكر
أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب. وعن غير ابن إسحق أن زيدا أتاه في الجاهلية
سبيا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد وقيل وهبه لها
فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه وذلك قبل أن يوحى إليه
وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال
بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فوالله ما أدري وإني لسائل ... أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر أوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي ... فكل امرئ فان وإن غره الأمل
ثم إن ناسا من كلب حجوا فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فأعلموا أباه ووصفوا
له موضعه وعند من هو فخرج أبوه حارثة وعمه كعب ابنا شراحيل لفدائه
وقدما مكة فسألا عن النبي صلى الله عليه فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم
يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني وتطعمون الأسير جئناك
في ابننا عبدك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فقال من هو قالا زيد بن حارثة فقال
رسول الله عليه السلام فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال ادعوه فأخيره فإن اختاركم
فهو لكم وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا قالا قد زدتنا
على النصف وأحسنت فدعاه فقال هل تعرف هؤلاء قال نعم قال من هذا قال أبي
قال قد علمتهم ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما قال زيد ما أنا بالذي أختار عليك
أحدا أنت مني مكان الأب والعم فقالا ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية
وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي
أختار عليه أحدا أبدا. **فلما** رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه
إلى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه فلما رأى ذلك أبوه وعمه
طابت نفوسهما فانصرفا ودعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام فنزلت ادعوهم
لآبائهم فدعي من يومئذ زيد بن حارثة. **قال ابن إسحق** ثم أسلم أبو بكر بن أبي
قحافة واسمه عتيق وقيل عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه فيما قال
ابن هشام واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
ابن كعب بن لؤي **فلما** أسلم أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله وكان أبو بكر
رجلا مألفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما
كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه
لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق

به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه قال فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان
ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي والزبير بن العوام بن خويلد بن
أسد بن عبد العزى بن قصي وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة
ابن كلاب وسعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وطلحة بن عبيد الله
ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول فيما بلغني ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد
إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه قال
وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله
وصدقوا بما جاء من الله ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال
ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم والأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن أبي جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعثمان
ابن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي
وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف
ابن قصي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح
ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر
ابن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر الصديق وعائشة بنت أبي بكر الصديق وهي صغيرة
وخباب بن الأرت حليف بني زهرة وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص وعبد الله
ابن مسعود الهذلي حليف بني زهرة وجماعة سوى هؤلاء قد سماهم ابن إسحاق
قال ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر
الإسلام بمكة وتحدث به ثم إن الله عز وجل أمر رسوله أن يصدع بما جاءه منه وأن
يبادي الناس بأمره ويدعو إليه وكان فيما أخفى رسول الله أمره واستتر به إلى أن أمره الله
بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ثم قال الله له فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين
ثم قال وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إني أنا النذير المبين
قال وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب
واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم

هؤلاء الثمانية الذين سبقوا بالإسلام

ما يصنعون

ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد يومئذ رجلا من المشركين بلحي بعير فشجه
فكان أول دم هريق في الإسلام فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر
آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم
الله منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله على أمر الله مظهرا له لا يرده
عنه شيء فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه
من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه
فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة
ابن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب وأبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد
العزى بن قصي والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى وأبو جهل بن هشام بن
المغيرة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والعاصي بن وائل ومن مشى منهم فقالوا يا أبا
طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا
فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه
فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شري الأمر بينه
وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله بينها فتذامروا فيه
وحض بعضهم بعضا عليه ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب
إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا
وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى
تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا ثم انصرفوا
عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه وذكر أن أبا طالب حين قالت له قريش
هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي إن قومك قد
جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق
فظن رسول الله أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف
عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري

على أن أدع هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله
فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال
اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ثم إن قريشا
حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله وإسلامه مشوا إليه بعمارة
ابن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش (أي أقوى)
وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا وأسلم إلينا ابن أخيك هذا
الذي خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله
فإنما هو رجل برجل قال والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم
وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا فقال المطعم بن عدي بن نوفل
ابن عبد مناف والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه
فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب والله ما أنصفوني ولكنك
قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك أو كما قال فحقب (أي اشتد)
الأمر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا قال ثم إن قريشا
تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا
معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم
ومنع الله تبارك وتعالى رسوله منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب
حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو
عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه
وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب فلما رأى أبو طالب من قومه
ما سره في جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله
فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
فإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن أحجارها من يرومها

بنا

بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم
وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود
العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا
ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت
يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول
كاهن قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن
ولا سجعه. قالوا فنقول مجنون قال وما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه
فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه
فما هو بالشعر. قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم
فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس قال والله إن لقوله
لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف
أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به
بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا
عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد
إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله
عليه فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها فلما خشي أبو طالب
دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة
وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك
من شعره أنه غير مسلم رسول الله ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه فقال

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضي حلفه كل نافل

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل
موسمة الأعضاد أو قصراتها ... مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة ... بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت من بطن مكة ... وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل
ومن حج بيت الله من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له ... إلال إلى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية ... يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى ... وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع إذا ما المقربات أجزنه ... سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية ... تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا له ... وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الصفاح وسرحه ... وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ ... وهل من معيذ يتقي الله عادل
يطاع بنا الأعدا وودوا لو أننا ... تسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه ... من الطعن فعل الأنكب المتحامل
وإنا لعمر الله إن جد ما أرى ... لتلتبسن أسيافنا بالأماثل
بكفي فتى مثل الشهاب سميدع ... أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

وما ترك

وما ترك قوم لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني خلف قيضا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل
وسهم ومخزوم تواثوا وألبوا ... علينا العدا من كل طمل وخامل
فعبد مناف أنتم خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لعمري لقد وهنتم وعجزتم ... وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل
فإن تك قوما نتئر ما صنعتم ... وتحتلبوها لقحة غير باهل
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا ... وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة ... إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم ... لكنا أسى عند النساء المطافل
فإن تك كعب من لؤي صميمة ... فلا بد يوما مرة من تزايل
وكل صديق وابن أخت نعده ... لعمري وجدنا غبه غير طائل
سوى أن رهطا من كلاب بن مرة ... براء إلينا من معقة خاذل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب ... زهير حساما مفردا من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمي ... إلى حسب في حومة المجد فاضل
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد ... وإخوته دأب المحب المواصل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها ... وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير باطل
فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في القبائل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

تمالوا وألبوا

فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها سورة المتطاول

حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

وذكر ابن هشام أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة

قال وحدثني من أثق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك إليه فصعد المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالإكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قال أجل

قال ابن إسحق فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار يهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف

قال أبو قيس بن الأسلت وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده فقال

أيا راكبا إما عرضت فبلغن ... مغلغلة عني لؤي بن غالب

رسول امرئ قد راعه ذات بينكم ... على النأي محزون بذلك ناصب

وقد كان عندي للهموم معرس ... ولم أقض منها حاجتي ومآربي

أعيذكم بالله من شر صنعكم ... وشر تباغيكم ودس العقارب

وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة ... كوخز الأشافي وقعها حق صائب

فذكرهم بالله أول وهلة ... وإحلال إحرام الظباء الشوازب

وقل لهم والله يحكم حكمه ... ذروا الحرب تذهب عنكم في المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... هي الغول للأقصين أو للأقارب

تقطع أرحاما وتهلك أمة ... وتبري السديف من سنام وغارب

فإياكم والحرب لا تعلقنكم ... وحوضا وخيم الماء مر المشارب

تزين للأقوام ثم يرونها ... بعاقبة إذ بينت أم صاحب

تحرق لا تشوي ضعيفا وتنتهي ... ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ... فتعتبروا أو كان في حرب حاطب

وكم قد أصابت من شريف مسود ... طويل العماد ضيفه غير خائب

وماء هريق في الضلال كأنما ... أذاعت به ريح الصبا والجنائب

يخبركم عنها امرؤ حق عالم ... بأيامها والعلم علم التجارب

فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا ... حسابكم والله خير محاسب

ولي امرئ فاختار دينا فلا يكن ... عليكم رقيبا غير رب الثواقب

أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم ... لنا غاية قد يهتدى بالذوائب

وأنتم لهذا الناس نور وعصمة ... تؤمون والأحلام غير عوازب

تصونون أجسادا كراما عتيقة ... مهذبة الأنساب غير أشائب

ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم ... عصائب هلكى تهتدي بعصائب

لقد علم الأقوام أن سراتكم ... على كل حال خير أهل الجباجب

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء ومصدق ... غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

كتيبته بالسهل تمسي ورجله ... على القاذفات في رءوس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم ... جنود المليك بين ساف وحاصب

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب ... إلى أهله ملحبش غير عصائب

فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم ... يعاش بها قول امرئ غير كاذب

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم

حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على

أمر عظيم أو كما قالوا فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل
يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول
قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها
فعرفت ذلك في وجه رسول الله ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال
أتسمعون يا معشر قريش والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح قال فأخذت
القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع حتى إن أشدهم
فيه وصاة قبل ذلك ليبقوله بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم
فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان الغد
اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم
عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا لما
يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله نعم أنا الذي أقول ذلك فلقد رأيت
رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا
أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق وحدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف
لأمره فلم يكلمه رسول الله عليه السلام ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها
تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث
حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه
ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان إذا فعل
ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشد
شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله إلى بيته قالت له يا أبا عمارة لو رأيت
ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام وجده هاهنا جالسا فآذاه وسبه

ونال منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله
به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به
فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه
رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول
فرد ذلك علي إن استطعت فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل
فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا
وتم حمزة على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله من قوله فلما
أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة
سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وعن محمد بن كعب القرظي
قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش والنبي
صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد
فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف
عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون فقالوا بلى
يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب
وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت
به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا
تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر
مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به شرفا سودناك
علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي
يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا
حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له
حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال أقد فرغت
يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم
فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

فجاء فما حمل انباءه امتون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه
فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع
منه ثم انتهى رسول الله إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد
ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد
جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك
يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل
وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد
الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم
قال ابن إسحق ثم إن الإسلام جعل يفشوا بمكة في قبائل قريش في
الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته
من المسلمين ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر
الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه
فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم
في ما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى
جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب
أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت
الآلهة وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا قد جئته
فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن
نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه
قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب
الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن
الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه

علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فإن كنت
غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدا
ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال
التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام
والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب
فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صدقوك وصنعت ما
سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولا كما تقول فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد
بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي
أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك
أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا
وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس
المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم فقال
لهم رسول الله عليه السلام ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم
بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أو كما قال فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا
والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء
علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل قالوا يا محمد فما علم ربك
أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم إليك
فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به
إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن
أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا
وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله
والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه
عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب
فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا
ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك أن تأخذ

لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل لهم
بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أومن لك أبدا حتى تتخذ
إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك معك أربعة من الملائكة
يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ثم انصرف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله إلى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان
يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم إياه فلما قام عنهم قال أبو جهل يا معشر
قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم
آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله أو كما قال فإذا سجد
في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف
ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ
حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله كما كان
يغدو وكان بمكة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر
الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله يصلي وقد غدت قريش فجلسوا
في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل
الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست
يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا له ما لك يا أبا الحكم
قال قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله
ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني **قال**
ابن إسحاق فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا لأخذه فلما
قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي
فقال يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد
فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه
الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم
وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا
سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه
ورجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته
ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا وأبصروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم فلما قال لهم

ذلك

ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة
وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب
الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار
يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا
لهم أهل الكتاب إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت
لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم
يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان
أمرهم فإنه كان لهم حديث عجب وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها
ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل
فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم **فأقبل** النضر بن الحارث
وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم
وبين محمد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء فإن أخبركم عنها فهو نبي وإن لم يفعل
فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن تلك
الأشياء فقال لهم أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك
وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس
عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل
من الله بسورة أصحاب أهل الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر
ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح **فذكر لي** أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا
فقال له جبريل وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا
فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما
حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه
حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا
فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
أي اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه

عليكم فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق يا معشر
قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر
وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله في ذلك
من قوله وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا إلى آخر القصة فلما قال ذلك
بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلي يتفرقون
عنه ويأبون أن يستمعوا له فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فإن رأى
أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وإن خفض رسول الله
صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له
يستمع منه **وقال عبد الله بن عباس** نزلت هذه الآية ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك
فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك منهم
لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به **وكان** أول من جهر بالقرآن
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود فيما حدث به عروة بن الزبير
قال اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا
القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا إنا نخشاهم
عليك إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه قال دعوني فإن الله
سيمنعني قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى
قام عند المقام ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته الرحمن علم القرآن
ثم استقبلها يقرؤها قال فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد ثم قالوا إنه ليتلو بعض
ما جاء به محمد فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله
أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذي خشينا عليك فقال ما كان
أعداء الله أهون علي منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم
ما يكرهون **وذكر** ابن إسحاق أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس
ابن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي من الليل في بيته
فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى

إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم
بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية
عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم
الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة
أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم
الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا
فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته
فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا ثعلبة والله لقد
سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما
يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل
عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن
وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا
حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي
من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه فقام عنه الأخنس
وتركه **قال ابن إسحاق** وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم
القرآن ودعاهم إلى الله قالوا يهزؤون به قلوبنا في أكنة لا نفقهه مما تقول
وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك فاعمل بما
أنت عليه إنا عاملون بما نحن عليه إنا لا نفقه عنك شيئا فأنزل الله عليه في ذلك
من قولهم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا إلى
قوله وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أي كيف فهموا توحيدك
ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم أي
إني لم أفعل نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون
إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به إليهم انظر
كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي أخطؤوا المثل الذي ضربوا
لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل لهم فيه قول وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا
لمبعوثون خلقا جديدا أي قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما
ورفاتا وذلك ما لا يكون قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون

من بعيد فانظر الذي يعجبكم أول مرة إن الذي خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعجز
من ذلك عليه. **وسئل ابن عباس** عن قول الله عز وجل أو خلقا مما يكبر
في صدوركم ما الذي أراد الله به فقال الموت. **قال ابن إسحق** ثم إنهم
عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من
فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء
مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة
البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم فكان بلال بن رباح وهو ابن
حمامة لبعض بني جمح مولد من مولديهم وكان صادق الإسلام طاهر القلب
فكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة
ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت
أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد وكان ورقة بن
نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال
ثم يقبل على أمية ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا
لأتخذنه حنانا أي لأتخذن قبره منسكا ومسترحما والحنان الرحمة حتى مر به
أبو بكر الصديق يوما وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية ألا تتقي الله في هذا المسكين
حتى متى قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه
وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد قبلت فقال هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك
وأخذ بلالا فأعتقه ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب
بلال سابعهم عامر بن فهيرة وأم عبيس وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها
فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر
اللات والعزى وما تنفعان فرد الله إليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا
لامرأة من بني عبد الدار فمر بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول
والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر حل يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما فأعتقهما
قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان أرجعا إليها طحينها
قالتا أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال وذلك إن شئتما ومر بجارية بني مؤمل
حي من بني عدي وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام وهو يومئذ مشرك فابتاعها أبو بكر
فأعتقها **وقال** له أبوه أبو قحافة يا بني إني أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ

فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال أبو بكر يا أبة
إني إنما أريد ما أريد فيتحدث أن ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال له أبوه فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى إلى آخر السورة. **وكانت
بنو مخزوم** يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت إسلام
إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول فيما بلغني صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة فأما أمه فقتلوها وهي
تأبى إلا الإسلام وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش إذا سمع
بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه فقال تركت دين أبيك وهو خير
منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجرا قال والله
لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به. **وقال
سعيد بن جبير** لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله إن كانوا ليضربون
أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضر
الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى إلهك
من دون الله فيقول نعم حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له أهذا الجعل إلهك
من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده.

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من
البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم
مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي
أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا بدينهم إلى الله فكانت أول هجرة
كانت في الإسلام وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان معه امرأته رقية
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة
بنت سهيل والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد

مناف بن عبد الدار، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي معه امرأته أم سلمة، وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وعامر بن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، وسهيل بن بيضاء من بني الحارث بن فهر، وأبو سبرة بن أبي رهم ويقال بل أبو حاطب بن عمرو ويقال هو كان أول من قدمها. **وكان** هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فمنهم من خرج بأهله ومنهم من خرج بنفسه. **فكان جميع** من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه. **وكان** مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا قال:

يا راكبا بلغن عني مغلغلة ... من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخزي ... في الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا ... قول النبي وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يعلوا فيطغوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضا يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه في ذلك:

أبت كبدي لا أكذبنك قتالهم ... علي وتأباه علي أنامل
وكيف قتالي معشرا أدبوكم ... على الحق أن لا تأشبوه بباطل
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم ... فأضحوا على أمر شديد البلابل
فإن تك كانت في عدي أمانة ... عدي بن سعد عن تقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم ... بحمد الذي لا يطبى بالجعائل
وبدلت شبلا شبل كل ضعيفة ... بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

وقال عبد الله بن الحارث أيضا

تلك قريش تجحد الله حقه ... كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنني ... من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد ... أبين ما في النفس إذ بلغ النقر

وسمي عبد الله بن الحارث المبرق ببيته الذي قال. **وقال عثمان بن مظعون** يعاتب أمية بن خلف وهو ابن عمه وكان يؤذيه في إسلامه وكان أمية شريفا في قومه في زمانه ذلك:

أتيم بن عمرو للذي جاء بغضة ... ومن دونه الشرمان والبرك أكتع
أأخرجتني من بطن مكة آمنا ... وأسكنتني في صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها ... وتبري نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة ... وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم إن نابتك يوما ملمة ... وأسلمك الأوباش ما كنت تصنع

قال ابن إسحاق وتيم بن عمرو الذي يدعو عثمان هو جمح بن عمرو وكان اسمه تيما. فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته ثم بعثوهما إليه. **فقال أبو طالب** حين رأى ذلك أبياتا يحض النجاشي على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ... وعمرو وأعدى العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا ... وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد ... كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة ... وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة ... ينال الأعادي نفعها والأقارب

وذكر ابن إسحاق من حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما نزلنا أرض الحبشة تعني مع زوجها أبي سلمة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص وقالوا لهما ادفعا

الى كل بطريق منهم هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه
ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم. قالت. فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير
دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلما النجاشي وقالا
لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا
في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم
ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم
فان قومهم اعلا بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قربا هداياهما
الى النجاشي فقبلها ثم كلماه فقالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا
دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك
فيهم اشراف قومهم من اباءهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم اعلا بهم عينا
واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه **قالت** ولم يكن شيء ابغض الى عبد الله
ابن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع كلامهم النجاشي فقالت بطارقته صدقا
ايها الملك قومهم اعلا بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما فليرداهم الى
بلادهم وقومهم **فغضب النجاشي** ثم قال لا ها الله اذا لا اسلمهم اليهما
ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسألهم
عما يقول هذان في امرهم فان كانوا كما يقولان اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا
على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني **ثم ارسل** الى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض
ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا كائنا في ذلك
ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم
فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين احد من هذه
الملل **قالت** فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال له ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية
نعبد الاصنام وناكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار وياكل
القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه
وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن واباؤنا من دونه
من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار
والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات

وامرنا

٧٩

وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام **قالت**
فعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وامنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا
الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم الله علينا واحللنا ما احل لنا فعدا علينا قومنا
فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله وان نستحل
ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا
خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك
ايها الملك **فقال له النجاشي** هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له
جعفر نعم فقال له فاقرأه علي فقرأ عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل
لحيته وبكت اساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم **ثم**
قال لهم النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا
فلا والله لا اسلمهم اليكما ابدا ولا يكادون فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاصي
والله لاتينه عنهم غدا بما استاصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله بن ابي ربيعة
وكان اتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم ارحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه
انهم يزعمون ان عيسى ابن مريم عبد **ثم** غدا عليه فقال ايها الملك انهم يقولون
في عيسى ابن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه قالت فارسل اليهم ليسألهم
عنه ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى
ابن مريم اذا سألكم عنه فقالوا نقول والله هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته
القاها الى مريم العذراء البتول **فضرب النجاشي** بيده الى الارض فاخذ منها
عودا ثم قال ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله
حين قال ما قال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فانتم شيوم بارضي اي آمنون من سبكم
غرم من سبكم غرم ما احب ان لي دبرا من ذهب واني اذيت رجلا منكم
ويقال دبرى وهو الجبل بلسان الحبشة فيما قال ابن هشام ردوا عليهما هداياهما
فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فاخذ الرشوة فيه
وما اطاع الناس فيّ فاطيعهم فيه **قالت** فخرجا من عنده مقبوحين مردودا
عليهما ما جاءا به واقمنا عنده بخير دار مع خير جار فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل
من الحبشة ينازعه في ملكه فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان اشد من حزن حزناه
عند ذلك تخوفا ان يظهر ذلك الرجل على النجاشي فياتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي

بعد منه وسار اليه النجاشي وبينهما عرض النيل فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم ياتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام انا قالوا
فانت وكان من احدث القوم سنا فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها
حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم. قالت
ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فوالله انا لعلى ذلك
متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه يقول الا ابشروا فقد
ظفر النجاشي واهلك الله عدوه فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها ورجع
النجاشي وقد اهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه امر الحبشة فكنا
عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الزهري
فحدثت عروة بن الزبير هذا الحديث فقال هل تدري ما قوله ما اخذ الله مني الرشوة
حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطيع الناس فيه قلت
لا قال فان عائشة ام المؤمنين حدثتني ان اباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي
وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا اهل بيت مملكة الحبشة فقالت
الحبشة بينها لو انا قتلنا ابا النجاشي وملكنا اخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام
وان لاخيه من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا
فعدوا على ابي النجاشي فقتلوه وملكوا اخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي
مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على امر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت
الحبشة مكانه منه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على امر عمه وانا لنتخوف ان يملكه
علينا وان ملكه علينا ليقتلنا اجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا اباه فمشوا الى عمه
فقالوا اما ان تقتل هذا الفتى او تخرجه من بين اظهرنا فانا قد خفناه على انفسنا
قال ويلكم قتلت اباه بالامس واقتله اليوم بل اخرجه من بلادكم فخرجوا به الى السوق
فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى اذا كان
العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها
فاصابته صاعقة فقتلته ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو محمق ليس في ولده خير فمرج
على الحبشة امرهم فلما ضاق عليهم ما هم فيه قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذي لا يقيم
امركم غيره للذي بعتموه غدوة فان كان لكم بامر الحبشة حاجة فادركوه قالت فخرجوا في طلبه
وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى ادركوه فاخذوه منه ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج

واقعدوه على سرير الملك فجاء التاجر الذي كانوا باعوه منه فقال اما ان تعطوني
مالي واما ان اكلمه في ذلك فقالوا لا نعطيك شيئا قال اذن والله اكلمه فقالوا
فدونك فجاءه فجلس بين يديه فقال ايها الملك ابتعت غلاما من قوم بالسوق
بستمائة درهم فاسلموا الي غلامي واخذوا دراهمي حتى اذا سرت بغلامي ادركوني
فاخذوا غلامي ومنعوني دراهمي فقال لهم النجاشي لتعطنه
دراهمه او ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء فقالوا بل نعطيه
دراهمه قالت وكان اول ما خبر من صلابته في دينه وعدله في حكمه. وعن
عائشة قالت لما مات النجاشي كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور. وذكر
ابن اسحق عن جعفر بن محمد عن ابيه ان الحبشة اجتمعت فقالوا للنجاشي
انك فارقت ديننا يعني عندما وافق جعفر واصحابه على قوله في عيسى بن مريم
وخرجوا عليه فارسل الى جعفر واصحابه وهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا
كما انتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد
الى كتاب فكتب فيه هو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويشهد ان
عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب
الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال يا معشر الحبشة الست احق الناس بكم
قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا
وزعمت ان عيسى عبد قال فما تقولون انتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال
النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا
شيئا وانما يعني على ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له. قال ابن اسحق ولما قدم عمرو
بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وردهما النجاشي بما يكرهون واسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان
رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبحمزة حتى عازوا قريشا فكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على ان نصلي عند
الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه
وقال ابن مسعود في رواية البكائي عن غير ابن اسحق ان اسلام عمر كان فتحا
وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى اسلم

عمر وذكر مثل ما تقدم نصا الى آخره

ذكر الحديث عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حدثنا عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت والله
إنا لنترحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى
وقف علي وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا فقال إنه
للانطلاق يا أم عبد الله فقلت نعم والله لنخرجن في أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى
يجعل الله لنا مخرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه
فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله
لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال أطمعت في إسلامه قالت قلت نعم
قال لا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته
وقسوته عن الإسلام **قال ابن إسحق** وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة قال وكان إسلامه فيما بلغني أن أخته
فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهم مستخفون بإسلامهم
من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من بني عدي قد أسلم وكان يستخفي بإسلامه فرقا
من قومه وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج
عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم اجتمعوا
في بيت عند الصفا فيهم أربعين بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمه حمزة وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فلقيه نعيم فقال أين تريد
يا عمر قال أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب
آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد
مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال
أي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فقد والله أسلما وتابعا
محمدا على دينه فعليك بهم فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه وعندهما خباب معه صحيفة
فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت

وأخذت

وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر قراءة
خباب فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا ما سمعت شيئا قال بلى والله
لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد فقامت إليه أخته
لتكفه عن زوجها فضربها فشجها **فلما** فعل ذلك قالت له أخته وختنه
نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما رأى عمر ما بأخته من الدم
ندم وارعوى وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفا أنظر ما هذا
الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك
عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها إليها إذا قرأها فلما قال ذلك
طمعت في إسلامه فقالت له يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر
فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما
أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال يا عمر والله إني
لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول اللهم
أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند
ذلك عمر فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا
معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلل الباب
فرآه متوشحا السيف فرجع وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا
السيف فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان
جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن
له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته
أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى
أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله
وبما جاء من عنده قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم فتفرق أصحابه من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم
عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما
من عدوهم **فهذا حديث الرواة** من أهل المدينة عن إسلام عمر [illegible]
[illegible] أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول كنت للإسلام مباعدا وكنت صاحب

خمر في الجاهلية أحبها وأشرب بها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك فلم أجد فيه منهم أحدا فقلت لو أني جئت فلانا الخمار لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها فجئته فلم أجده فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين فجئت أريد ذلك فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبينها وكان مصلاه بين الركنين الركن الأسود والركن اليماني فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكانت طريقه حتى يجزع المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزهر فتبعته حتى إذا دخل بينهما أدركته فلما سمع حسي عرفني فظن أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة فقلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله بيته

قال ابن اسحق والله أعلم أي ذلك كان

وذكر محمد بن عبد الله بن سنجر الحافظ في إسلام عمر رضي الله عنه زيادة لم يذكرها ابن اسحق فروى بإسناد له إلى شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون إلى آخر السورة قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع

قال ابن اسحق وحدثني نافع عن ابن عمر قال لما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث قيل له جميل بن معمر الجمحي فغدا عليه وغدوت أتبع أثره أنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إن ابن الخطاب قد صبأ قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم قال وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال أي بني ذلك العاص بن وائل السهمي لا جزاه الله خيرا وهذا الدعاء عليه وله مما زاده ابن هشام عن غير ابن اسحق

وعن بعض آل عمر قال قال عمر لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي الناس أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت قال قلت أبو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج إلي فقال مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك قال فقلت جئت أخبرك أني قد آمنت بالله ورسوله **محمد** وصدقت بما جاء به فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به

وفيما رواه يونس ابن بكير عن ابن اسحق أن عمر رضي الله عنه قال حين أسلم:

الحمد لله ذي المن الذي وجبت ... له علينا أياد ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها ... فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما في عوده خور

عجلان صح

قال ابن اسحق فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا

بلدا اصابوا به امنا وقرارا وان النجاشي قد منع من لجا اليه منهم وان عمر قد اسلم فكان
هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وجعل الاسلام يفشو في القبائل اجتمعوا
وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على ان لا ينكحوا اليهم
ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم
تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على انفسهم
فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في
شعبه وخرج من بني هاشم ابو لهب الى قريش فظاهرهم ولقي هندا بنت عتبة بن ربيعة
حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا فقال لها يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى
وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا يا ابا عتبة **وقال**
ابو طالب فيما صنعت قريش من ذلك واجتمعوا عليه:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا … لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا … نبيا كموسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة … ولا خير ممن خصه الله بالحب
وأن الذي ألصقتم من كتابكم … لكم كائن نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى … ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا … أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما … أمر على من ذاقه جلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا … لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف … وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا … به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته … ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره … وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا … ولا نشتكي ما ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى … إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سرا مستخفيا
به من اراد صلتهم من قريش وقد كان ابو جهل بن هشام فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا
يريد به عمته خديجة وهي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فتعلق به وقال اتذهب

بالطعام

بالطعام الى بني هاشم فقال له ابو البختري طعام كان لعمته عنده افتمنعه ان ياتيها
بطعامها خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فاخذ ابو البختري
لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى
ذلك وهم يكرهون ان يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله
على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مباديا بامر الله لا يتقي فيه احدا
من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني
المطلب دونه وحالوا بينهم وبين ما ارادوا من البطش به يهمزونه ويستهزئون به
ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل في قريش باحداثهم وفيمن نصب لعداوته منهم من سمي
لنا ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار فكان ممن سمي لنا من قريش
ممن نزل فيه القرآن عمه ابو لهب بن عبد المطلب وزوجه ام جميل بنت حرب بن امية
حمالة الحطب وانما سماها الله حمالة الحطب لانها كانت فيما بلغني تحمل الشوك
فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر وكان ابو لهب يقول في بعض
ما يقول يعدني محمد اشياء لا اراها يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي
بعد ذلك ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما ما ارى فيكما شيئا مما يقول محمد فانزل الله
فيه تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامراته
حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد **قال ابن اسحق** فذكر لي ان ام جميل
حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر الصديق وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه اما والله اني
لشاعرة مذمما عصينا وامره ابينا **وعن** غير ابن اسحق ودينه قلينا ثم انصرفت
فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها راتك فقال ما راتني لقد اخذ الله ببصرها عني وكانت
قريش انما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان عليه السلام يقول
الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما **وانا محمد**
وامية بن خلف الجمحي كان اذا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فانزل الله فيه
ويل لكل همزة لمزة الى اخر السورة **والعاص** بن وائل السهمي كان خباب بن الارت
قد باع منه سيوفا عملها له وكان قينا بمكة فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب اليس يزعم محمد

محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب
أو خدم قال خباب بلى قال فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك
هنالك حقك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظا
في ذلك فأنزل الله في ذلك أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب
أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا
فردا **ولقي أبو جهل** بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني فقال له والله
يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد فأنزل الله ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم إلى الله **والنضر بن الحارث** بن كلدة
من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قدم
الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا
فذكر بالله ودعا فيه إلى الله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه
في مجلسه إذا قام ثم قال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم فأنا أحدثكم
أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار ثم يقول بماذا
محمد أحسن حديثا مني والله ما محمد بأحسن حديثا مني وما حديثه إلا أساطير الأولين
اكتتبها كما اكتتبتها فأنزل الله فيه وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه
بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما وكل
ما ذكر فيه الأساطير من القرآن ونزل فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وهو القائل سأنزل مثل ما
أنزل الله فيما ذكر ابن هشام **قال ابن إسحاق** وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث فجلس معهم في المجلس
وفيه غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر فكلمه
رسول الله عليه السلام حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (من دون الله)
أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون
ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس فقال
الوليد والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد أنا وما
نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال ابن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا

محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود
٣٤ تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول ابن الزبعرى
ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من أحب
أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله
عليه إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم
في ما اشتهت أنفسهم خالدون أي عيسى ابن مريم وعزيرا ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين
مضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما
يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد
مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون إلى قوله ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين **وأنزل** فيما ذكر من أمر عيسى أنه يعبد من دون
الله وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه
يصدون ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها أي ما وضعت
على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأسقام فكفى به دليلا على علم الساعة
يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم **والأخنس** بن شريق الثقفي
حليف بني زهرة وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه فكان يصيب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويرد عليه فأنزل الله فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم إلى قوله
زنيم ولم يقل زنيم لعيب في نسبه لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ولكنه حقق بذلك نعته
ليعرف والزنيم العديد للقوم قال الخطيم التميمي في الجاهلية

زنيم تداعاه الرجال زيادة … كما زيد في عرض الأديم الأكارع

والوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك
أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين فأنزل الله فيه
فيما بلغني وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم إلى قوله أهم يقسمون رحمت
ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا إلى قوله ورحمت ربك خير مما يجمعون
وأبي بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسنا ما بينهما
فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة
فقال ألم يبلغني أنك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك

واستغلظه من اليمين ان انت جلست اليه او سمعت منه او لم تاته فتتفل في وجهه ففعل
ذلك عدو الله عقبة فانزل الله فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني
وكان الشيطان للانسان خذولا **ومشى** ابي بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد انت تزعم ان الله يبعث هذا بعد ما ارم ثم فته بيده
ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله عليه السلام نعم
انا اقول ذلك يبعثه الله واياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار فانزل الله فيه
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة
وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون **واعترض**
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني الاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وامية بن خلف
والعاص بن وائل وكانوا ذوي اسنان في قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد
وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وانت في الامر فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا
بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد اخذت بحظك منه فانزل الله فيهم
قل يا ايها الكافرون السورة كلها اي ان كنتم لا تعبدون الله الا ان اعبد ما تعبدون
فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم ولي دين **وابو جهل** بن هشام لما ذكر
الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم
التي يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها
تزقما فانزل الله فيه ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم
وانزل الله فيه والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا **ووقف**
الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يكلمه وقد طمع
في اسلامه فبينما هو في ذلك مر به ابن ام مكتوم الاعمى وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعل يستقرئه القران فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضجره وذلك
انه شغله عما كان فيه من امر الوليد وما طمع فيه من اسلامه فلما اكثر عليه انصرف
عنه عابسا وتركه فانزل الله فيه عبس وتولى ان جاءه الاعمى الى قوله في صحف مكرمة
مرفوعة مطهرة اي انما بعثتك بشيرا ونذيرا لم اخص بك احدا دون احد فلا تمنعه ممن
ابتغاه ولا تتصدين به لمن لا يريده قال ابن اسحاق وبلغ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين خرجوا الى ارض الحبشة اسلام اهل مكة فاقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى اذا دنوا من مكة

بلغهم

بلغهم ان ذلك كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا **وذكر**
موسى بن عقبة ان رجوع هؤلاء الذين رجعوا كان قبل خروج جعفر واصحابه الى
ارض الحبشة وانهم الذين خرجوا اولا قبله ثم رجعوا حين انزل الله سورة والنجم
قال وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير اقررناه واصحابه
ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم
والشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما نال واصحابه من اذاهم
وتكذيبهم واحزنته ضلالتهم وكان يتمنى هداهم فلما انزل الله تعالى سورة والنجم
قال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عندها على لسانه
كلمات حين ذكر الطواغيت فقال وانهن لهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لهي
التي ترتجى كان ذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب
كل مشرك بمكة وذلت بها السنتهم وتباشروا بها وقالوا ان محمدا قد رجع الى دينه
الاول ودين اباءه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر النجم سجد وسجد كل من
حضره من مسلم او مشرك غير ان الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع ملء كفه ترابا
فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من اجتماعهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير ايمان ولا يقين ولم يكن
المسلمون سمعوا الذي القى الشيطان على السنة المشركين واما المشركون فاطمانت
انفسهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لما القى الشيطان في امنية النبي صلى الله عليه وسلم
فسجدوا لتعظيم الهتهم وفشت تلك الكلمة في الناس واظهرها الشيطان حتى بلغت
ارض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون واصحابه وحدثوا ان اهل مكة قد اسلموا
كلهم وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على
كفه وحدثوا ان المسلمين قد امنوا بمكة فاقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما القى الشيطان
واحكم الله اياته وقال عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين امنوا الى صراط مستقيم
فلما بين الله قضاءه وبراه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم
للمسلمين واشتدوا عليهم فلعل الذي ذكره ابن عقبة لم يقطع اعلام من رجع من ارض الحبشة

انظر الشفا للقاضي عياض
معترضا على من زعم القصة وانكر
ان تكون وقعت اصلا على وجه
الصحيح ولنا فيه من رواية
الثقة وهو من اهل الرواية
عند الحديث [illegible] والعصمة
في الصحيح [illegible] النبي [illegible]
عليه وسلم [illegible] والنجم
[illegible] وسجد معه المسلمون
والمشركون [illegible] والعلة في ذلك
[illegible]
[illegible]

ان يدخل مكة الا بجوار او مستخفيا فيما ذكر ابن اسحاق قال وكان جميع من قدم مكة منهم ثلاثة
وثلاثين رجلا فدخل منهم بجوار فيمن سمي لنا عثمان بن مظعون الجمحي دخل بجوار من الوليد
ابن المغيرة وابو سلمة بن عبد الاسد بجوار خاله ابي طالب فاما عثمان فانه لما راى ما فيه
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في امان الوليد قال والله ان غدوي
ورواحي امنا بجوار رجل من اهل الشرك واصحابي واهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله
ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له يا ابا عبد شمس وفت
ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال لم يا ابن اخي لعله آذاك احد من قومي قال لا ولكني
ارضى بجوار الله ولا اريد ان استجير بغيره قال فانطلق الى المسجد فاردد علي جواري
علانية كما اجرتك علانية فخرجا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي
جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني قد احببت الا استجير بغير الله
ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال
لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل قال عثمان صدقت قال وكل نعيم لا محالة زائل
قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث
هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك
من قوله فرد عليه عثمان حتى شرى امرهما فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها
والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن اخي ان كانت عينك عما
اصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة قال يقول عثمان بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما
اصاب اختها في الله واني لفي جوار من هو اعز منك واقدر يا ابا عبد شمس فقال له الوليد
هلم يا ابن اخي ان شئت الى جوارك فقال لا **واما ابو سلمة** بن عبد الاسد
فانه لما استجار بابي طالب مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا ابا طالب هذا منعت منا
ابن اخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن اختي وان انا لم امنع
ابن اختي لم امنع ابن اخي فقام ابو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد اكثرتم على هذا الشيخ
ما تزالون تتوثبون عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن عنه او لنقومن معه في كل
ما قام فيه حتى يبلغ ما اراد فقالوا بل ننصرف عما تكره يا ابا عتبة وكان لهم وليا وناصرا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فابقوا على ذلك فطمع فيه ابو طالب حين سمعه يقول ما يقول
ورجا ان يقوم معه في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يحرضه على ذلك
ان امرا ابو عتيبة عمه لفي روضة ما ان يسام المظالما

اقول

اقول له واين منه نصيحتي ابا معتب ثبت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تسب بها اما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم فانك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فان الحرب نصف ولن ترى اخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة ولم يخذلوك غانما او مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود والفة جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثت عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت
عليه مكة واصابه فيها الاذى وراى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه ما راى استاذن رسول الله في الهجرة فاذن له فخرج مهاجرا حتى اذا سار
من مكة يوما او يومين لقيه ابن الدغنة اخو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ
سيد الاحابيش فقال الى اين يا ابا بكر قال اخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال ولم فوالله
انك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم فارجع
فانت في جواري فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش
اني قد اجرت ابن ابي قحافة فلا يعرضن له احد الا بخير قالت فكفوا عنه وكان لابي بكر مسجد
عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا اذا قرا القرآن استبكى
فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته فمشى رجال
من قريش الى ابن الدغنة فقالوا له انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل اذا صلى وقرا ما جاء
به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا
ان يفتنهم فاته فمره ان يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء فمشى ابن الدغنة اليه
فقال يا ابا بكر اني لم اجرك لتؤذي قومك انهم قد كرهوا مكانك الذي انت به وتاذوا
بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما احببت قال او ارد عليك جوارك وارضى بجوار
الله قال فاردد علي جواري قال قد رددته عليك فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش
ان ابن ابي قحافة قد رد علي جواري فشانكم بصاحبكم **وعن القاسم بن محمد**
ان ابا بكر لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على راسه ترابا
فمر به الوليد بن المغيرة او العاصي بن وائل فقال ابو بكر الا ترى ما يصنع هذا السفيه قال

انت فعلت هذا بنفسك وهو يقول ان ربي ما اخلعها او رب ما اخلعها

قال ابن اسحق ثم انه قام في نقض الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم
وبني المطلب نفر من قريش ولم يبل احد فيها احسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحرث بن
حبيب بن نصر بن مالك بن حسل وذلك انه كان ابن اخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لامه فكان
هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني ياتي ليلا بالبعير بالبعير
فد اوقره طعاما حتى اذا اقبله فم الشعب خلع خطامه من راسه ثم ضرب على جنبه
فيدخل الشعب عليهم ويأتي به قد اوقره برا فيفعل به مثل ذلك ثم انه مشى الى زهير
ابن ابي امية بن المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير ارضيت ان تاكل
الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع
منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم اما اني احلف بالله ان لو كانوا اخوال ابي الحكم بن هشام
ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما اجابك اليه ابدا قال ويحك يا هشام
فماذا اصنع انما انا رجل واحد والله لو كان معي رجل اخر لقمت في نقضها حتى
انقضها قال قد وجدت رجلا قال من هو قال انا قال له زهير ابغنا ثالثا فذهب الى
المطعم بن عدي فقال له يا مطعم ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد
على ذلك موافق لقريش فيه اما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا
قال ويحك فماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال انا قال ابغنا
ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابي
البختري بن هشام فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي فقال وهل من احد يعين
على هذا قال نعم قال من هو قال زهير بن ابي امية والمطعم بن عدي وانا معك قال ابغنا خامسا
فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال وهل
على هذا الامر الذي تدعوني اليه من احد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون
ليلا باعلى مكة فاجتمعوا هنالك فاجمعوا امرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة
حتى ينقضوها وقال زهير انا ابداكم فاكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى
انديتهم وغدا زهير عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة
انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد
حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال ابو جهل وكان في ناحية المسجد كذبت
والله لا تشق قال زمعة بن الاسود انت والله اكذب ما رضينا كتابها حيث كتبت

قال

٨٧

قال ابو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي صدقتما
وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك
فقال ابو جهل هذا امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب
جالس في ناحية المسجد وقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها
الا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون
وذكر بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب يا عم ان الله قد
سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا اثبتته فيها ونفت
منها القطيعة والظلم والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل
عليك احد ثم خرج الى قريش فقال يا معشر قريش ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فهلم
صحيفتكم فان كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن اخي فقال
القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا
قال ابن اسحق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال ابو طالب فيما كان من امر
اولئك القوم الذين قاموا في نقضها يمدحهم

الا هل اتى بحرينا صنع ربنا ... على نأيهم والله بالناس ارود
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت ... وان كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر اخر الدهر يصعد

ومنها

جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا ... على ملأ يهدي لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم ... مقاولة بل هم اعز وامجد
اعان عليها كل صقر كأنه ... اذا ما مشى في رفرف الدرع احرد
جريء على جلى الخطوب كأنه ... شهاب بكفي قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤي بن غالب ... اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه ... على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد ... يحض على مقري الضيوف ويحشد
ويبني لابناء العشيرة صالحا ... اذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
الظ بهذا الصلح كل مبرأ ... عظيم اللواء امره ثم يحمد

فقوا اما فضوا في ثيلهم ثم اصبحوا على محل وسكان الناس فـبر
ثم رجعوا تستعمل بيضاء ان اصيلوا سه ابو بكر بها ومحمد
متى شئتم دلا قوام في حبال امورنا وكنا قديما قبلها نتسود
وكنا قديما لا نخرج ظلامة ونترك ما شئنا ولا نتشرد
تبيان فقضى بينكم في نفوسكم وهل لكم فيما يجيء به عند
بأني وإياكم كما قال قائل لدينا بيان لو تكلمت أسود

الأسود هنا اسم جبل كان قتل فيه قتيل لم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلم لأبان عن القاتل ولعرف بالجاني ولكنه لا يتكلم فذهبت مقالتهم تلك مثلا.

قال ابن إسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسي وكان رجلا شريفا شاعرا لبيبا يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى إليه رجال من قريش فقالوا له يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق به بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت منه قريبا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله إلا أن يسمعنيه فسمعته قولا حسنا فاعرض علي أمرك فعرض علي رسول الله الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام

فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت على ثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخا كبيرا فقلت إليك عني يا أبت فلست منك ولست مني قال لم يا بني قلت أسلمت وتابعت دين محمد قال أي بني ديني دينك فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم ثم أتتني صاحبتي فقلت لها إليك عني فلست منك ولست مني قالت لم بأبي أنت وأمي قلت فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد قالت فديني دينك قلت فاذهبي إلى حنا ذي الشرى

قال ابن هشام ويقال حمى ذي الشرى فتطهري منه وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل فقالت بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا قلت لا أنا ضامن لذلك فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطؤوا علي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فتح الله عليه مكة قلت يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه

قال ابن إسحاق فخرج إليه فجعل طفيل يوقد عليه النار يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إنا حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع فكان بالمدينة حتى قبض الله رسوله فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة

ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة فقال لأصحابه إني قد رأيت
رؤيا فاعبروها لي رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيتني امرأة
فأدخلتني في فرجها وأرى ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عني قالوا خيرا
قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسي فوضعه وأما الطائر
الذي خرج من فمي فروحي وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب
فيها وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني فقتل
رحمه الله شهيدا باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استبل منها ثم قتل عام
اليرموك في زمن عمر شهيدا **وذكر ابن هشام** أن أعشى بني قيس بن
ثعلبة خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام وقال قصيدة يمدحه فيها
نذكرها بعد فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره
فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر فقال
أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا
ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ما ذكر ابن هشام في قصة الأعشى وظاهره يقتضي أن قصته كانت بمكة وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيها حينئذ لم يهاجر بعد ويعارض هذا الظاهر ما ذكر من تحريم الخمر
فإن أهل النقل مجمعون على أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ونزل
تحريمها في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن فإن صح أن خروج الأعشى كان
قبل الهجرة كما في ظاهر الخبر فلعل المشرك الذي لقيه وأخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتحريم الخمر أراد بهذا القول تنفيره من الإسلام وإبعاده عنه مع ما كان من كراهية رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمر الخمر وتنزيه الله إياه عنها قبل الاقتراف ليلة الإسراء لما عرضت عليه
آنية الخمر واللبن فاختار اللبن فقيل له هديت الفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك
ولا شك أن هذا إنما كان بمكة في صدر الإسلام وقد يمكن أن يكون قصد الأعشى إلى المدينة بعد الهجرة
وبعد تحريم الخمر فيلقاه بعض المشركين من قريش ممن لم يكن أسلم بعد ولعل هذا أشبه
ودال على ذلك قوله في قصيدته الدالية بعد

ألا أيهذا السائلي أين يممت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا

والله أعلم بالحقيقة في ذلك كله والقصيدة التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني قوله

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ... وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما ... تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة ... فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغي المال مذ أنا يافع ... وليدا وكهلا حين شبت وأمردا
وأبتذل العيس المراقيل تغتلي ... مسافة ما بين النجير فصرخدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا
فإن تسألي عني فيا رب سائل ... حفي عن الأعشى به حيث أصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت ... يداها خنافا لينا غير أحردا
وفيها إذا ما هجرت عجرفية ... إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا
وآليت لا آوي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقي **محمدا**
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم ... تراحي وتلقي من فواضله ندا
نبيا يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبي الإله حين أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... فترصد للموت الذي كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها ... عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه ... لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرن من بائس ذي ضرارة ... ولا تحسبن المال للمرء مخلدا

قال ابن إسحاق وقد كان عدو الله أبو جهل مع عداوته رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبغضه إياه يذله الله له إذا رآه حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي
وكان واعية قال قدم رجل من إراش بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها
فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ورسول الله جالس في ناحية المسجد فقال

يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب ابن سبيل وقد غلبني
على حقي فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يهزؤون به
لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فهو يؤديك عليه فأقبل الإراشي
حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام غلبني
على حق لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه
يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله قال انطلق إليه وقام معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ما يصنع
قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد
فاخرج إلي فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتقع لونه فقال أعط هذا حقه
قال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه فأقبل الإراشي
حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي حقي وجاء الرجل الذي
بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب
عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى
أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا
ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي
وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت
مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني **وذكر الواقدي**
عن يزيد بن رومان قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد معه رجال من أصحابه
أقبل رجل من بني زبيد يقول يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المادة أو يجلب إليكم جلب
أو يحل تاجر بساحتكم وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم يقف على الحلق حلقة
حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك
فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرة إبله فسامه بها أبو جهل ثلث أثمانها ثم لم يسمه
بها لأجله سائم فقال فأكسد علي سلعتي وظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأين أجمالك قال هي هذه بالحزورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم معه وقام أصحابه
فنظر إلى الجمال فرأى أجمالا فرهة فساوم الزبيدي حتى ألحقه برضاه فأخذها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب
ثمنه وأبو جهل جالس في ناحية من السوق لا يتكلم ثم أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال يا عمرو إياك أن تعود لمثل ما صنعت بهذا الأعرابي فترى مني ما تكره فجعل يقول
لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عليه أمية بن
خلف ومن حضر من القوم فقالوا ذللت في يدي محمد فإما أن تكون تريد أن تتبعه وإما رعب
دخلك منه قال لا أتبعه أبدا إن الذي رأيتم مني لما رأيت معه لقد رأيت رجالا عن يمينه
وشماله معهم رماح يشرعونها إلي لو خالفته لكانت إياها أي لأتوا على
نفسي **وذكر محمد بن إسحاق** عن أبيه قال كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم
ابن عبد المطلب أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب
مكة فقال له يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه قال إني لو أعلم
أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت إن صرعتك
أتعلم أن ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك فقام إليه ركانة فصارعه فلما
بطش به رسول الله أضجعه لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه
فقال يا محمد إن ذا للعجب أتصرعني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب من ذلك إن
شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة
التي ترى فتأتيني قال ادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لها ارجعي إلى مكانك فرجعت إلى مكانها فذهب ركانة إلى قومه فقال
يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم
بالذي رأى وبالذي صنع **قال ابن إسحاق** ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى من أهل نجران حين بلغهم
خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش
في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم
إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا
به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم
أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم
لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم
ركبا أحمق منكم أو كما قالوا فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم
ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا فيقال والله أعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات الذين آتيناهم
الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا

من قبله مثلهم الى قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين **قال**
وقد سألت الزهري فقال ما زلت اسمع من علمائنا انهن نزلن في النجاشي واصحابه والايات
من المائدة قول الله عز وجل ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين **وكان**
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المسجد فجلس اليه المستضعفون من اصحابه
خباب وعمار وابو فكيهة يسار وصهيب واشباههم هزئت بهم قريش وقال
بعضهم لبعض هؤلاء اصحابه كما ترون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق
لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا فانزل الله
فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا
بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم **وهؤلاء** ايضا من قال فيهم هم
الذين عنى الله سبحانه بقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ
لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم **قال ابن اسحاق** وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر عبد
لبني الحضرمي فكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما ياتي به الا جبر النصراني
فانزل الله في ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين **وكان** العاصي بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو
رجل ابتر لا عقب له لو قد مات لانقطع ذكره واسترحتم منه فانزل الله في ذلك من قوله انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اي اعطيناك ما هو خير لك من الدنيا وما فيها
والكوثر العظيم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر الذي اعطاك الله قال نهر كما
بين صنعاء الى ايلة انيته كعدد نجوم السماء ترده طيور لها اعناق كاعناق الابل قال
يقول عمر بن الخطاب يا رسول الله انها لناعمة قال اكلها انعم منها **ودعا** رسول الله صلى الله
عليه وسلم قومه الى الاسلام فقال له زمعة بن الاسود والنضر بن الحرث والاسود بن عبد
يغوث وابي بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى

معك فانزل الله في ذلك وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم
لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون **ومر**
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوليد بن المغيرة وامية بن خلف وابي جهل بن هشام فهمزوه واستهزءوا
به فغاظه ذلك فانزل الله عليه ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا
منهم ما كانوا به يستهزءون

ذكر الحديث عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق ثم اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام بمكة في قريش وفي القبائل
كلها فكان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلوات الله عليه عن عبد الله بن مسعود
وابي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية بن ابي سفيان وام هانئ
بنت ابي طالب والحسن بن ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم
ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من امره صلى الله عليه حين اسري به وكان
في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وامر الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي
الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن امن وصدق وكان من امر الله على يقين فاسري به كيف شاء
وكما شاء ليريه من اياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته
التي يصنع بها ما يريد **وكان** عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول اتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها
في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الايات فيما بين السماء والارض
حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء عليهم السلام
فجمعوا له فصلى بهم ثم اتي بثلاثة انية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه ماء
قال فسمعت قائلا يقول ان اخذ الماء فغرق وغرقت امته وان اخذ الخمر فغوى وغوت
امته وان اخذ اللبن هدي وهديت امته قال فاخذت اناء اللبن فشربت فقال لي
جبريل هديت وهديت امتك يا محمد **قال** وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت

لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فجاءني
الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمت معه فخرج بي إلى باب المسجد
فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده في
منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته **وفي حديث**
قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل
يده على معرفته ثم قال ألا تستحيي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد
أكرم عليه منه فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته **وفي** حديث
الحسن من إنهاء جبريل بالنبي صلى الله عليه إلى بيت المقدس وإمامته فيه بمن وجد عنده
من الأنبياء على جميعهم السلام نحو ما تقدم من ذلك في حديث ابن مسعود قال ثم أتي
بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن فأخذ إناء اللبن وترك إناء الخمر فقال له جبريل
هديت للفطرة وهديت أمتك وحرمت عليكم الخمر **و**ذكر تحريم الخمر هنا غريب
جدا وإن عليه العلماء أن الخمر إنما حرمت بالمدينة بعد سنين من الهجرة **قال**
الحسن ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم
الخبر فقال أكثر الناس هذا والله الأمر البين والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام
مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة قال فارتد
كثير ممن كان أسلم وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم
أنه جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة فقال لهم أبو بكر إنكم تكذبون عليه
فقالوا بلى ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر والله لئن كان قاله
لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض
في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس
هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصفه لي فإني قد جئته **قال الحسن** فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه يصفه لأبي بكر
ويقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت أشهد
أنك رسول الله حتى إذا انتهى قال رسول الله عليه السلام لأبي بكر وأنت يا أبا بكر الصديق
فيومئذ سماه الصديق **قال الحسن** وأنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه لذلك وما
جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم

إلا

إلا طغيانا كبيرا **فهذا** حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما دخل فيه من حديث قتادة **قال ابن إسحاق** وحدثني بعض آل أبي بكر أن
عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه
وكان معاوية بن أبي سفيان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت
رؤيا من الله صادقة فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك
قول الله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ولقول الله تعالى في الخبر عن
إبراهيم إذ قال لابنه يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ثم مضى على ذلك فعرفت أن
الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنام
عيني وقلبي يقظان فالله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على
أي حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق **وزعم الزهري** عن سعيد
ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى
حين رآهم في تلك الليلة صلوات الله على جميعهم فقال أما إبراهيم فلم أر رجلا أشبه
بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد
أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى ابن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل
سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه يخرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به
ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي **قال ابن هشام** وكانت صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال
كان علي إذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد
كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم
ولا بالمكلثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتد دقيق
المسربة أجرد شثن الكفين والقدمين إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب وإذا التفت
التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين أجود الناس
كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة
وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله
ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم **قال ابن إسحاق** وكان فيما بلغني عن أم هانئ
بنت أبي طالب أنها كانت تقول ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
نام عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم
العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد
صليت معكم صلاة الغداة الآن كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فتكشف
عن بطنه وكأنه قبطية مطوية فقلت يا نبي الله لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك
ويؤذوك قال والله لأحدثنهموه فقلت لجارية لي حبشية ويحك اتبعي رسول الله
حتى تسمعي ما يقول للناس وما يقولون له فلما خرج إلى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا
ما آية ذلك يا محمد فإنا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك أني مررت بعير
بني فلان بوادي كذا فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه
إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم
نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه
ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم
يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية
فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا
ماء ثم غطوه وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا
الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر وند لنا بعير فسمعنا
صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه **قال ابن إسحاق** وحدثني من لا أتهم
عن أبي سعيد الخدري أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان في
بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه ميتكم
عينيه إذا حضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له
باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت
يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا
الحديث وما يعلم جنود ربك إلا هو فلما دخل بي قال من هذا يا جبريل قال محمد قال
أوقد بعث قال نعم فدعا لي بخير وقاله **قال** وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقني ملك
إلا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا
ودعا بمثل ما دعوا به إلا أنه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره فقلت
لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي مثل ما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل

ابن

الذي رأيت منهم فقال لي جبريل أما إنه لو كان ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا
إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك هذا مالك صاحب النار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت لجبريل وهو من الله بالمكان الذي وصف لكم مطاع ثم أمين ألا
تأمره أن يريني النار فقال بلى يا مالك أر محمدا النار فكشف عنها غطاءها ففارت
وارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى فقلت لجبريل مره فليردها إلى مكانها فأمره
فقال لها اخبي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه فما شبهت رجوعها إلا وقوع
الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها **قال**
أبو سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا
رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا
ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها إذا عرضت عليه
أف ويعبس بوجهه روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا يا جبريل
قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها
وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها **قال** ثم رأيت رجالا لهم
مشافر كمشافر الإبل في أيديهم قطع من نار كالأفهار يقذفونها في أفواههم فتخرج
من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما **ثم**
رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل
المهيومة حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك
قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا **ثم** رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين
طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب
قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم
الله عليهم منهن **ثم** رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم **قال** ثم أصعدني إلى السماء الثانية
فإذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا **قال** ثم أصعدني إلى السماء
الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قلت من هذا يا جبريل قال هذا
أخوك يوسف بن يعقوب **ثم** أصعدني إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته
من هو فقال إدريس قال يقول رسول الله ورفعناه مكانا عليا **قال** ثم أصعدني إلى السماء
الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلا أجمل منه

قلت من هذا يا جبريل قال هذا المحبب في قومه هارون بن عمران ثم أصعدني إلى السماء
الخامسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنه من رجال شنوءة فقلت من هذا يا جبريل
قال هذا أخوك موسى بن عمران ثم أصعدني إلى السماء السابعة فإذا كهل جالس
على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى
يوم القيامة لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه قلت من هذا يا جبريل
قال هذا أبوك إبراهيم ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها
لمن أنت وقد أعجبتني فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله زيدا ومن
حديث عبد الله بن مسعود أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السماوات إلا
قالوا له حين يستأذن في دخولها من هذا يا جبريل فيقول محمد فيقولون أوقد بعث
فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ ومن صاحب حتى انتهى به إلى السماء السابعة
ثم انتهى به إلى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض
عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة في كل يوم فقال إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة
فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك فرجعت فسألت ربي فوضع عني
عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي فوضع عني
عشرا ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت إليه فارجع فاسأل حتى انتهيت إلى أن
وضع ذلك عني إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت إلى موسى فقال لي مثل ذلك
فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه فما أنا بفاعل فمن
أداهن منكم إيمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة قال ابن إسحق
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله صابرا محتسبا مؤديا إلى قومه النصيحة على
ما يلقى منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء وكان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه
وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى الأسود بن المطلب أبو زمعة وكان رسول الله الأسود
صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال
اللهم أعم بصره وأثكله ولده والأسود بن عبد يغوث ابن وهب والوليد بن المغيرة المخزومي
والعاص بن وائل السهمي والحارث بن الطلاطلة الخزاعي فلما تمادوا في الشر
وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن
المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون فأتى
جبريل

جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله
إلى جنبه فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي وسيأتي بعد
أنه أصيب له يوم بدر ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحارث بن زمعة فاشتفى
الله سبحانه بذلك فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم إجابة دعوته عليه بالعمى والثكل
ثم مر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه حبنا وعن
غير ابن إسحق أنه لما نزلت إنا كفيناك المستهزئين نزل جبريل عليه السلام
فقمنا خلف الأسود بن عبد يغوث ابن عمه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خالي
فقال له جبريل خله عنك ثم حناه حتى قتله قال ابن إسحق ومر به الوليد
ابن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله
فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له
يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ومر
به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله قال وكان النفر
الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن
أمية وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي
وكانوا جيرانه لم يسلم أحد منهم إلا الحكم فكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه رحم
الشاة وهو يصلي وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى فكان صلى الله عليه إذا طرحوا عليه ذلك
الأذى يخرج به على العود فيقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم
يلقيه في الطريق قال ابن إسحق ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب
هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة وكانت
له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها وبهلاك عمه أبي طالب وكان له عضدا وحرزا
في أمره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين فلما
هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في
حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا فدخل
رسول الله بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب
وهي تبكي ورسول الله يقول لها لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ويقول بين ذلك ما نالت
مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب قال ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا

تفله فقال بعضهم لبعض إن حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا امر محمد في قبائل قريش
كلها فانطلقوا بنا الى ابي طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا فانا والله
ما نأمن ان يبتزونا امرنا فمشوا الى ابي طالب فكلموه وهم اشراف قومه عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب في رجال من اشرافهم
فقالوا يا ابا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك
وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف
عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه **فبعث** اليه ابو طالب فجاءه فقال
يا ابن اخي هؤلاء اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
فقال ابو جهل نعم وابيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه
قال فصفقوا بايديهم ثم قالوا أتريد يا محمد ان تجعل الآلهة الها واحدا ان امرك
لعجب ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا
وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا فقال ابو طالب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخي ما رأيتك سألتهم شططا فلما قالها
طمع رسول الله فيه فجعل يقول له اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة
يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله عليه قال يا ابن اخي والله لولا مخافة السبة
عليك وعلى بني ابيك من بعدي وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها
لا اقولها الا لأسرك بها فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه
فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته ان يقولها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع **وخرج** مسلم بن الحجاج في صحيحه
من حديث المسيب بن حزن قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عم قل لا اله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية
يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه
ويعودان بتلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب
وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لاستغفرن لك ما لم انه
عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى

من بعد

من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ۝ وانزل في ابي طالب فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين **وفي**
الصحيح ايضا ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك
وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته
الى ضحضاح **وفيه ايضا** من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل
في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه **وعن** ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اهون اهل النار عذابا ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي
منهما دماغه **ويروى** ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجوه قريش
فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد
المطاع ۝ وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع ۝ واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر
نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم
الوسيلة ۝ واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش
وثباتا للوطأة ۝ صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة الرحم منسأة في الاجل وزيادة
في العدد ۝ واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ۝ اجيبوا الداعي
واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات ۝ عليكم بصدق الحديث واداء الامانة
فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين
في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان
وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل البر في الاطراف
والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض
بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا
وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده
قد محضته العرب ودادها واصفته فؤادها ۝ دونكم يا معشر قريش ابن ابيكم كونوا
له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد منهم سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا
سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ۝

بلغ

ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف بعد مهلك عمه ابي طالب

قال ابن اسحاق ولما هلك ابو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لم تكن تنال منه في حياة عمه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف وحده يلتمس النصرة
من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء ان يقبلوا منه ما جاءهم به من الله فلما انتهى الى الطائف
عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود
وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند احدهم امرأة
من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام
والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله
ارسلك وقال الآخر أما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن
كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على
الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف
وقد قال لهم فيما ذكر لي اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه
ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس قال موسى بن عقبة وقعدوا له صفين على طريقه
فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما
بالحجارة حتى ادموا رجليه زاد سليمان التيمي انه صلى الله عليه كان اذا اذلقته الحجارة
قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون
قال ابن عقبة فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد الى حائط من حوائطهم
فاستظل في ظل حبلة منه وهو مكروب موجع واذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة
فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله وذكر ابن اسحاق ان ابني ربيعة كانا فيه
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اطمأن يعني في ظل الحبلة قال اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني
الى بعيد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك
هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من
ان تنزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك قال
فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس
فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له
يأكل منه ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم

ثم قال له كل فلما وضع رسول الله فيه يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس في وجهه
ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن اهل اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال نصراني وانا رجل من اهل نينوى
فقال له رسول الله صلى الله عليه أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس
وما يدريك ما يونس بن متى قال رسول الله ذلك اخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس
على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة احدهما لصاحبه
اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك ما لك تقبل
رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد
اخبرني بأمر لا يعلمه الا نبي قالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك
خير من دينه وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها
انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم كان اشد عليك من يوم احد
فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على
ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت على وجهي وانا مهموم
فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت
فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث
اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي فقال يا محمد
ذلك لك فما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا وذكر
ابن هشام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن اهل الطائف ولم يجيبوه الى ما دعاهم
اليه من تصديقه ونصرته صار الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال انا
حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب
فبعث الى المطعم بن عدي فأجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم واهل بيته وخرجوا حتى
اتوا المسجد ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله فطاف
بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله ولاجل هذه اليد التي سلفت للمطعم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء
النتنى لتركتهم له وفي انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا
الى مكة حين يئس من خير ثقيف مر به النفر من الجن الذين ذكر الله تعالى في كتابه ورسول الله

بنخلة قد قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن فيما ذكر ابن اسحاق
قال وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن اهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته
ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا واجابوا الى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم
قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا
فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا
به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم

ذكر عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب

قال ابن اسحاق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه اشد ما كانوا
عليه من خلافه وفراق دينه الا قليلا مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه في المواسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبي مرسل
ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به قال ربيعة
ابن عباد اني لغلام شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على
منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني
وتمنعوني حتى ابين عن الله ما بعثني به وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان عليه حلة
عدنية فاذا فرغ رسول الله من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا
انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيش
الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال ربيعة فقلت
لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد
المطلب ابو لهب وعن غير ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى كندة في منازلهم
فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فابوا عليه واتى كلبا في منازلهم الى بطن منهم يقال لهم
بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى انه ليقول لهم يا بني عبد الله ان الله
قد احسن اسم ابيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض نفسه على بني حنيفة

فلم يكن احد من العرب اقبح ردا عليه منهم ذكر الواقدي باسناد له عن عامر
ابن سلمة الحنفي وكان قد اسلم بعد، اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
نسأل الله عز وجل ان لا يحرمنا الجنة لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا
ثلاثة اعوام وكلنا بعكاظ ومجنة وبذي المجاز يدعونا الى الله تعالى وان نمنع
له ظهره حتى يبلغ رسالات ربه ويشرط لنا الجنة فما استجبنا له وكان ردنا
جميلا لقد خشنا عليه وحلم عنا قال عامر ثم رجعت الى حجر اول عام فقال لي
هوذة بن علي هل كان في موسمكم هذا عام فقلت رجل من قريش يطوف على القبائل
يدعوهم الى الله وحده والى ان يمنعوا ظهره حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة
فقال هوذة من اي قريش هو قلت من اوسطهم نسبا من بني عبد المطلب قال هوذة
أهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قلت هو هو قال اما ان امره سيظهر على
ما هاهنا قلت ما هاهنا قال ومن بين البلدان قال ونحن ما هاهنا ثم وافيت الموسم
الثانية ففقدت حجي فقال ما فعل الرجل فقلت رأيته على حاله في العام الماضي
قال ثم وافيت في الثالث وهي آخر ما رأيته واذا امره قد امر
واذا ذكره كثير في الناس واسمع ان الخزرج تبعته ففقدت حجي فقال لي هوذة
ما فعل الرجل فقلت رأيت امره قد امر ورأيت قومه عليه اشدا فقال هوذة
هو والله فقلت له ولو انا اتبعناه لكان خيرا لنا ولكنا نضن بملكنا وكان قومه قد
توجوه وملكوه قال عامر ثم ان سليط بن عمرو العامري حين بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى هوذة فضيفته واكرمته واخبرته من خبر هوذة انه لم يسلم وقد رد
رد احسن رد قال واخبرني سليط خبر هوذة فاخبرته بقصته رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلم عامر بن سلمة ومات هوذة بن علي سنة ثمان من الهجرة كافرا على نصرانيته
ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبس الى الاسلام فلم يقبلوا قال ابو وابصة
العبسي فيما ذكر الواقدي جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا بمنى فدعانا الى
الله فوالله ما استجبنا له وما خير لنا وكان معنا ميسرة بن مسروق العبسي
فقال لنا احلف بالله لو صدقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحل به وسط رحالنا
لكان الرأي فقال له القوم من بين العرب تفعل هذا قال نعم من بين العرب فاحلف بالله
ليظهرن امره حتى يبلغ كل مبلغ فقال القوم له دعنا منك لا تعرضنا لما لا قبل لنا
به وطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميسرة فكلمه فقال ميسرة ما احسن كلامك

وأنتم ذلك ولا يكن في نفسي على القوم وانما الرجل بقومه فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخرج القوم حتى نزلوا إلى أهليهم فقال لهم ميسرة ميلوا بنا إلى فدك فإن بها
يهود نسألهم عن هذا الرجل فمالوا إلى يهود فأخرجوا سفرا لهم فوضعوه ثم درسوا
ذكر النبي الأمي العربي يركب الحمار ويجتزئ بالكسرة وليس بالطويل ولا بالقصير
ولا بالجعد ولا بالسبط في عينيه حمرة مشرب اللون فانظروا فإن كان هو الذي دعاكم
فأجيبوه وادخلوا في دينه فإنا نحسده ولا نتبعه ولنا منه في مواطن بلاء عظيم
ولا يبقى من العرب أحد إلا اتبعه أو قاتله فكونوا ممن يتبعه. قال ميسرة
يا قوم والله ما بقي شيء إن هذا الأمر بين قال القوم نرجع إلى الموسم ونلقاه ورجع
القوم إلى بلادهم فأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم. فلما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وحج حجة الوداع لقيه ميسرة
فعرفه فقال يا رسول الله والله ما زلت حريصا على اتباعك من يوم أنخت بنا
حتى كان ما كان وأبى الله عز وجل إلا ما ترى من تأخر إسلامي وقد مات عامة النفر
الذين كانوا معي فأين مدخلهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على غير
الإسلام فهو في النار فقال ميسرة الحمد لله الذي أنقذني فأسلم فحسن إسلامه وكان
له عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه مكان. وعن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فقال رجل منهم يقال له
بيحرة بن فراس والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له
أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك قال الأمر
إلى الله يضعه حيث يشاء قال أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان
الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك. فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ
لهم قد أدركته السن حتى لا يقدر على أن يوافي معهم المواسم فكانوا إذا رجعوا إليه
حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم
فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن
نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بني
عامر هل لها من تلاف هل لذناباها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي
قط وإنها لحق فأين رأيكم كان عنكم. وذكر الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أقبل عن بني عامر وانصرف إلى راحلته ليركبها أتاه بيحرة ونخسه الواقدي

بيحرة بن عبد الله بن سلمة ورجلان معه فنخسوا به راحلته حتى سقط عنها ويقال
فرفعوا بعقال راحلته قال فقامت امرأة منهم يقال لها ضباعة بنت قرط
وكانت قد أسلمت وكانت تحت عبد الله بن جدعان فكرهته ففارقها وخلف
عليها بعده هشام بن المغيرة وهي أم ابنه سلمة فصاحت يا بني عامر أيؤتى
محمد وأنا شاهدة فقام إليهم ثلاثة من بني عمها وقطعان ابنا سهيل وعزة بن عبد الله
ابن سلمة بن قشير فضربوهم حتى ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ اللهم ما صنعوا ما صنعوا اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء فأسلم الذين
بارك عليهم جميعا ومات الذين لعنوا كفارا. وذكر الواقدي أنه من حديث
حكيم بن أبي حكيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على بني عامر يدعوهم إلى الله فقام
رجل منهم فقال لقد صحبتك لك والله اقتيادا ثم اقتيادا أحياء العرب كلها حتى تأتينا
وتشتد علينا مؤنة بعد مؤنة والله لا جعلتك حين شئنا لا قبل الموسم ونظر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان خائفا فيعصمه الله عز وجل منها ففعل يصيح من رحله
وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه. قال الواقدي بإسناد له ذكره
وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم غسان في منازلهم بعكاظ وهم جماعة كبيرة فجلس إليهم
فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال وأن تمنعوه حتى أبلغ
رسالات ربي ولكم الجنة فقال رجل منهم هذا والله يا قوم الذي تذكر النصارى في كتبها
والذي يقولون يبقى من ولد إسماعيل نبي اسمه أحمد فتعالوا نؤمن به ونتبعه
فنكون من أنصاره وأوليائه فإنهم يعلمون أنه يظهر على ما بلغ الخف والحافر فيجتمع لنا
شرف الدنيا مع ما يكون بعد الموت قال القوم فنكون نحن أعداء العرب ندخل في هذا الأمر
فتنصب لنا العرب فما هيبة ويبلغ ملوك بني ... فيخرجونا من ديارهم ولا لنا يد
عنه ونشهد ما تصنع العرب ثم ندخل فيما يدخل فيه الناس قال الرجل يا قوم تابعوه
أن تتبعوه قولا ... ولو أطاعوني رشدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذا
أدخلوا بيد الله عز وجل فانصرف عنهم ثم عاد بعد ذلك إليهم فدعاهم إلى الإسلام فقالوا
نرجع إلى من وراءنا ثم نلقاك فلما رجعوا فمن منهم نفر إلى الحارث بن أبي شمر فذكروا له
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحارث إياكم أن يتبعه رجل منكم إذن يبيد
ملككم من الشام ويتهمني بعرقل قال فأمسكوا عن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال
وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني محارب بن خصفة فلقاهم في حرم في مجالسهم

فيهم شيخ منهم وهو جالس في أصحابه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته ثم دعا
إلى الله وطلب المنعة حتى يبلغ رسالات ربه فرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح
الرد وقال له حسبنا الطيب يا بني قومنا أن يتبعوك وتأتيهم تجارب تزعمون أني ظالم ما كان
عليه. أبا زهير اذهب فأنت غير متبع رجل من محارب أخو الزبير ويقبل الله شيبة
منهم فقال يا محمد ما في بكن نافقة حين إن كنت عادلا فأبلغني أنك تزعم أن العلم قمنا
ما أنت عنه بزعمهم أن الله يوحي إليك ويكلمك فأمسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل إليه رجل منهم يقال له سلمة بن قنبر وكان رسول الله فقال أنا في بيان من بني لعم
فأراد أن يفرحه في أبيه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى عن أبيه فجعل سلمة
يقول له ونعت في أبيه أشتي إذ منذ أهل الموسم وأخذ رسول الله صلى الله عليه بزمام
راحلته يقودها وهم يرمونه بالحجارة حتى توارى عنهم وهو يقول اللهم إن لا تو
يشتك لم يكونوا هكذا إن قلوبهم بيدك وإنك أعلم بهم فإن كان هذا عن سخط بك علي فلك
العتبى ولا حول ولا قوة إلا بك **وذكر** قاسم بن ثابت بن حزم العوفي من
حديث عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب أنه قال لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الصديق حتى دفعنا
إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وكان رجلا نسابة وكان مقدما في كل
خير فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال ومن أي ربيعة أنتم أمن هامتها أم من لهازمها
قالوا بل من هامتها العظمى قال وأي هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الأكبر فذكر
الحديث في مناسبة أبي بكر إياهم ومقاولته لهم وانبراء دغفل بن حنظلة إليه من بينهم
وهو يومئذ غلام حين بقل وجهه ومواقفته لأبي بكر حتى اجتذب أبو بكر زمام الناقة
ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور تركته لطوله مع أن المقصود
بما بعده. **قال** علي رضي الله عنه ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة
والوقار فتقدم أبو بكر فسلم وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من شيبان بن
ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم
وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان
مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه
وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال له مفروق
إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر فكيف المنعة فيكم قال علينا الجهد

ولكل قوم جد قال أبو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق إنا لأشد ما نكون
غضبا حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد
والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخو قريش
فقال أبو بكر أو قد بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا
أنه يذكر ذلك فإلام تدعو يا أخا قريش **فتقدم** رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى
أن تؤووني وتنصروني فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت
بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد **فقال** مفروق وإلام تدعو أيضا يا أخا
قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا (ربع)
وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم
تعقلون **فقال مفروق** وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون **فقال مفروق** دعوت والله يا أخا قريش
إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه
أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا
وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وإني أرى أن تركنا
ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لزلل في الرأي
وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم
عقدا ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة
فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك
يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا إياك
لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر وإنا إنما نزلنا بين صريي اليمامة والسمامة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان فقال أنهار كسرى ومياه العرب
فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من
مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا
كسرى أن لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت هو مما

تكن بعد الملوك فإن أحببتم أن نؤويك وننصرك فيما يلي مياه العرب فعلنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق وإن دين الله
لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله
أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان
اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيدي فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس
بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ابن إسحق فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو
القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة
ولا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه
ما عنده وقدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا فتصدى
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الله وإلى الإسلام فقال له سويد فلعل الذي
معك مثل الذي معي فقال له رسول الله وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة
لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال إن هذا
لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور فتلا عليه
القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال إن هذا لقول حسن ثم انصرف عنه
فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج فقتل يوم بعاث فإن كان رجال من قومه
ليقولون إنا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم
الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه وهو القائل

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهدا ... وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه ... نميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم ... من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري

ولما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس
بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له فقالوا له وما ذاك قال أنا
رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله لا يشركون به شيئا وأنزل علي
الكتاب ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال إياس بن معاذ وكان غلاما
حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فيأخذ أبو الحيسر حفنة من البطحاء
فضرب بها وجه إياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام
عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفوا إلى المدينة فكانت وقعة بعاث بين
الأوس والخزرج ثم لم يلبث إياس أن هلك فأخبرني من حضر من قومه عند موته أنهم
لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون
أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما سمع

بدء إسلام الأنصار وذكر العقبة الأولى

قال ابن إسحق فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه
وإنجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار
فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي
رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن
موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهود كانوا
معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد عزوهم
ببلادهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم إن نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه
فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر
ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به
يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض
عليهم من الإسلام وقالوا إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى أن
يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عنه راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا
وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج منهم من بني النجار أسعد بن زرارة أبو أمامة وعوف بن
الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء ومن بني زريق رافع بن مالك بن العجلان ومن بني سلمة قطبة

أبو عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن رئاب فلما قدموا المدينة
إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم
يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام المقبل
وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا منهم من الستة المسمين قبل أبو أمامة وعوف
ورافع وقطبة وعقبة ومن غير الستة من الخزرج أيضا ذكوان بن عبد قيس بن خلدة
ابن زريق وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة من بني غصينة من بلي حليف لهم والعباس
ابن عبادة بن نضلة العجلاني ومعاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء. ومن
الأوس أبو الهيثم مالك بن التيهان وعويم بن ساعدة فلقوه بالعقبة وهي العقبة
الأولى فقال عبادة بن الصامت كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا
فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض الحرب
على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه
بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم
من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة
فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر. قال ابن إسحق فلما انصرف عنه
القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصي وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين
فكان مصعب يسمى المقرئ بالمدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة
وكان يصلي بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض

إسلام سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير على يدي مصعب بن عمير رضي الله عن جميعهم

قال ابن إسحق عمن سمى من شيوخه أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير
يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر فجلسا
فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم فلما سمع بهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما
يومئذ سيدا قومهما بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه قال سعد لأسيد لا أبا لك

انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما
عن أن يأتيا دارينا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك
هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد حربته ثم أقبل إليهما فلما رآه
أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال
فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا
إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت
أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما
فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه
الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون
إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق
ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما إن ورائي رجلا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه
وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ ثم انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس
في ناديهم فلما نظر إليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي
ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما
رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا
إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد
مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال والله ما أراك
أغنيت شيئا ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدا إنما أراد أن
يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك
من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارينا بما نكره وقد قال أسعد لمصعب بن عمير
أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان
فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وإن كرهته
عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ
عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله
ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر
ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد

شهادة الحق وركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا إلى نادي قومه ومعه
أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه
الذي ذهب به فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم
قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى
تؤمنوا بالله وبرسوله قال فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا
مسلما ومسلمة ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى
لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد
وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس
ابن الأسلت وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الإسلام
وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألمت ... يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس أما إذ ضللنا ... فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا ... وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى ... مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا إذ خلقنا ... حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدي ترسف مذعنات ... مكشفة المناكب في الجلول

ذكر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار
من المسلمين مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه وإعزاز الإسلام
وأهله وإذلال الشرك وأهله حدثني كعب بن مالك وكان ممن شهد العقبة وبايع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا في حجاج قومنا المشركين وقد صلينا وفقهنا
ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال لنا البراء
يا هؤلاء إني قد رأيت رأيا والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا قلنا وما ذاك قال إني

ألا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وأن أصلي إليها قلنا والله ما بلغنا
أن نبينا يصلي إلا إلى الشام وما نريد أن نخالفه فقال إني لمصل إليها فقلنا له لكنا
لا نفعل فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة
فلما قدمنا وقد كنا عبنا عليه ما صنع قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فوالله لقد وقع في نفسي
منه شيء لما رأيت من خلافكم إياي فيه فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عنه فقال
هل تعرفانه فقلنا لا فقال هل تعرفان العباس عمه فقلنا نعم وكنا نعرف العباس
كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس
فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه
فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا
الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك فوالله ما أنسى
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا نبي الله
إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام فرأيت ألا أجعل هذه البنية
مني بظهر فصليت إليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي منه شيء
فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا إلى الشام قال وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة
حتى مات وليس كما قالوا نحن أعلم به منهم قال كعب ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت
الليلة التي واعدنا رسول الله لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من سادتنا
أخذناه وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد
من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه
إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة فأسلم وشهد
معنا وكان نقيبا فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل الأول
خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى
اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة
بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي

أو منيع أخبرني نساء بني سلمة فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى جاءنا ومعه عمه العباس وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن
أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب
إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها إن محمدا منا حيث قد
علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة
في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما
دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه
وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده
فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت
فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال
أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم
قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن
والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله
أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها
يعني اليهود فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا
قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني
أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم **قال كعب** وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا
تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس من الخزرج أبو أمامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع
وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة
أبو الصامت وسعد بن عبادة بن دليم والمنذر بن عمرو **ومن الأوس** أسيد بن حضير
وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر قال ابن هشام وأهل العلم يعدون
فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء أنتم
على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي قالوا نعم
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العباس بن عبادة بن نضلة أخو بني سالم بن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون علام
تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم

ترون

ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو
والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه
على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا
فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا
قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فأما عاصم فقال والله ما قال ذلك العباس
إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم وقال عبد الله بن أبي بكر ما قال ذلك إلا ليؤخر
القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي ابن سلول فيكون أقوى لأمر القوم
فالله أعلم أي ذلك كان **قال ابن إسحاق** فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة
أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الأشهل يقولون بل أبو الهيثم بن
التيهان وفي حديث معبد بن كعب عن أخيه عبد الله عن أبيه قال كان أول من
ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع القوم فلما بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته
قط يا أهل الجباجب وهي المنازل هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على
حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب ويقال
ابن أزيب اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفضوا إلى رحالكم فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق إن شئت
لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك
ولكن ارجعوا إلى رحالكم فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها فلما أصبحنا غدت
علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا
أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه
والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم فانبعث
من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وقد صدقوا
لم يعلموه وبعضنا ينظر إلى بعض ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام المخزومي
وعليه نعلان له جديدان فقلت كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا
جابر أما تستطيع وأنت سيد من سادتنا أن تتخذ مثل نعلي هذا الفتى من قريش
فسمعها الحارث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلي فقال والله لتنتعلنهما قال
يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه قلت والله لا أردهما

ولم تحلل له الدماء، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله تبارك وتعالى والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم، فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد منهم بأرض الحبشة ومنهم بالمدينة وفي كل وجه، فلما عتت قريش على الله وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور. ثم أنزل الله عليه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي حتى لا يفتتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أي وحتى يعبد الله لا يعبد غيره.

باب الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق فلما أذن الله تبارك وتعالى لرسوله في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة وكان أول من هاجر إليها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش من بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد هاجر إليها قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا. **قالت** أم سلمة لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا

هذه علام نتركك تسير بها في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت ورد بنو عبد الأسد عند ذلك إلي ابني فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله قلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال إلى أين يا بنت أبي أمية قلت أريد زوجي بالمدينة قال أوما معك أحد قلت لا والله إلا الله وبني هذا قال والله ما لك من مترك فأخذ بخطام البعير يقود بي معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله ثم استأخر عني فقال اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا إلى مكة فكانت أم سلمة تقول ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة. **قال ابن إسحاق** ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم ثم عبد الله بن جحش بن رئاب من بني غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه أبي أحمد عبد ابن جحش وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب فغلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة

والعباس بن عبد المطلب وابو جهل بن هشام فنظر اليها عتبة تخفق ابوابها يبابا
ليس بها ساكن فتنفس الصعدا ثم قال

وكل دار وان طالت سلامتها ... يوما ستدركها النكبا والحوب

ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها ابو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة
اخي بني عامر بن لوي فذكر ذلك عبد الله بن جحش لما بلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له رسول الله الا ترضى يا عبد الله ان يعطيك الله بها دارا في الجنة خيرا منها قال بلى
قال فذلك لك فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كلمه ابو احمد في دارهم فابطا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس لابي احمد يا ابا احمد ان رسول الله يكره
ان ترجعوا في شي اصيب منكم في الله فامسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان بنو غنم بن دودان اهل اسلام قد اوعبوا الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
هجرة رجالهم ونساؤهم فقال ابو احمد بن جحش يذكر هجرة بني اسد بن خزيمة من قومه
الى الله تبارك وتعالى والى رسوله وايعابهم في ذلك حين دعوا الى الهجرة

فلو حلفت بين الصفا ام احمد ... ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الالى كنا بها ثم لم نزل ... بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت ... وما ان غدت غنم وخف قطينها
الى الله تغدو بين مثنى وواحد ... ودين رسول الله بالحق دينها

وقال ابو احمد ايضا

ولما راتني ام احمد غاديا ... بذمة من اخشى بغيب وارهب
تقول فاما كنت لا بد فاعلا ... فيمم بنا البلدان ولتنأ يثرب
فقلت لها يثرب منا محنة ... وما يشا الرحمن فالعبد يركب
الى الله وجهي والرسول ومن يقم ... الى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح ... وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى ان وترا نأينا عن بلادنا ... ونحن نرى ان الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم ... وللحق لما لاح للناس ملحب
اجابوا بحمد الله لما دعاهم ... الى الحق داع والنجاح فاوعبوا
وكنا واصحابا لنا فارقوا الهدى ... اعانوا علينا بالسلاح واجلبوا
كفوجين اما منهما فموفق ... على الحق مهدي وفوج معذب

طغوا

طغوا وتمنوا كذبة وازلهم ... عن الحق ابليس فخابوا وخيبوا
ورعنا الى قول النبي محمد ... فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
فاي ابن اخت بعدنا يامننكم ... واية صهر بعد صهري ترقب
ستعلم يوما اينا اذ تزايلوا ... وزيل امر الناس للحق اصوب

ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة المخزومي حتى قدما المدينة
قال عمر رضي الله عنه لما اردنا الهجرة الى المدينة اتعدت انا وعياش بن ابي ربيعة
وهشام بن العاصي التناضب من اضاة بني غفار فوق سرف وقلنا اينا لم يصبح
عندها فقد حبس فليمض صاحباه فاصبحت انا وعياش عندها وحبس عنا هشام
وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا بقبا وخرج ابو جهل والحرث اخوه الى عياش
وكان ابن عمهما واخاهما لامهما حتى قدما علينا فقالا له ان امك قد نذرت ان لا يمس
راسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له يا عياش
والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد اذى امك القمل
لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال ابر قسم امي ولي هنالك
مال فآخذه فقلت والله انك لتعلم اني لمن اكثر قريش مالا فلك نصف مالي ولا
تذهب معهما فابى علي الا ان يخرج معهما فلما ابى الا ذلك قلت له اما اذ قد فعلت
ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من القوم ريب
فانج عليها فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له ابو جهل والله يا
ابن اخي لقد استغلظت بعيري هذا افلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال
فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه فاوثقاه رباطا ثم
دخلا به مكة وفتناه فافتتن وفي غير حديث عمر انهما دخلا به مكة نهارا
موثقا ثم قالا يا اهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا
قال عمر رضي الله عنه في حديثه فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا
ولا توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء اصابهم وكانوا يقولون ذلك لانفسهم
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انزل الله تبارك وتعالى فيهم وفي قولنا
وقولهم لانفسهم يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت
بها الى هشام بن العاصي قال فقال هشام لما اتتني جعلت اقرؤها بذي طوى اصعد بها فيه
واصوب ولا افهمها حتى قلت اللهم فهمنيها فالقى الله في قلبي انها انما انزلت فينا
وفيما كنا نقول في انفسنا ويقال فينا فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة هذا ما ذكره ابن اسحاق في شان هشام وذكر ابن هشام
عمن يثق به ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة من لي بعياش بن ابي ربيعة وهشام
ابن العاصي فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة انا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها
مستخفيا فلقي امراة تحمل طعاما فقال لها اين تريدين يا امة الله فقالت اريد
هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت
لا سقف له فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما
بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما
فعثر فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ثم تتابع المهاجرون ارسالا
فنزل طلحة بن عبيد الله وصهيب بن سنان على خبيب بن اساف بالسنح ويقال بل نزل
طلحة على اسعد بن زرارة قال ابن هشام وذكر لي ان صهيبا حين اراد الهجرة قال له
كفار قريش اتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد
ان تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب ارايتم ان جعلت لكم مالي
اتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني قد جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ربح صهيب ربح صهيب قال ابن اسحاق واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمكة بعد اصحابه من المهاجرين ينتظر ان يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة احد
من المهاجرين الا من حبس او فتن الا علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وكان ابو بكر كثيرا
ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله يجعل لك
صاحبا فيطمع ابو بكر ان يكونه ولما رات قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت
له شيعة واصحاب من غيرهم بغير بلدهم وراوا خروج اصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا
انهم قد نزلوا دارا واصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله اليهم وعرفوا انه قد اجمع لحربهم
فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي امرا الا

فيها

فيها يتشاورون ما يصنعون في امره فاعترضهم ابليس في هيئة شيخ جليل
عليه بت فوقف على باب الدار في اليوم الذي اتعدوا له ويسمى يوم الزحمة فلما
راوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اتعدتم
له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى الا يعدمكم منه رايا ونصحا قالوا اجل
فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها اشراف قريش وغيرهم فقال بعضهم لبعض
ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد رايتم وانا والله ما نامنه على الوثوب علينا بمن اتبعه
من غيرنا فاجمعوا فيه رايا فتشاوروا ثم قال قائل احبسوه في الحديد واغلقوا عليه
بابا ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة
ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما اصابهم فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا
لكم براي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه
الى اصحابه فلاوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم
على امركم ما هذا لكم براي فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين
اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا اخرج عنا فوالله ما نبالي اين ذهب ولا حيث وقع
اذا غاب عنا وفرغنا منه فاصلحنا امرنا والفتنا كما كانت فقال الشيخ النجدي لا
والله ما هذا لكم براي الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال
بما ياتي به والله لو فعلتم ذلك ما امنت ان يحل على حي من العرب فيغلب عليهم
بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطاكم بهم فياخذ امركم
من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد اديروا فيه رايا غير هذا فقال ابو جهل والله ان لي فيه
لرايا ما اراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا ابا الحكم قال ارى ان ناخذ من كل قبيلة فتى شابا
جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه
بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في
القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل
فعقلناه لهم فقال الشيخ النجدي القول ما قال الرجل هذا الراي لا راي غيره فتفرق
القوم على ذلك وهم مجمعون له فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل
اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما راى رسول الله مكانهم قال لعلي
ابن ابي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص

اينك شي تكرهه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برد له خضر اذا نام فاجتمعوا
له وفيهم ابو جهل فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على امره كنتم
ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا
كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وخرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم انا اقول ذلك انت احدهم
واخذ الله على ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو
هؤلاء الآيات يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين الى قوله وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله من هؤلاء الآيات
ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على راسه ترابا ثم انصرف الى حيث اراد ان يذهب فاتاهم
آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله
خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته افما ترون
ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون
عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا
لمحمد متسجيا عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام علي عن الفراش
فقالوا والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا فكان مما انزل الله من القرآن في ذلك اليوم وما
كانوا اجمعوا له قول الله سبحانه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذن الله تبارك وتعالى عند ذلك لنبيه في الهجرة

ذكر الحديث عن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرين الى المدينة

حدثنا عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لا يخطئ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي بيت ابي بكر احد طرفي النهار اما بكرة واما عشية حتى
اذا كان اليوم الذي اذن الله فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه
اتانا بالهاجرة في ساعة كان لا ياتي فيها قالت فلما رآه ابو بكر قال ما جاء رسول الله
في هذه الساعة الا لامر حدث فلما دخل تأخر له ابو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم وليس عند ابي بكر الا انا واختي اسماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرج عني من عندك فقال يا نبي الله انما هما ابنتاي وما ذاك فداك ابي وامي فقال اني
قد اذن لي بالخروج والهجرة فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة قالت
فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم ان احدا يبكي من الفرح حتى رايت ابا بكر يبكي يومئذ
ثم قال يا نبي الله ان هاتين راحلتان قد كنت اعددتهما لهذا وكان ابو بكر رجلا ذا مال
فكان حين استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فقال له لا تعجل لعل الله يجعل لك
صاحبا قد طمع بان رسول الله عليه السلام انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما
في داره يعلفهما اعدادا لذلك واستاجرا عبد الله بن ارقط رجلا من بني الديل بن بكر
وكان مشركا يدلهما على الطريق ودفعا اليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما

اريقط

قال ابن اسحاق ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج احد
الا علي بن ابي طالب وابو بكر الصديق وآل ابي بكر اما علي فان رسول الله اخبره بخروجه
وامره ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي
كانت عنده للناس ولم يكن بمكة احد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده لما
يعلم من صدقه وامانته فلما اجمع عليه السلام الخروج اتى ابا بكر فخرجا من خوخة لابي
بكر في ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور جبل باسفل مكة فدخلاه وامر ابو بكر ابنه
عبد الله ان يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون في
ذلك اليوم من الخبر وكان يفعل ذلك وامر عامر بن فهيرة مولاه ان يرعى غنمه نهاره
ثم يريحها عليهما اذا امسى في الغار فكان عامر يرعى في رعيان اهل مكة فاذا امسى
اراح عليهما فاحتلبا وذبحا فاذا غدا عبد الله بن ابي بكر من عندهما الى مكة تبع عامر
اثره بالغنم حتى يعفي عليه وكانت اسماء بنت ابي بكر تاتيهما من الطعام بما يصلحهما
وذكر ابن هشام عن الحسن بن ابي الحسن قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر الى الغار ليلا فدخل ابو بكر قبله فلمس الغار لينظر افيه سبع او حية يقي رسول الله
بنفسه ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها
واسفلها وبعثوا القافة يتبعون اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور
اثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع له لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وجزعوا لذلك فجعلوا يطلبونه بانفسهم فيما قرب منهم
ويرسلون من يطلبه فيما بعد عنهم وجعلوا مائة ناقة لمن رده عليهم ولما انتهى

الى الغار وقد كانت العنكبوت ضربت على بابه بعشاش بعضها على بعض بعد
ان دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فقالوا بل ههنا اذ دخلوا الغار فقال امية بن
خلف وما اربكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد فانصرفوا فنهى النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله **وخرج**
ابو بكر البزار في مسنده من حديث ابي مصعب المكي قال ادركت زيد بن ارقم والمغيرة بن
شعبة وانس بن مالك يحدثون ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات في الغار
امر الله تبارك وتعالى شجرة فنبتت في وجه الغار فسترت وجه النبي صلى الله عليه وسلم
وامر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وامر الله عز وجل حمامتين وحشيتين
فوقعتا بفم الغار واتى الفتيان من كل بطن حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم
على قدر اربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم رجل منهم فنظر فراى الحمامتين فرجع
فقال لاصحابه ليس في الغار شيء رايت حمامتين على فم الغار فعرفت ان ليس فيه احد فسمع
قوله النبي صلى الله عليه وسلم فعرف ان الله قد درا بهما عنه فشمت عليهن وفرض جزاءهن
وانحدرن في حرم الله فعرج حول حسيسة قال فاصل كل حمام في الحرم من فراخهما **وذكر**
قاسم بن ثابت فيما تولى شرحه من الغريب ان الله انبت الراءة على باب الغار لما دخله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه قال وهي شجرة معروفة قال غيره لا تكون
مثل قامة الانسان ولها زهر ابيض تحشى به المخاد للينه وخفته **وحكى**
الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار دعا بشجرة كانت امام الغار
فاقبلت حتى وقفت على باب الغار فحجبت اعين الكفار وهم يحومون في الجبل **وقال**
ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا
تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما **واقام** رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر معه في الغار ثلاثا حتى اذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس اتاهما
صاحبهما الذي استاجراه ببعيريهما وبعير له واتتهما اسماء ابنة ابي بكر بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها
عصاما فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها فتجعله
عصاما ثم علقتها به فكان يقال لها ذات النطاق لذلك فيما ذكر ابن اسحاق
واما ابن هشام فذكر انه انما يقال لها ذات النطاقين وهو المشهور عنها رضي الله عنها
وذكر انه سمع غير واحد من اهل العلم يقول بانها شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة
بواحد وانتطقت بالاخر **قال ابن اسحاق** فلما قرب ابو بكر الراحلتين الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم

١٦

١٠٩

صلى الله عليه وسلم قرب له افضلهما ثم قال اركب فداك ابي وامي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لا اركب بعيرا ليس لي قال فهي لك يا رسول الله بابي انت وامي قال لا ولكن
ما الثمن الذي ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد اخذتها بذلك قال هي لك فركبا وانطلقا واردف
ابو بكر خلفه مولاه عامر بن فهيرة ليخدمهما في الطريق قال فحدثت عن اسماء بنت
ابي بكر قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر اتانا نفر من قريش فيهم ابو جهل
فقالوا اين ابوك يا بنت ابي بكر قلت لا ادري والله اين هو فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا
فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال ما ندري اين وجه
رسول الله صلى الله عليه حتى اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يتغنى بابيات من شعر
غناء العرب وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من اعلا مكة وهو
يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا ... فافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمومنين بمرصد

قالت اسماء فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان وجهه الى المدينة **وعن** غير ابن اسحق وهو عندنا بالاسناد من طرق ان ام معبد
هذه امراة من بني كعب من خزاعة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجرا
الى المدينة هو وابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن اريقط
مروا على خيمتي ام معبد الخزاعية وكانت امراة برزة جلدة تحتبي بفناء القبة
ثم تسقي وتطعم فسالوها لحما وتمرا ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك
وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة
فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل بها من لبن
قالت هي اجهد من ذلك **قال** اتاذنين ان احلبها قالت نعم بابي انت وامي
ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها
وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء يربض
الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى اصحابه
حتى رووا وشرب اخرهم ثم اراضوا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملا الاناء
ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها فقلما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد
يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزلا ضحا مخهن قليل فلما راى ابو معبد اللبن

فعجب وقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت
قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صفيه لي يا أم معبد
قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به
صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي عنقه سطع
وفي صوته صحل وفي لحيته كثاثة أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سماه
وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأجمله من قريب حلو المنطق فصل
لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا يأس من طول ولا تقتحمه
عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء
يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود
لا عابس ولا مفند قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره
ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا **وأصبح**
صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت جعل يجاوب الهاتف ويقول

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أو في ضحى غد

ليهن

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

وذكر أبو منصور محمد بن سعد الباوردي بإسناده إلى قيس بن النعمان قال لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه يستخفيان في الغار مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال والله ما لي شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت أول الشتاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتنا بها فدعا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم حلب عسا فسقى أبا بكر ثم حلب آخر فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتراك تكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فإني محمد رسول الله قال أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ قال إنهم ليقولون ذلك قال الراعي فإني أشهد أنك رسول الله وأن ما جئت به الحق وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ثم قال الراعي أتبعك قال لا تستطيع فإذا بلغك أنا قد ظهرنا فأتنا **وخرج** [illegible] من حديث البراء ابن عازب وأورده كاملا الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديثه قال اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء فليحمله إلى أهلي فقال له عازب حتى تحدثنا كيف صنعتما أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم قال ارتحلنا من مكة فأحيينا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها فنظرت بقية ظلها فسويته ثم فرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنفض ما حوله هل أرى من الطلب أحدا فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي أريد يعني الظل فسألته فقلت لمن أنت يا غلام فقال لرجل من قريش فسماه فعرفته فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت هل أنت حالب لي قال نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا فضرب إحدى يديه على الأخرى فحلب لي كثبة من لبن وقد رويت معي لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استيقظ فقلت يا رسول الله اشرب فشرب حتى رضيت ثم قلت قد آن الرحيل يا رسول الله فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له فقلت هذا الطلب قد لحقنا

يا رسول الله وبكيت قال لا تحزن إن الله معنا قال ولما دنا منا وكان بيننا وبينه
قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت هذا الطلب يا رسول الله قد لحقنا فبكيت قال ما يبكيك
فقلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك قال فدعا عليه رسول الله صلى الله
عليه اللهم اكفناه بما شئت فساخت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها
وقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين
على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهما فإنك ستمر على إبلي وغنمي
بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي في إبلك
ودعا له فانطلق راجعا إلى أصحابه **وفي حديث** البخاري ومسلم فجعل لا يلقى
أحدا إلا قال قد كفيتكم ما هاهنا فلا يلقى أحدا إلا رده قال ووفى لنا **وعن**
سراقة بن مالك بن جعشم فيما أورده ابن إسحاق قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مكة مهاجرا إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم قال فبينما
أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال والله لقد رأيت ركبة
ثلاثة مروا علي آنفا إني لأراهم محمدا وأصحابه قال فأومأت إليه بعيني أن اسكت
ثم قلت إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم قال لعله ثم سكت فمكثت قليلا ثم قمت
فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي فقيد لي إلى بطن الوادي وبسلاحي فأخرج لي من دبر
حجرتي ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ثم انطلقت فلبست لأمتي ثم أخرجت
قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره وكنت أرجو أن أرده
على قريش فآخذ المائة فركبت على أثره فبينا فرسي يشتد بي عثر بي فسقطت
عنه فقلت ما هذا ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره
لا يضره فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره فلما بدا لي القوم عثر بي فسقطت عنه
فقلت ما هذا ثم أخرجت قداحي فاستقسمت فخرج السهم الذي أكره لا يضره فأبيت
إلا أن أتبعه فلما بدا لي القوم عثر بي فرسي وذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه
ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع
مني وأنه ظاهر فناديت القوم أنا سراقة بن جعشم انظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم
ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر قل له ما تبتغي
فقلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك قال اكتب له يا أبا بكر فكتب لي
في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إلي فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت

فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفرغ من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت
في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون إليك إليك ماذا تريد
فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لكأني أنظر إلى ساقه
في غرزه كأنها جمارة فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابك لي
أنا سراقة بن جعشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت
فأسلمت ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره إلا أني
قلت يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي هل لي من أجر
في أن أسقيها قال نعم في كل ذات كبد حرى أجر ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صدقتي **وفي حديث آخر** عن ابن إسحاق أن سراقة بن
مالك بن جعشم هذا كان شاعرا مجيدا وأنه قال يخاطب أبا جهل بن هشام بعد
انصرافه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبا حكم والله لو كنت شاهدا … لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا … رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنني … أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم … بأن جميع الناس طرا يسالمه

وذكر ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه شعرا انتسب إلى أبي بكر
الصديق رضي الله عنه يذكر فيه مسيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصة
الغار وأمر سراقة ونحوه

قال النبي ولم يجزع يوقرني … ونحن في سدف من ظلمة الغار
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا … وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره … كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طرا بما كسبوا … وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتحل عنهم وتاركهم … إما غدوا وإما مدلج سار
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا … قوم عليهم ذوو عز وأنصار
حتى إذا الليل وارتنا جوانبه … وسد من دون من تخشى بأستار
سار الأريقط يهدينا وأينقه … ينعبن بالقوم نعبا تحت أكوار

يعسفن عرض الثنايا بعد أطولها وكل سهب رقاق الترب موار
حتى إذا أقبلت فرا أنعرن عار ضرغام تزلج فارس في منصب وار
يردي به مشرف الأقطار معتزم كالسيد ذي اللبدة المستاسد النظار
فقال كروا فقلنا إن كرتنا من دونها لك نصر الخالق الباري
أن يحبس الخيل فارض بالأخوة وفارسه فانظر إلى أربع في الأرض غوار
فهيل لما رأى أرساغ مقربه قد سخن في الأرض لم تحفر بمحفار
فقال هل لكم أن تطلقوا فرسي وتأخذوا موثقي في نصح أسرار
وأصرف الحي عنكم إن لقيتهم وأن أعور منهم عين عوار
فادعوا الذي هو عنكم كف عورتنا يطلق جوادي وأنتم خير أبرار
فقال قولا رسول الله مبتهلا يا رب إن كان منه غير إخفار
فنجه سالما من شر دعوتنا ومهره مطلقا من كلم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافره وفاز فارسه من هول أخطار

وسراقة بن مالك هذا الذي أظهر الله فيه هذا العلم العظيم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلما أظهر الله فيه الآية أخبر بذلك الآثار المشاهرة له عليه السلام بأن الله أطلعه من الغيب في حياته ما أظهر مصداقه بعد وفاته روي عن ابن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سواري كسرى قال فلما أتي عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما وكان رجلا أزب كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك بن جعشم أعرابيا من بني مدلج ورفع بها عمر رضي الله عنه صوته **قال ابن اسحاق** وذكر إسنادا رفعه إلى أسماء بنت أبي بكر لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف أو ستة فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه فقلت يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليه ثوبا ثم أخذت بيده فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال فوضع يده عليه ثم قال لا بأس إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا

قالت

ولاكن

ولاكني رأيت أن أسكن الشيخ بذلك **وذكر ابن اسحاق** الذي يواتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وليلة عبد الله بن أريقط والمنازل التي سلك بهما عليها إلى أن قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمان خلون من ربيع الأول وقال ابن الكلبي خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل يوم الجمعة لاثنتي عشرة منه فالله تعالى أعلم وذكر ابن اسحاق من حديث عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال حدثني رجال من قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة توكفنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال فإذا لم نجد ظلا دخلنا وذلك في أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من يهود وقد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله علينا فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله قبل ذلك وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك

قال ابن اسحاق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف ويقال بل نزل على سعد بن خيثمة ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان عزبا لا أهل له فمن هنالك يقال نزل عليه وكان يقال لبيت سعد بيت العزاب لأنه كان منزل المهاجرين منهم فالله أعلم أي ذلك كان ونزل أبو بكر الصديق على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح ويقال على خارجة بن زيد بن أبي زهير منهم **و**أقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل معه فكان علي رضي الله عنه وإنما كانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول كانت بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها فرأيت

انسانا ياتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيئا
معه فتاخذه قال فاستربت بشانه فقلت لها يا امة الله من هذا الذي يضرب عليك
بابك كل ليلة فتخرجين اليه فيعطيك شيئا لا ادري ما هو وانت امراة مسلمة لا زوج
لك قالت هذا سهل بن حنيف قد عرف اني امراة لا احد لي فاذا امسى عدا على اوثان
قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذا فكان علي رضي الله عنه ياثر ذلك
من امر سهل بن حنيف حين هلك عنده بالعراق **قال ابن اسحاق** فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس
مسجدهم ثم اخرجه الله تبارك وتعالى من بين اظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف
يزعمون انه مكث فيهم اكثر من ذلك فالله اعلم فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوناء فكانت
اول جمعة صلاها بالمدينة فاتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال
من بني سالم فقالوا يا رسول الله اقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها
فانها مامورة لناقته فخلوا سبيلها فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني بياضة
تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا يا رسول الله هلم الينا
الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة فخلوا سبيلها حتى اذا مرت
بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال منهم فقالوا يا رسول الله
هلم الينا الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة فخلوا سبيلها
حتى اذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد
ابن ابي زهير وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث فقالوا يا رسول الله هلم الينا الى
العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها فانها مامورة حتى اذا مرت بدار عدي
ابن النجار وهم اخواله دنيا ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو احدى نسائهم اعترضه
سليط بن قيس وابو سليط اسيرة بن ابي خارجة في رجال منهم فقالوا يا رسول الله هلم
الى اخوالك الى العدد والعدة والمنعة قال خلوا سبيلها حتى اذا اتت دار بني مالك بن النجار
بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني مالك
ابن النجار في حجر معاذ بن عفراء فلما بركت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليها لم ينزل
وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت خلفها
فرجعت الى مبركها اول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت وزمت ووضعت جرانها فنزل

عنها

عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل ابو ايوب رحله فوضعه في بيته ونزل عليه
رسول الله صلى الله عليه حتى بني مسجده ومساكنه وسال عن المربد لمن هو فقال
معاذ بن عفراء هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو وهما يتيمان لي وسارضيهما
منه فاتخذه مسجدا فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى وعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه فعمل فيه المهاجرون والانصار ودابوا
فيه فقال قائل من المسلمين

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وحدث ابو ايوب قال لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل
وانا وام ايوب في العلو فقلت له يا نبي الله بابي انت وامي اني لاكره واعظم ان اكون فوقك
وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال يا ابا ايوب
ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت فلقد انكسر حب لنا فيه ماء
فقمت انا وام ايوب بقطيفة ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه وكنا نصنع له العشاء ثم
نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت انا وام ايوب موضع يده فاكلنا منه
نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا اليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له فيه بصلا او ثوما
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ار ليده فيه اثرا فجئته فزعا فقلت يا رسول الله
بابي انت وامي رددت عشاءك ولم ار فيه موضع يدك وكنت اذا رددته علينا
تيممت انا وام ايوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة قال اني وجدت فيه ريح هذه
الشجرة وانا رجل اناجي فاما انتم فكلوه فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد
قال ابن اسحق وتلاحق المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق بمكة
منهم احد الا مفتون او محبوس ولم يوعب اهل هجرة من مكة باهليهم واموالهم الى الله
تبارك وتعالى والى رسوله الا اهل دور مسمون بنو مظعون من بني جمح وبنو جحش بن رئاب
حلفاء بني امية وبنو البكير من بني ليث بن بكر حلفاء بني عدي بن كعب فان دورهم غلقت
بمكة هجرة ليس فيها ساكن **فاقام** رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ
قدمها شهر ربيع الاول الى صفر من السنة الداخلة بني له فيها مسجده ومساكنه
قال وكانت اول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني عن ابي سلمة بن عبد
الرحمن نعوذ بالله ان نقول على رسول الله ما لم يقل انه قام فيهم فحمد الله واثنى عليه بما

من أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن
أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب
يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك
فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع
أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة
عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال
ابن إسحاق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى فقال إن الحمد لله أحمده
وأستعينه نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن أحسن الحديث كتاب
الله تبارك وتعالى قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره
على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله أحبوا
الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من كل ما يخلق
الله يختار ويصطفي فقد سماه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد والصالح من الحديث
ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته
واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب
أن ينكث عهده والسلام عليكم قال ابن إسحاق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم
واشترط عليهم وشرط لهم **وآخى** رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه
من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل تآخوا في الله
أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال هذا أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي
ابن أبي طالب أخوين ثم سموا ابن إسحاق بعد ما سمى أخوة بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصحابه ثم غناه كرهنا اختصاره **قال** وهلك في تلك الأشهر أبو أمامة أسعد
ابن زرارة والمسجد يبنى أخذته الذبحة أو الشهقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بئس الميت أبو أمامة ليهود ومنافقي العرب يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه
ولا أملك لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئا ولما مات أبو أمامة اجتمعت بنو النجار
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو أمامة نقيبهم فقالوا يا رسول الله إن هذا كان منا

حيث

حيث قد علمت فاجعل منا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالي وأنا بما فيكم وأنا نقيبكم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يخص بها بعضهم دون بعض فكان من فضل بني النجار الذي يعدون على قومهم أن كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم قال ابن إسحاق فلما اطمأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار استحكم
أمر الإسلام فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال
والحرام وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار
والإيمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع إليه الناس
للصلاة في حين مواقيتها بغير دعوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل
بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كرهه ثم أمر بالناقوس فنحت
ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك رأى عبد الله بن زيد أخو بلحارث
بن الخزرج النداء فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله إنه طاف
بي هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده
فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به إلى الصلاة
قال أفلا أدلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله أكبر الله أكبر
أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله
حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله
فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله
فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال
سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر
رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلله الحمد وذكر ابن هشام عن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب بينا هو
يريد أن يشتري خشبتين للناقوس عندما ائتمر به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذ رأى
في المنام ألا تجعلوا الناقوس بل أذنوا بالصلاة فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ليخبره بالذي رأى فما راعه إلا بلال يؤذن فخرج النبي صلى الله عليه وسلم أوحي بذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره سبقك بذلك الوحي قال
ابن إسحاق فلما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره وأظهر الله بها دينه وسر بما

بما جمع الله من أمرها حين ... من أهل بيته **قال أبو قيس** صرمة بن أبي
أنس أخو بني عدي بن النجار يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام وما خصهم
به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمأنت به النوى وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى إذ أجاب المناديا
وأصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الأموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
ونعلم أن الله لا شيء غيره ونعلم أن الله أفضل هاديا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعا وإن كان الحبيب المصافيا
أقول إذا أدعوك في كل بيعة تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضا مخوفة حنانيك لا تظهر علي الأعاديا
فطأ معرضا إن الحتوف كثيرة وإنك لا تبقي لنفسك باقيا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا
ولا تحفل النخل المعيمة ربها إذا أصبحت ريا وأصبح ثاويا

وكان أبو قيس هذا رجلا قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وفارق الأوثان
واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها
ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا يدخل عليه فيه طامث ولا جنب وقال أعبد رب إبراهيم
حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير وكان
قوالا بالحق معظما لله في جاهليته يقول في ذلك أشعارا حسانا وهو الذي يقول

يقول أبو قيس وأصبح غاديا ألا ما استطعتم من وصاتي فافعلوا
أوصيكم بالله والبر والتقى وأعراضكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم وإن كنتم أهل الرياسة فاعدلوا
وإن نزلت إحدى الدواهي بقومكم فأنفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وإن ناب غرم فادح فارفقوهم وما حملوكم في الملمات فاحملوا

وإن أنتم أمعرتم فتعففوا وإن كان فضل الخير فيكم فأفضلوا

وقال أبو قيس أيضا

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتأوي في وكور من آمنات الجبال
وله الوحش بالفلاة تراها في حقاف وفي ظلال الرمال
وله هودت يهود ودانت كل دين إذا ذكرت عضال
وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لربهم واحتفال
وله الراهب الحبيس تراه رهن بؤس وكان ناعم بال
يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
واعلموا أن لليتيم وليا عالما يهتدي بغير السؤال
ثم مال اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه وال
يا بني التخوم لا تخزلوها إن خزل التخوم ذو عقال
يا بني الأيام لا تأمنوها واحذروا مكرها ومر الليالي
واعلموا أن مرها لنفاد الخلق ما كان من جديد وبال
واجمعوا أمركم على البر والتقوى وترك الخنا وأخذ الحلال

قال ابن إسحاق ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم
العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم وانضاف
إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم
من الشرك والتكذيب بالبعث إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه
فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر وكان هواهم مع يهود
لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الإسلام وكانت أحبار يهود هم الذين
يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل
إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومخيريق وكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه إلا
قليلا من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها **وكان** من حديث عبد
الله بن سلام وإسلامه وكان حبرا عالما فيما قال لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم

عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتا
عليه حتى قدم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف اقبل رجل حتى اخبر بقدومه
وانا في راس نخلة لي اعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة فلما
سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري
خيبك الله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت فقلت لها اي عمة
هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به فقالت اي ابن اخي
اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة فقلت لها نعم فقالت
فذاك اذا قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت ثم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم
فاسلموا وكتمت اسلامي من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله ان يهود قوم بهت واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك وتغيبني عنهم
ثم تسالهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا باسلامي فانهم ان علموا
به بهتوني وعابوني قال فادخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بيوته ودخلوا عليه
فكلموه وسالوه ثم قال لهم اي رجل الحصين بن سلام فيكم فقالوا سيدنا وابن سيدنا
وحبرنا وعالمنا فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر يهود اتقوا الله
واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة
باسمه وصفته فاني اشهد انه رسول الله واومن به واصدقه واعرفه فقالوا كذبت
ثم وقعوا بي فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبرك يا رسول الله انهم قوم بهت
اهل غدر وكذب وفجور قال فاظهرت اسلامي واسلام اهل بيتي واسلمت عمتي
خالدة فحسن اسلامها قال ابن اسحاق وكان من حديث مخيريق وكان حبرا
عالما غنيا كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه
وغلب عليه الف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم احد وكان يوم السبت قال يا معشر
يهود والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق قالوا ان اليوم يوم السبت قال لا سبت
لكم ثم اخذ سلاحه فخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد
الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع فيها ما اراه الله فلما اقتتل
الناس قاتل حتى قتل فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم امواله فعامة صدقاته
بالمدينة منها وكان صلى الله عليه فيما بلغني يقول مخيريق خير يهود قال
وحدثني عبد الله بن ابي بكر قال حدثت عن صفية ابنة حيي انها قالت كنت احب ولد ابي اليه

والى عمي ابي ياسر لم القهما قط مع ولد لهما الا اخذاني دونه فلما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة غدا عليه ابي وعمي مغلسين فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس
فاتيا كالين كسلانين يمشيان الهوينى فهششت اليهما كما كنت اصنع
فوالله ما التفت الي واحد منهما مع ما بهما من الغم وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لابي
اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته
والله ما بقيت وكان هذان الاخوان الشقيقان من اشد يهود للعرب حسدا لما
خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم فكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا
فانزل الله عز وجل فيهما ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على
كل شيء قدير ومر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا عظيم الكفر
شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الاوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وجماعتهم
وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع
ملا بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملاهم بها من قرار فامر شابا
من يهود كان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان فيه وانشدهم
بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس وكان عليهم يومئذ حضير ابو اسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو
بن النعمان البياضي فقتلا جميعا ففعل الشاب ما امره به شاس فتكلم القوم عند
ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي
وجبار بن صخر فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الان جذعة وغضب
الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح
فخرجوا اليها وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من اصحابه
المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد ان هداكم الله للاسلام واكرمكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية واستنقذكم به من
الكفر والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق
الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سامعين مطيعين قد اطفا الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس فانزل الله تبارك

وتعالى في شأس بن قيس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على
ما تعملون يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء
وما الله بغافل عما تعملون. وأنزل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما
الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا
فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات
الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا
الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا
حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. **قال**
وحدثت عن سعيد بن جبير أنه قال أتى رهط من يهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له
يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه فقال خفض عليك
يا محمد وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا أحد. فلما تلاها عليهم قالوا فصف لنا يا محمد كيف خلقه كيف ذراعه
كيف عضده فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الأول وساورهم فأتاه
جبريل فقال له مثل مقالته الأول وجاءه من الله تبارك وتعالى بجواب ما سألوه
يقول الله جل وعلا وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات
مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون. **ودخل** أبو بكر الصديق بيت
المدراس على يهود فوجد منهم ناسا كثيرة قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من
علمائهم وأحبارهم ومعه حبر من أحبارهم يقال له أشيع فقال أبو بكر لفنحاص ويحك
يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا لرسول الله قد جاءكم بالحق من
عنده تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل فقال فنحاص لأبي بكر والله يا أبا بكر
ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه
لأغنياء وما هو عنا بغني ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم
عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص
ضربا شديدا وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي
عدو الله فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال أبو بكر يا رسول الله
إن عدو الله قال قولا عظيما إنه زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت
لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى
فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير
ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
ونزل في أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور. **وكان**
ممن انضاف إلى يهود من المنافقين من الأوس والخزرج فيما ذكر والله أعلم. **من الأوس**
جلاس بن سويد بن الصامت من بني حبيب بن عمرو بن عوف وهو أخو الحارث وكان ممن تخلف
عن غزوة تبوك فقال لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر وكان في حجره عمير
بن سعد خلف جلاس على أمه بعد أبيه فقال له عمير والله يا جلاس إنك لأحب الناس
إلي وأحسنهم عندي يدا وأعزهم علي أن يصيبه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن
رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ولإحداهما أيسر علي من
الأخرى ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس فحلف جلاس لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال فأنزل الله فيه يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما
نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم
الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير. فزعموا أنه تاب
فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. **وأخوه الحارث بن سويد**
قتل المجذر بن ذياد البلوي وذلك أن المجذر فيما ذكر ابن هشام كان قتل أباه سويد
ابن الصامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب
الحارث غرة المجذر ليقتله بأبيه فقتله. **وذكر** ابن إسحاق أن سويد بن الصامت إنما
قتله معاذ بن عفراء غيلة في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث فقال
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون قد أمر عمر بن الخطاب بقتل الحارث إن هو ظفر به
ففاته فكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه فأنزل الله تبارك
وتعالى فيه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم الظالمين إلى آخر القصة. **ونبتل بن الحارث** من بني ضبيعة

ابن زيد بن ضبيعة وهو الذي قال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فانزل الله تبارك وتعالى
فيه ومنهم الذين يوذون النبيء ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن
للمومنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وفيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث
وكان جسيما ادلم ثائر شعر الراس احمر العينين وذكر ان جبريل اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له انه يجلس اليك رجل ادلم ثائر شعر الراس اسفع الخدين
احمر العينين كانهما قدران من صفر كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين
فاحذره وكانت تلك صفة نبتل بن الحارث فيما يذكرون وعمرو بن حزام وعبد الله
ابن نبتل وجارية بن عامر بن العطاف وابناه زيد ومجمع وهم ممن اتخذ مسجد الضرار
وكان مجمع غلاما حدثا قد جمع من القران اكثره وكان يصلي بهم فيه فلما كان في زمن
عمر بن الخطاب كلم في مجمع ليصلي بقومه بني عمرو بن عوف في مسجدهم فقال لا اوليس
بامام المنافقين في مسجد الضرار فقال له مجمع يا امير المومنين والله الذي لا اله الا هو
ما علمت بشيء من امرهم ولكني كنت غلاما قارئا للقران وكانوا لا قران معهم فقدموني
اصلي بهم وما ارى امرهم الا على احسن ما ذكروا وزعموا ان عمر رضي الله عنه تركه
فصلى بقومه ومن الخزرج ثم من بني عوف عبد الله بن ابي بن سلول وكان راس المنافقين
واليه يجتمعون وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل وفيها ذكره فيما ستقف عليه في ذكر الغزوة في غزوة بني المصطلق
ان شاء الله تعالى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسيد اهلها
عبد الله بن ابي لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان لم تجتمع الاوس والخزرج
قبله ولا بعده على رجل من احد الفريقين حتى جاء الاسلام غيره ومعه في الاوس رجل
هو في قومه من الاوس شريف مطاع ابو عامر عبد عمرو بن صيفي بن النعمان احد بني ضبيعة
ابن زيد وهو ابو حنظلة الغسيل يوم احد وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وكان يقال
له الراهب فشقيا بشرفهما اما عبد الله بن ابي فكان قومه قد نظموا له الخرز
ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله تبارك وتعالى برسوله صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك
فلما انصرف عنه قومه الى الاسلام ضغن وراى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه
ملكا فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن
وحدثني اسامة بن زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى سعد بن عبادة يعوده من شكو اصابه على حمار عليه اكاف فوقه قطيفة
فدكية مختطمة بحبل من ليف واردفني خلفه فمر بعبد الله بن ابي وحوله رجال من قومه
فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم تذمم من ان يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس
قليلا فتلا القران ودعا الى الله وذكر بالله وحذر وبشر وانذر وعبد الله زام لا يتكلم
حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا هذا انه لا احسن من حديثك هذا ان كان حقا
فاجلس في بيتك فمن جاءك فحدثه اياه ومن لم ياتك فلا تغته به ولا تاته في مجلسه
بما يكره فقال عبد الله بن رواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين بلى فاغشنا به
وائتنا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا فهو والله مما نحب ومما اكرمنا الله به وهدانا له فقال
عبد الله حين راى من خلاف قومه ما راى

متى ما يكن مولاك خصمك لا تزل ... تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه ... وان جذ يوما ريشه فهو واقع

قال وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عدو
الله ابن ابي فقال والله يا رسول الله اني لارى في وجهك شيئا لكانك سمعت شيئا تكرهه قال اجل ثم اخبره
بما قال ابن ابي فقال سعد يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وانا لننظم
له الخرز لنتوجه فوالله انه ليرى ان قد سلبته ملكا واما ابو عامر فابى الا الكفر
والفراق لقومه حين اجتمعوا على الاسلام واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
فقال ما هذا الدين الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال بلى انك ادخلت يا محمد في الحنيفية
ما ليس منها قال ما فعلت ولكني جئت بها بيضاء نقية قال الكاذب اماته الله طريدا
غريبا وحيدا يعرض برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل فمن
كذب ففعل الله ذلك به فكان هو ذلك عدو الله خرج الى مكة ببضعة عشر رجلا
مفارقا للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
الراهب ولكن قولوا الفاسق فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج
الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريدا غريبا وحيدا
قال ابن اسحق وكان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه مع المسلمين واظهره
وهو منافق من احبار يهود من بني قينقاع سعد بن حنيف ونعمان بن اوفى وعثمان بن
اوفى وزيد بن اللصيت وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

يزعم محمد انه ياتيه خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اعلمنا قد وجاء له الخبر بما قال عدو الله في رحله ان قائلا قال يزعم محمد انه ياتيه
خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته واني والله ما اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها
فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها [illegible] رجال من المسلمين فوجدوها
حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف **وكان** هؤلاء المنافقون يحضرون
وغيرهم ممن لم يسم يحضرون المسجد فيستمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم
ويستهزئون بدينهم فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتحدثون بينهم خافضي اصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا فقام ابو ايوب خالد بن زيد بن كليب الى عمرو بن قيس احد
بني غنم بن مالك بن النجار وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فاخذ برجله فسحبه
حتى اخرجه من المسجد وهو يقول اتخرجني يا ابا ايوب من مربد بني ثعلبة ثم اقبل ابو ايوب
ايضا الى رافع بن وديعة احد بني النجار فلببه بردائه ثم نتره نترا شديدا ولطم وجهه
واخرجه من المسجد وهو يقول له اف لك منافقا خبيثا ادراجك يا منافق من مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عمارة بن حزم الى زيد بن عمرو وكان طويل اللحية فاخذ
بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى اخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما
في صدره لدمة خر منها قال يقول خدشتني يا عمارة قال ابعدك الله يا منافق فما اعد الله
لك من العذاب اشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقام** ابو محمد رجل
من بني النجار وكان بدريا الى قيس بن عمرو فجعل يدفع في قفاه حتى اخرجه من المسجد
وكان قيس غلاما شابا لا يعلم في المنافقين شاب غيره **وقام** رجل من بلخدرة
يقال له عبد الله بن الحارث الى رجل يقال له الحارث بن عمرو وكان ذا جمة فاخذ بجمته فسحبه
سحبا عنيفا على ما مر به من الارض حتى اخرجه من المسجد قال يقول المنافق لقد اغلظت
يا ابن الحارث فقال له انك اهل لذلك يا عدو الله لما انزل الله فيك فلا تقربن مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانك نجس **وقام** رجل من بني عمرو بن عوف الى اخيه زوي بن الحارث فاخرجه
من المسجد اخراجا عنيفا وافف منه وقال غلب عليك الشيطان وامره **فهؤلاء**
من حضر المسجد يومئذ من المنافقين فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باخراجهم ففي هؤلاء
من احبار يهود والمنافقين من الاوس والخزرج نزل صدر سورة البقرة الى المائة منها فيما
بلغني والله اعلم **وقدم** على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفد نصارى

نجران

نجران ستون راكبا فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات
جبب واردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم يومئذ من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ما راينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون
في المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق وكان
فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم في الاربعة عشر منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم
العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه
واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم
وابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم
وكان ابو حارثة هذا قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكان
ملوك الروم قد شرفوه ومولوه واخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات
لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم **فلما** وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — بلغت
من نجران جلس ابو حارثة على بغلة له موجها والى جنبه اخ له يقال له كوز
ابن علقمة ويقال كوز بن علقمة فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كوز تعس الابعد
يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل انت تعست فقال ولم يا اخي
قال والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا
قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت
نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليها منه اخوه كوز بن علقمة حتى اسلم بعد ذلك فهو
كان يحدث عنه هذا الحديث وكان ابو حارثة هذا ممن كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو والعاقب والسيد وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من امرهم في عيسى عليه السلام
يقولون هو الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ويقولون هو ولد الله كبرت كلمة تخرج
من افواههم ان يقولون الا كذبا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى
عما يشركون ويقولون هو ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد فبكل هذا من قولهم
قد نزل القرآن حجة عليهم ومبطلا لدعاويهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قال الله
العظيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا

منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر أنى يؤفكون وقال [illegible] من قائل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون [illegible] كفروا من قبل قاتلهم الله
أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا
إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ولما كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرهم بالإسلام فقال لهم [illegible] كلمة منهم قد أسلمنا فقال لهما إنكما لم تسلما
فأسلما فقالا بلى قد أسلمنا قبلك فقال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله
ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة
آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فافتتح السورة بتنزيه نفسه سبحانه مما قالوا
وتوحيده إياه بالخلق والأمر ردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الأنداد
يقيم حجة بين لهم ضلالتهم فقال جل قوله وتعالى جده الم الله لا إله إلا هو الحي
القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس
وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام إن الله
لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا
هو العزيز الحكيم ثم استقبل لهم أمر عيسى وكيف كان بدء ما أراد به فقال إن
الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله
سميع عليم ثم ذكر امرأة عمران ونذرها لله ما في بطنها محررا أي تعبده له تسبحه
لا تنتفع به لشيء من الدنيا ثم ما كان من وضعها مريم وتعويذها إياها وذريتها بالله
من الشيطان الرجيم يقول الله تبارك وتعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا
وكفلها زكريا أي ضمها أو قام عليها بعد أبيها وأمها ثم فتح خبرها [illegible] زكريا
وما دعا به وما أعطاه إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم وقول الملائكة لها إن الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين يقول الله عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم
أيهم يكفل مريم أي يستهمون عليها أيهم يخرج سهمه فيكفلها وما كنت لديهم إذ يختصمون
أي ما كنت معهم إذ يختصمون فيها يخبره بخفي ما كتموا منه من العلم تحقيقا لنبوته

وإقامة

وإقامة للحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه ثم قال تعالى إذ قالت الملائكة
يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا
والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين أي هكذا كان أمره
لا ما يقولون فيه وإن [illegible] الذي يتقلب به في عمره كتقلب بني آدم في
أعمارهم صغارا أو كبارا إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا
للعباد مواقع قدرته قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله
يخلق ما يشاء أي يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ويصور في الأرحام
ما يشاء وكيف يشاء بذكر وبغير ذكر إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون
ثم أخبرها بما يريد به من كرامته وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة المنزلة على موسى
قبله والإنجيل المنزل عليه وجعله رسولا إلى بني إسرائيل مؤيدا من الآيات بما يعمل
طائرا [illegible] على مشيئته تحقيقا لما أراد من نبوته كالإبراء الأكمه
والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وغير ذلك مما أتى به من العجائب المصرفة له وأمره
إياهم بتقوى الله وطاعته وقوله إن الله ربي وربكم تبرئة لما الذين يقولون فيه
واحتجاجا بربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم إن هذا الذي [illegible] عليه
[illegible] الحجة عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن
أنصار الله إلى آخر قولهم ثم ذكر رفعه إياه إليه حين اجتمعوا لقتله فقال
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثم أخبرهم ورد عليهم بما أقروا لليهود
بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي
ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم
القصة حتى انتهى إلى قوله ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم إن مثل عيسى
عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين
[illegible] الحق من ربك فلا تك في شك فيه ولا تمترين فيه وإن قالوا كيف خلق عيسى من
غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر وكان كما كان عيسى
لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا فمن حاجك
فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا
ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على
الكاذبين ثم نبتهل ندعو باللعنة ونبتهل أي [illegible] إن هذا لهو القصص الحق

اي ما الخبر جا به من امر عيسى وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون من كلام الله سبحانه [illegible] عليهم الحجة

فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل في شان عيسى والفصل القضاء بينه وبينهم بما امر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا ثم ناتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رايهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال والله يا معشر النصارى لقد علمتم ان محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستيصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد راينا الا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في اشياء اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوني العشية ابعث معكم القوي الامين فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما احببت الامارة قط حبي اياها يومئذ رجاء ان اكون صاحبها فرحت الى الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت اتطاول له ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى راى ابا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها ابو عبيدة

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي اوبا ارض الله من الحمى فاصاب اصحابه منها بلاء وسقم حتى جهدوا مما كانوا يصلون الا وهم قعود وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم عليهم صلوات الله عليه وهم يصلون كذلك فقال لهم اعلموا ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه ممن اصابته الحمى وكذلك مولياه عامر بن فهيرة وبلال قالت عائشة فدخلت اعودهم قبل ان يضرب علينا الحجاب وهم في بيت واحد وبهم ما لا يعلمه الا الله من الوعك فدنوت من ابي بكر فقلت له كيف

تجدك يا ابت فقال رجز

كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك نعله

فقلت والله ما يدري ابي ما يقول ثم دنوت الى عامر فقلت كيف تجدك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه

قالت وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال ضرب

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة بفخ وحولي اذخر وجليل

وهل اردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل وباءها الى مهيعة ومهيعة الجحفة

شروع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب المشركين وذكر مغازيه التي اعز الله بها الايمان والمومنين.

قال ابن اسحاق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تهيا لحربه وقام فيما امره الله تبارك وتعالى به من جهاد عدوه وقتال من امره الله بقتاله ممن يليه من مشركي العرب وخرج غازيا في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة حتى بلغ ودان وهي الابواء يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة فوادعته فيها بنو ضمرة وكان الذي وادعه منهم عليهم مخشي بن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا فاقام بها وبعث في مقامه ذلك عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين او ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم احد من الانصار فسار حتى بلغ ماء بالحجاز باسفل ثنية المرة فلقي به جمعا عظيما من قريش فلم يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان اول سهم رمي في سبيل الله وقال سعد في رميته تلك فيما يذكرون

ألا هل أتى رسولَ الله أني حميتُ صحابتي بصدور نبلي
أذود بها أوائلهم ذيادا بكل حزونة وبكل سهل
فما يُعتدّ رامٍ في عدوٍّ بسهم يا رسول الله قبلي

في أبيات ذكرها ابن إسحاق وذكر ابن هشام أن أكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لسعد
ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد
بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار

وقال أبا بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبيدة هذه

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث أرقت وأمر في العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا عليه وقالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا وهروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة وترك التقى شيء لهم غير كارث
فإن يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم فما طيبات الحل مثل الخبائث
وإن يركبوا طغيانهم وضلالهم فليس عذاب الله عنهم بلابث
ونحن أناس من ذؤابة غالب لنا العز منها في الفروع الأثائث
فأولي برب الراقصات عشية حراجيج تخدي في السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف يردن حياض البئر ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ولست إذا آليت قولا بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرم أطهار النساء الطوامث

وكانت راية عبيدة أول راية عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام
وبعض العلماء يزعم أنه بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة وأنه
بعث في مقامه بالمدينة حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص في
ثلاثين راكبا من المهاجرين فلقي أبا جهل بن هشام بالساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة
فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين فانصرف بعض القوم عن
بعض ولم يكن بينهم قتال وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معا فشبه
ذلك على الناس وقد زعموا أن حمزة قال في ذلك شعرا يذكر فيه أن رايته أول راية

عقدها

عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان حمزة قال ذلك فقد صدق إن شاء الله
لم يكن يقول إلا حقا والله أعلم أي ذلك كان فأما ما سمعنا من أهل العلم فعبيدة بن
الحارث أول من عقد له وابن هشام ينكر الشعر لحمزة رضي الله عنه

ألا يا لقومي للتحلم والجهل وللنقص من رأي الرجال وللعقل
وللراكبينا بالمظالم لم نطأ لهم حرمات من سوام ولا أهل
كأنا تبلناهم ولا تبل عندنا لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وأمر بإسلام فلا يقبلونه وينزل منهم مثل منزلة الهزل
فما برحوا حتى انتدبت بغارة لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
بأمر رسول الله أول خافق عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
لواء لديه النصر من ذي كرامة إله عزيز فعله أفضل الفعل
عشية ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
فقلنا لهم حبل الإله نصيرنا وما لكم إلا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغيا فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا وهم مائتان بعد واحدة فضل
فيا للؤي لا تطيعوا غواتكم وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
فإني أخاف أن يصب عليكم عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول يريد قريشا حتى بلغ بواط
من ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا ثم غزاهم وسلك على نقب بني دينار
ثم على فيفاء الخبار ونزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها ذات الساق
وصلى عندها فثم مسجده صلى الله عليه وسلم وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس
معه ... واستقي له من ماء يقال له المشترب ثم ارتحل
حتى هبط يليل ثم سلك فرش ملل حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق
حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة ووادع
فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا وبعث فيما بين ذلك
من غزوه سعد بن أبي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ثم
رجع ولم يلق كيدا ولم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين قدم من غزوة العشيرة إلا

تعرون خيلا في الحرام في خيمة ‹› واعظم من ينعم لديه وانشر الاشر
صرود كرعمها يغوا في غنى ‹› وكفى به والله راء وشاهد
وانح اجلهم من مشعر الله أهله ‹› لأن الذي في ابيتنا لله ساجد
فانا وان عنى تمونا بفضله ‹› وان حق بالاسلام في حاسد
سقيتنا من ابن العض من ما حنا ‹› بنخلة لما او فر الحمى واقد

والحمد لله تعالى [illegible]

انتهى بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل
اليسير [illegible] الاول [illegible] الثاني [illegible] الكريم
وصلى الله وسلم على مولانا محمد وآله
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين

وقال
العلم نور وهدى ‹› فكن مجدا طالبه
واحرص عليه واغتنم ‹› فيه الامور الواجبة
ما لازم العلم علا ‹› على الانام فاكتسبه

وقال
خالف النفس عند فعل هواها ‹› تبق من عيشنا سالما من اذاها
فاتباع الهوى هوان ولا تمشوا ‹› هذه للنفس يحيي [illegible]
كذلك الناس في لشيء [illegible] ‹› هو فل للسهم من كل [illegible]
كن مع الناس كيف كانوا ووفقوا ‹› ان من لا يوافق الناس [illegible]

ومنه
ارح النفس تستريح [illegible] ‹› واغتنم العيش قبل يوم [illegible]
وارح [illegible] من سواك وسالم ‹› جملة الناس [illegible]
ولا تنظر [illegible] ‹› [illegible] من سبيل [illegible]

ومنه
سالم الناس ما استطعت وجاملهم

من يطع يكن ان ازدت السلامة
وتنزه عن القبيح وجنبه
من يرى بالفضول واحد الكلامه

وقال
لا تنح ما بقيت حبل الفضول ‹› [illegible] عليك الا المضرة
والمرح ما التزمت [illegible] منه ‹› وجفا من يرى بالفضول [illegible]